4336

الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء: ١٧ ريالاً

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها حمد الجاسر

العنوان
شارع الملك فيصل هاتف ٤٠٢٢٩١٥
ص.ب ١٣٧ الرمز البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية

ج ١، ٢ س ٢٢ رجب - شعبان ١٤٠٧هـ - آذار/ نيسان (مارس/ أبريل) ١٩٨٧م

المكتب الهندسي

في بلاد الأحبة :

-٣-

بين صنعاء ومأرب

وسَدّ مَأْرِب من أهم مايطمح القادم إلى اليمن ويتوق إلى مشاهدته من آثار هذه البلاد القديمة، ولكن كيف يتسنّى ذالك، والموضع يقع في شرق اليمن على مسافة ١٧٠ كيلاً من صنعاء، وتجتاز مناطق قَبَلِيَّةً ليس من السهل اجتيازها لمن لا يملك تصريحاً من الدولة ورعاية منها.

ولي في صنعاء إخوة كثيرون، منهم من يتولى رفيع المناصب، ولكنني أبديت الرغبة بأن تكون جميع أموري في هذه الرحلة تسير وفق الطريقة التي رسمتها، لا أُثْقِلُ على أحدٍ من إخواني، ولا أكلِّفُ نفسي تَحَمُّلَ إفضالِ المُفْضِل عليَّ ولو كان عن كرم وسماحة نفسٍ.

وكان أن أبديت للصديق الكريم الأستاذ محمد أنعم غالب تلك الرغبة على ماأوضحتها، فحاول هو والصديق الأستاذ الدكتور يوسف محمد عبدالله أن يرتبا أمر الرحلة إلى موقع السد، باعتبارنا أنا وأخي الأستاذ عبدالكريم من ضيوف هذه البلاد، إلاَّ أننا رفضنا هذا وأوضحنا أن الغاية تنحصر فيما يكفل لنا الوصول إلى الموضع والعودة منه بحيث لا نكون عرضة لعرقلة أو تعب.

قرر الأَخَوَانِ الكريمان أن نَذْهَبَ مَعاً في سيارتيهما ومعهما من يطمئنّانِ إليه.

وفي الساعة السابعة والنصف من صباح يوم الاربعاء (١٤٠٦/١١/١٦ -

١٩٨٦/٧/٢٣) كان المسير من الفندق، والاتجاه شرقاً إلى مأرب، والطريق معبد، ومنذ أن خرجنا من صنعاء والأرض في انحدار حتى بلغنا مأرب.

وقد مررنا بمواضع مسكونة منها بلدة الْغِرَاس ــ على لفظ جمع غَرْسٍ ــ وهذه تبعد عن صنعاء ٢٣ كيلاً، وتقع في سفح جبل يدعى غَضْرَانَ ــ بالغين المعجمة مفتوحة والضاد المعجمة ساكنة فراء فألف فنون ــ وهو طرف من سلسلة من الجبال تمتد نحو الجنوب الشرقي، قيل لنا: إنها جبل (ذي مَرْمَر) على أن ياقوتا ذكر في «معجم البلدان» أنَّ (ذَمَرْمَرَ) من حصون صنعاء، وقال القاضي إسماعيل بن علي الأكوع معلقاً على كلام ياقوت: (ذي مَرْمر حصن مشهور شمال صنعاء على مسافة ٢٠ كيلاً كان عامراً إلى نحو مئة سنة، وقد لحقه الخراب. كذا وردت كتابة الاسم بصورتين (ذَمَرْمَر) و(ذي مَرْمَر). وفي كتاب «البرق اليماني» ــ ٢٨٩ ــ : من جملة الحصون التي بقرب صنعاء حصن ذَمَرمر، وهو للطف الله بن مطهر، وحوله قرى كثيرة، في وادٍ عظيم، يقال له وادي السِّرِّ، فيها خلقٌ كثير من الزيدية أتباع مطهر ــ ثم ذكر استيلاء الأتراك عليه، وعلى بلدة شبام، ومن شعر السيد صلاح الوزير:

لله أيَّـامِـي بِـذِي مَـرْمَـرٍ ... وطِيْبُ أَوْقَاتِي بِرَبْعِ الْغِرَاسْ
والْجِنْسُ مُنْضَمٌّ إلَى جِنْسِـهِ ... وأَحْسَنُ النَّظْمِ نِظَامُ الْجَنَاسْ
والشَّكْـلُ مَقْـرُونٌ بِـأَشْكَـالِـهِ ... والسِّرُّ فِيْـهِ السِّرُّ والنَّاسُ نَـاسْ

والسِّرُّ هذا هو الذي ذكره الهمداني في «صفة جزيرة العرب» وسماه سِرَّ آلِ الرويَّة.

ويقارب سكان الغراس ٥٠٠ نسمة، ومنها يجلب الجُصُّ إلى صنعاء ومن جبل يدعى ذَباب قبلي وادي السِّرِّ، وعلى مقربة من بلدة الغِراس بلدة (شَبَام سَخِيم) سكانها يقاربون ٤٠٠ نسمة، وهي من البلدان الأثرية، ولعل اسم الجبل (ذي مرمر) ذو صلة باستخراج حجر المرمر منه على ماذكر بعض مؤرخي اليمن، ومنذ أن خرجنا من صنعاء إلى هذا الموضع ونحن نسير في بلاد بني حشَيْش ــ الشين

مفتوحة والياء المثناة ساكنة، أما الحاء فاليمنيون ينطقونها مكسورة، ولعل الصواب ضَمُّها ــ وهاؤلاء من خولان العالية، وتمتد بلادهم من صنعاء إلى بلاد نِهْمٍ على مقربة من منطقة مأرب.

ثم مررنا بقرية فيها مركز حكومي تدعى (فَرْضَة نِهْمٍ) وهو يفتحون الفاء ــ تقع شرق صنعاء بنحو ٥٨ كيلاً، وهذه المنطقة التي تقع فيها هذه القرية تحلُّها قبيلة نِهْمٍ من بكيل أحد فرعي قبيلة همدان المشهورة، وهذه بلادها منذ العصور القديمة كما أوضح ذالك الهمداني في «صفة جزيرة العرب»، وشيخ نِهْمٍ في العهد الحاضر أبو لُحُومٍ.

وبعد اجتياز هذه القرية اتجه السير نحو الجنوب الشرقي لأن هذا الطريق روعي في تعبيده أن يَمُرَّ بهذه المنطقة، ومع تعهد هذا الطريق بالصيانة فقد تراكم التراب في جوانب منه إلا أننا أثناء مرورنا به كان حديث عهد بالمطر.

ثم نزلنا في سهل فسيح تكثر فيه الأودية، وتنتشر كثبانُ الرمال، وهو متصل بسهل مأرب، وكنا نسير في انحدارٍ منذ خروجنا من صنعاء حتى بلغنا هذا السهل الذي قيل لنا: إن ارتفاعه عن سطح البحر نحو ١٦٠٠ متر، بينما ارتفاع صنعاء نحو ٢٢٠٠ متر، وهناك فندق يدعى (فندق أرض الجنتين) كانت الاستراحة فيه جزءاً من الوقت، وأثناء الاستراحة كان التعرف على الأستاذ الشاعر المصري أحمد عبد المعطي حجازي الذي قدم إلى هذه البلاد بدعوة من مدير الجامعة الدكتور عبدالعزيز مقالح، وقيل لنا: إنه كان مقيماً في فرنسا منذ عشر سنوات إثر خلاف بينه وبين الرئيس أنور السادات.

لا يبعد السَّـدُّ عن القرية الحديثة التي يقع فيها الفندق، ولكن الطريق غير معبد، وتكثر فيه الرمال.

وقد قامت دولة الإمارات العربية المتحدة بإنشاء سَـدٍّ حديث على مقربة من موقع السد القديم قيل لنا: إنَّ إنشاءه كلف سبعين مليوناً من الدولارات، وقد تم إنشاؤه، وشاهدنا المياه محجوزة به في مساحة مَـدَّ البصر.

وقد أُعِدَّتْ منه قناة لتصريف المياه التي يحجزها، ولكن المجاري التي توزع الماء في الأراضي التي ستزرع لم تُهَيَّأْ بعد، وقيل لنا: إن المياه التي يختزنها هذا السد تكفي لري عشرة آلاف هكتار، وأنَّ الفائدة لا تنحصر فيما يحجزه من المياه التي سبجري تصريفها بقنوات الصرف في المزارع القريبة من السد، وإنما في اختزان المياه في الطبقات الجوفية من الأرض، بحيث تتسرب فتمد الآبار التي ستحفر في الأراضي الزراعية الواقعة شمال السد بالماء . ولعل من أسباب عدم الاستفادة الآن منه مايتعلق بحالة سكانه.

وهذا السَّـدُّ الذي شاهدناه يقع فوق السد القديم وهو أقصر منه، فلقد لوحظ في إنشائه أن يكون في مضيق الوادي، أما السدُّ القديم كما يبدو من آثاره فإنه أطول ويختزن كمية من المياه أكثر، لوقوعه في متسع من الوادي وادي ذَنَة (أذَنَة) وكان ممتداً بين جانبي جبل بَلْق، وهما الصَّدَفَانِ، ولاتزال آثار ذالك السـدِّ القديم قائمة تدل على عظمته وقوته ــ على أن مشاهدة ماحول السَّـدِّ من الأرض الصالحة للزراعة في الوقت الحاضر تحمل المرء على أن يتصور أن ماقيل عن القبائل التي كانت تسكن حوله بحاجة إلى التثبت، فالأرض ليست واسعة للدرجة التي تجعلها كافية لاستقرار قبائل كثيرة.

وبعد العودة من مشاهدة السـدِّ مررنا بمعبد بِلقِيسَ الذي لاتزال بعض أعمدته قائمة وقد قام بإبراز آثاره (وندل فلبس) مؤلف كتاب «كنوز بلقيس» سنة ١٣٦٩ (١٩٥٠م) كما شاهدنا آثار مدينة (سَلْحِينَ) غير بعيدة عن آثار السَّـدِّ القديم، وكانت القيلولة قد اشتدت بحيث أنَّ بعضنا وأنا أحدهم أسرع إلى الجلوس في داخل السيارة، بينما هناك من كان يسير في تلك الرمضاء المحرقة وقت اشتداد حرارة الشمس يسير على مهلٍ، ويجمع بعض الأحجار الأثرية الصغيرة كما شاهدت السيدة سهير زوجة الأستاذ الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي فأعجبت من تحملها لشدة الحر مع أن من عاش في هذه الأَجْواء أو مايشابهها لم يطق حرها.

إن منطقة مأرب أشبه ماتكون بمنخفض من الأرض تحيط به الجبال من جهات الجنوب والغرب، وتنتشر في شرقيه الرمال المتصلة بصحراء صَيْهد (الربع الخالي

تحقيقات جغرافية عن بعض الأماكن الدينية :

ـ ٢ ـ

الحـرم المكـي وحـدوده

وهذا تحديد للحرم المكي الشريف يكتب لأول مرة في التاريخ فيما أعلم. ذالك أني اشتركت في تحديده مع هيئتين من أهل العلم، ومن أهل الخبرة، ومن سكان كل جهة من جهات الحرم.

الهيئة الأولى قامت بالعمل في عام ١٣٨٥هـ واستمر عملها عدة أشهر. والهيئة الثانية عملت فيه سنتين في فترات هما عام ١٣٩٨هـ وعام ١٤٠٠هـ وقد كُوِّنَتِ الهيئتان بأوامر سامية تصدر على رئاسة القضاة ثم على وزارة العدل وعلى وِزارة الحج والأوقاف وعلى رئاسة شؤون الحرمين، والهيئتان مكونتان من:

١ ـ الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن جاسر ـ رئيس هيئة التمييز بمكة المكرمة.
٢ ـ محرر هذه الأسطر عبدالله بن عبدالرحمن البسام في الأولى قاضي المحكمة المستعجلة الثانية بمكة المكرمة، وفي الثانية قاضي محكمة التمييز بمكة المكرمة.
٣ ـ الشيخ عبدالله بن سليمان بن مَنِيع قاضي محكمة التمييز بمكة المكرمة.
٤ ـ الشيخ محمد بن عبدالله بن سُبَيِّل أحد أئمة المسجد الحرام ونائب رئيس رئاسة شؤون الحرمين.

الغربي) ولهذا فإن جَوَّهُ يختلف اختلافاً كبيراً عن جَوِّ صنعاء وما حولها من حيث ارتفاع الحرارة، يضاف إلى ذالك اشتداد الزوابع فيه بدرجة لا تطاق وخاصة في آخر النهار.

كان العود إلى الفندق وتناول طعام الغداء ، ثم الاستراحة وقتاً قصيراً والعودة إلى صنعاء .

حمد الجاسر

٥ ــ الشيخ حسن بابصيل أحد قضاة المحكمة الكبرى بمكة ومندوب عن وزارة الحج والأوقاف.

٦ ــ الشريف شاكر بن هزاع أبو بطين قائم مقام مكة المكرمة.

٧ ــ الشريف محمد بن فوزان الحارثي عضو هيئة النظر بالمحكمة الكبرى.

٨ ــ عدد كبير من سكان تلك المناطق، تستعين الهيئة بخبرتهم بالمسميات لكل جهة ممن عرفوا بالخبرة والمعرفة والثقة رافقونا في هذه المهمة، فعمدة بحثي هذا ومصدره الأمور الآتية :

الأول ــ الاطلاع على مصادر النصوص من كتب معاجم البلدان وتواريخ مكة وكتب المناسك وكتب الأحكام والتفاسير وشروح الأحاديث وغير ذالك .

الثاني ــ استصحاب أهل الخبرة والمعرفة وثقات سكان كل منطقة من جهات الحرم، ومناقشتهم ومعرفة المسميات والجبال والشعاب والأودية والبقاع وتطبيقها على ما ورد في المصادر العلمية.

الثالث ــ الوقوف على الحدود مع أهل الخبرة، والصعود إلى قمم الجبال وسفوحها للبحث عن الاعلام القديمة وآثارها، ومعرفة المسافة فيما بين حَـدٍّ وآخر، وصعودنا تارة طلوعاً على الأقدام، والأخرى بالطائرة العمودية.

والذي يقوم بمعرفة ثقات السكان ويُحْضِرُهُمْ هو أميرهم الشريف شاكر بن هزاع قائم مقام العاصمة المقدسة. وكان أغلب عملنا في فصلي الشتاء والربيع.

فالهيئتان ابتدأتا عملهما بالبحث عن حدود الحرم من (نَمِرَة) وهي بفتح النون وكسر الميم بعدها تاء مربوطة، وهي المنتهى الشرقي لسلسلة جبال فاصلةٍ بين طريق الْمَأْزِمَيْنِ وطريق ضَبٍّ ، ويذكر الفقهاء أنَّ على جبالها أنصاب الحرم إلَّا أننا لم نجد الأنصاب إلا في السهل الواقع على الضفة الغربية لوادي (عُرَنَةَ) بالنون، ففي سهل (نَمِرَةَ) المذكورة وجدنا أربعة أعلام: علمين قَدِيمين متهدمين، لم يبق منهما إلا أنصافهما، وعلمين أَجَدَّ منهما، ومن المتفق عليه بين المسلمين أن هذه

الأعلام هي أعلام الحرم الفاصلة بينه وبين الحل، فما عنهن شرق فهو عُرَنَةَ، من الحلّ، وما عنهن غَرْب فهو من الحرم.

ويذكر مؤرخو مكة في كتبهم أن المظفر صاحب إرْبِل أمر بعمارة علمين للحرم من جهة عرفة ــ بالفاء الموحدة ــ وذالك سنة ست عشرة وست مئة بعد الهجرة.

ثم اتجهنا نحو الشمال الشرقي نسير على الضفة الغربية لوادي (عُرَنَةَ) ــ بالنون ــ فوصلنا إلى مكان يسمى (الْخَطْم) عنده قرية لآل أبي سمن من قريش، ففي الوقوف الأول الذي هو في صباح عشرين شعبان عام ١٣٨٥هـ وجدنا عَلَماً قديماً متهدماً، لم يبق منه إلا نحو نصف المتر، اسطواني التصميم، مبنياً بالحجارة والنورة، وهو مُسامِتٌ لأعلامِ (نَمِرَةَ) المتقدم ذكرها ويبعد عنها بنحو كِيْلَيْنِ. أما في وقوفنا المرة الثانية في ٢٤ محرم عام ١٣٩٩هـ فلم نجد من العلم المذكور إلا أساسه، وأخبرنا المرافقون أنهم أدركوه بطول القامة.

ثم اتجهنا شمالاً حتى وصلنا جبلاً يسمى (سِتْر) وقال لنا المرافقون أن سبب التسمية أنه ستر مايليه من الحرم عن الحل، لأنه حَـدُّ الحرم من الحل، فما سال منه غرباً فهو في الحرم وماسال منه شرقاً فهو في الحِلِّ. ووجدنا في جانبيه عَلَمين مصممين تصميماً أسطوانياً بُعْدُ أحدهما عن الآخر نحو عشرة أمتار، والعلمان واقعان في عرض الجبل المذكور، كما وجدنا فوق قمة الجبل علماً قائماً على شكل اسطواني أيضاً، يبعد عن هذين العلمين نحو خمسة عشر متراً، ثم وجدنا في سفح جبل (ستر) مما يلي الشمال بمسافة تبعد عن الأعلام الثلاثة مئة متر عَلَماً في شكل وتصميم الأعلام الثلاثة، قد تهدم بعضه وبقي منه نحو ثلاثة أرباع المتر.

ثم اتجهنا نحو الشمال حتى وصلنا إلى ثَنِيَّة يقال: إنها تسمى ثَنيّة عبدالله بن كريز، وهي واقعة في سفح جبل الطارقي فوجدنا فيها علماً على شكل الذي تقدم قبله، لم يبق منه إلا أساسه، ويبعد هذا العلم عن أعلام ــ جبل (سِتْر) نحو خمسة أكيال وهو واقع عنها شمالاً.

قال الأزرقيُّ: النبعة بعضها في الحل وبعضها في الحرم، فما سال منها شمالاً

فهو في الحرم وماسال منها جنوباً فهو حِلٌّ .

ثم صعدنا جبل الطارقيِّ فوجدنا في شرقيه علماً، ثم اتجهنا في أرض مستوية حتى وصلنا إلى علمي طريق نجد والعراق المارّ بالشرائع، وهما علمان كبيران، يمرهما الطريق العام متجهاً إلى السيل والطائف والْحَوِيَّة ونجد والعراق وبلاد الشرق، وتقدر المسافة بين هذين العلمين وبين ثنية عبدالله بن كريز بنحو أربعة أكيال.

ثم اتجهنا إلى جبل (السّتار) قال الأزرقي: سُمِّيَ السِّتَار لأنه سِتْرُ مابين الحل والحرم. فوجدنا فيه علماً أسطوانياً باقياً لم يندثر إلا قليل من رأسه، وهو في الجانب الشمالي من الجبل، ويبعد جبل الستار عن علمي طريق الشرائع المتجه إلى نجد نحو كيلٍ ونصف الكيل. وجبل الستار يقابله شرقاً جبل الْمَقْطَع ويمرُّ من بينهما خل المستنفرة. ثم اتجهنا إلى ثنيَّة هي سفح جبل المقطع وهذه الثنيَّة منتهى الحرم من طريق العراق وسماها الفاكهي: ثَنِيَّة خَلِّ الصّفاح فقال: ثنية خَلِّ الصفاح بطرف المقطع منتهى الحرم من طريق العراق.

ثم اتجهنا شمالاً مع السفح الغربي لجبل المقطع حتى وصلنا إلى شعب بين السفح الغربي لجبل المقطع والسفح الغربي لجبل الستار، فوجدنا ثلاثة جبال صغار سُود، يقال لهن الغِرْبَان، وتقع شمال جبلي الستار والمقطع، وفي الوسط من هذه الجبال الثلاثة علم قد بُنِيَ بالحجارة والنورة وهو الآن متهدم.

ثم اتجهنا شمالاً إلى ثَنِيَّةٍ بيضاء هي الفاصلة بين وادي ثُرَيْر وشعب عبدالله بن خالد بن أسيد، فماسال منها شرقاً نزل على ملعب لحيان، وهو رأس وادي ثُرَيْر وهو حِلٌّ ، ومانزل منها غرباً فهو على شعب عبدالله بن خالد بن أسيد وهو حرم وتسمى هذه الثنيّة البيضاء ــ المستنفرة ــ .

قال الأزرقيُّ : المستنفرة ثنيّة تظهر على حائط ثُرَير، على رأسها أنصاب الحرم، فماسال منها على ثُرير فهو حِلٌّ وماسال منها على الشِّعْبِ فهو حرم.

ثم اتجهنا نحو الغرب فوصلنا إلى ثنية يقال لها ــ النَّقْوَى ـ ونزلنا من هذه الثنية

على شعب عبدالله بن خالد بن أسيد، ونحن في هذا السير متجهون نحو الغرب، وعلى يميننا سلسلة جبال تحد الشعب المذكور من ضفته الشمالية، فبحثنا في قمم هذه السلسلة، فوجدنا فيها أعلاماً كثيرة متهدمة، مما يؤكد أن ماسال من هذه السلسلة على شعب عبدالله بن أسيد وهو السفوح الجنوبية فهو حرم، وماسال على السفوح الشمالية فهو حِلٌّ ، فَقِمَمُ هذه السلسلة سائرة نحو الغرب حتى تصل إلى التَّنْعِيم ، وسنفصلها فيما يلي :

بَشْم : ــ بالباء الموحدة ثم شين معجمة ثم آخره ميم ــ : ريعٌ ينزل على شعب عبدالله بن أسيد وجد في القمة التي في الثنية علما كالأعلام السابقة، وقد أكد لنا المرافقون أنهم أدركوه علما قائما. كما أكدوا أنَّ ماسال من هذه القمة شمالاً فهو حلٌّ وماسال منها جنوباً فهو حرم. وبين ريع بشم وبين النَّقْوَى المتقدمة نحو أربعة أكيال.

بَغْبَغَة : ــ باء موحدة بعدها غين معجمة ثم باء موحدة ثم غين معجمة ثم تاء مربوطة: ــ قمة حمراء بينها وبين بشم ــ نحو أربعة أكيال وفي قمة بغبغة علم كالأعلام السابقة.

حجلى: شعب فيه علم كالعلمين السابقين في بشم وبغبغة وبين حجلى وقمة بغبغة نحو ــ خمسة أكيال.

جبال اليسر: قمم جبال متصل بعضها ببعض تبعد عن قمة حجلى ــ بنحو نصف كيل، وجدنا فيها ثلاثة أعلام مشابهات للأعلام السابقة.

الشرفة : ثنية تنفذ على وادي ياج ــ بالياء المثناة التحتية بعدها ألف فجيم ــ قال لنا المرافقون من السكان وأهل الخبرة: ماسال من هذه الشرفة شمالاً فهو على وادي ياج فهو حِلٌّ وماسال منها جنوباً فهو حرم ومن جبال اليسر ــ إلى بشم ــ نحو ثلاثة أكيال.

ثم اتجهنا إلى التَّنْعِيم، والتنعيم يمره الطريق العام المتجه إلى وادي الجَمُوم ــ وادي مَرِّ الظهران ــ وهو طريق المدينة المنورة، وتسميه الناس مساجد عائشة لأن

عائشة رضي الله عنها أحرمت منه لعمرتها عام حجة الوداع لأنه أقرب الحل إلى المسجد الحرام.

قال مؤرخو مكة ومنهم الفاسي وابراهيم رفعت وطاهر الكردي وغيرهم: إنَّ العلمين الكبيرين اللذين في التنعيم أمر بعمارتهما الخليفة العباسي الراضي وذالك في عام خمسة وعشرين وثلاث مئة.

قال الفاسي في «شفاء الغرام» واسمه مكتوب عليهما. وقال في«مجموع المنقور» نقلاً عن «جمع الجوامع» لابن عبد الهادي: الأعلام المنصوبة عند مساجد عائشة هما علمان كبيران وأعلام صغار متصلة بالجبلين من الجانبين يسميها العامة خطوات النبي، أو خطوات علي.

شرفة شَيْق: ثم اتجهنا من التنعيم غرباً مع شعب يقال له ملحة ــ يمتد إلى شرفة شيق، وقد وجدنا علمين مندثرين أحدهما فوق ربوة يبعد عن أعلام التنعيم نحو ثلاثة أكيال والعلم الثاني إلى الشمال بنحو نصف كيل. ثم يتصل الحد إلى شعب شيق.

ذات الحنظل: قال الأزرقي: شيق طرف بَلْدَح الذي يُسلك إلى ذات الحنظل، من يمين طريق جدة، وذات الحنظل ثنية في مؤخر هذا الشعب وأنصاب الحرم على رأس الثنية. انتهى كلام الأزرقي. قلت: ذات الحنظل هي ما يسمى الآن (أم الجود) فمايسال من رأس الثنية المذكورة جنوباً فهو حرم، وكان رأس الثنية هو أحد مدخلي مكة من المدينة المنورة ووادي الجموم. قال الأزرقي: هو طريق المدينة الغربي، والأنصاب على هذه الطريق على رأس الثنيَّة تسمى ذات الحنظل.

والمسافة بين التنعيم وبين ذات الحنظل تقدر بنحو خمسة أكيال.

الرحَا: ثم يتجه الحد غرباً ليتصل بالرَّحَا، والرحا رِيْعٌ يُصبّ من جهته الجنوبية بذات الحنظل وهو حرم ويصب بجهته الشمالية في وادي سَرِف، وهو حل، ووجدنا في رأس هذا الرِّيع علمين على يمين الريع وعلى يساره كقبضتي

الباب.

قال الأزرقيُّ: الرحا في الحرم وهو مابين أنصاب المصانع إلى ذات الجيش. انتهى. والرحا ثنّية ينفذ منها من بين جبال شاهقة وهذه الثنيَّة هي كانت طريق المدينة المنورة الغربي كما تقدم ذكر ذالك عند ذات الحنظل. أما الطريق الشرقي فهو الطريق العامر الآن والمار بالتنعيم كما تقدم وصفه.

وبناء على أنَّ هذا أحد مدخلي مكة المكرمة من المدينة ومن وادي الجموم فقد وجدنا أعلاماً كثيرة تزيد عن العشرة على قمم تلك الجبال، فكونها طريقاً رئيساً حظيت بالعناية بكثرة الأعلام لتمييز الحل فيها عن الحرم، فسيل هذه الجبال من الجنوب في الحرم، وسيلها من الشمال في الحل.

المُرَيْر: ومن ثنية الرَّحَا يتجه الحرم غرباً بسلسلة جبال حتى يصل إلى ثنيّة المُرَيْر ــ تصغير مُرّ ــ وعلى قمم هذه السلسلة أعلام كثيرة تزيد عن العشرين مُنْذَثِرَةً وباقي مؤنتها من الحجارة والنورة عندها. وماسال من هذه الجبال شمالاً فهو في الحل وماسال منها جنوباً فهو في الحرم.

ثم بعد ثَنِيَّة المرير تستمر سلسلة جبال متجهة إلى الغرب تطل على وادي الجوف، ووجدنا في قِمَمِها أعلاماً كثيرة بين كل علم عن الآخر نحو خمسين متراً وهي مهدمة وآخر علم منها يبعد عن ثنيَّة المرير بنحو كيل ونصف كيل.

قال ابن اسحاق في السيرة: وخرج رسول الله ﷺ حتى إذا سلك في ثنية المُرار بركت ناقته فقال الناس: خَلأَتْ ناقته فقال: «ماخلأت وماهو لها بِخُلُقٍ ولكن حبسها حابسُ الفيل عن مكة، لا تدعوني قريش اليوم إلى خُطَّةٍ يسألونني فيها صلةَ الرحم إلا أعطيتهم إياها» قال ياقوت: وثنية المُرَار مهبط الحديْبِيَةِ.

وبعد سلسلة تلك الجبال تستمر حدود الحرم على الأمكنة الآتية:

الراحة: على يمين الذاهب إلى جدة.

الجُحْفَة: ردهة يجتمع فيها الماء يقال لها: النحاير: وبعض النحائر في الحل

وبعضها في الحرم، وهي على يمين الذاهب إلى جدة.

الأعشاش: ردهة تتصل من الشرق بالنحائر ومن الغرب بالحديبية وتسمَّى الآن الشميسي ــ بعض الأعشاش في الحرم وبعضها في الحل فما أقبل من الأعشاش شمالاً فهو حل وسيله يتجه إلى مر الظهران وما أقبل منه جنوباً فهو حرم لأن سيله يصب في المرير من الحرم.

الحديبية: ثم اتجهنا إلى ــ أعلام الشميسي ـ الحديبية ـ وفيها العلمان الكبيران اللذان يمرُّ بهما طريق مكة إلى جدة القديم المار بِحَدَّة ثم بحرة ثم أم السلم.

ولم أعثر على تاريخ هذين العلمين ولا من بناهما. وإنما الذي وجدته للشيخ طاهر الكردي قوله: يوجد علمان عند الشميسي المسمى قديماً بالحديبية بطريق جدة وهما يقابلان الكيلو ــ ١٩ ــ يعني من مكة.

وهذان العلمان قديمان يقعان في الطريق القديم لقافلة الجمال ثم إنه في جمادى الأولى من سنة (١٣٧٦هـ) ست وسبعين وثلاث مئة وألف بُني علمان آخران في مقابلة العلمين القديمين، وبنيا في طريق السيارات المزفلت عند الكيلو ــ ١٩ ــ وكان ذلك بأمر صاحب الجلالة الملك المعظم سعود بن عبدالعزيز آل سعود وفقه الله تعالى لكل خير. انتهى.

قال ياقوت الحموى وغيره: الحُديبية قرية متوسطة ليست بالكبيرة سميت ببئر هناك عندها مسجد الشجرة التي بايع رسول الله ﷺ أصحابه تحتها، وبعض الحديبية في الحلِّ وبعضها في الحرم، وهي أبعد الحلِّ من البيت، وليست في طول الحرم ولا في عرضه بل هي في مثل زاوية الحرم فلذالك صار بينها وبين المسجد أكثر من يوم ــ انتهى. وتسمى الآن ــ الشميسي ــ بسبب أحجار فيها حمر تعمل منها الرُّحيّ.

وبئرها المذكورة تسمى الهديبة ــ وأخبرني الشيخ محمد حسين نصيف رحمه الله أنه كان يسكن عندها رجل ليس بعربي وكان يسقي الناس منها ويسميها بلغته ــ الهديبة ــ فنسي الاسم الصحيح وبقي الاسم المحرف.

فتحقق لنا أن في الشميسي أربعة أعلام اثنان قديمان على الطريق الحالي وكان طريق الإبل وغيرها في القديم، والعلمان الآخران بِحَذْوِهِمَا من الجنوب، أمر ببنائهما الملك سعود بن عبدالعزيز رحمه الله .

وبعد أعلام الشميسي اتجهنا جنوباً إلى (أظلم) جبل يمتد من الشمال إلى الجنوب ويقطعه طريق جدة إلى مكة الجديد السريع وبين طرفه الشمالي وبين الشميسي نحو ثلاثة أكيال أما جبل أظلم فيمتد إلى طريق الليث بطول بنحو سبعة أكيال، ووجدنا عليه سبعة أعلام متهدمة.

وفي الوقوف الأول عام (١٣٨٥هـ) لم يكن عند الهيئة تردد في أنه حَدٌّ للحرم.

أما في هذه المرة عام (١٤٠٠هـ) فصار عند الشيخ عبدالله بن مَنِيع والشيخ محمد بن سُبَيِّل بعضُ التردد، في كونه حـداً إلاَّ أن المرافقين من السكان وأهل الخبرة لم يتردُّوا في صحة الحد، واعتبارهم إياه حَداً يتوارثونه مع وجود الأعلام فيه، ومحاذاته لأعلام الشميسي.

الدومة : ومن سلسلة جبل ــ أظلم ــ اتجهنا نحو الشرق مع سهل ممتد قال المرافقون: إن هذه بلدان لجماعة من الأشراف يقال لهم العرامطة يسمَّى ذالك السهل أم هشيم، حتى وصلنا هضبة تسمى الدومة الجنوبية ــ ووجدنا فيها علماً مندثراً.

البشائم: ثم في نفس الاتجاه ذهبنا إلى البشائم ــ قال الأزرقي : البشائم ردهة تمسك الماء فيما بين أضاة لُبْن بعضها في الحل وبعضها في الحرم.

اضاة لبن: وبالقرب من البشائم في نفس الاتجاه أضاة لبن ــ قال الأزرقي : أضاة لبن في طريق اليمن من جهة تهامة وأنصاب الحرم على رأس جبل غراب، بعضه في الحل وبعضه في الحرم.

وقال ياقوت: أضاة لبن من حدود الحرم على طريق اليمن. انتهى.

وقال الفاكهي : وأما لبن فهو في طرف أضاة لبن، والأضاة هي الأرض ولبن

هو جبل طويل له رأسان والأضاة من أسفله.

غُرَّاب: بضم الغين المعجمة وتشديد الراء ــ: جبل يلي أضاة لبن بعضه في الحل وبعضه في الحرم. قال الأزرقيُّ: غراب جبل بأسفل قرية بعضه في الحل وبعضه في الحرم.

البيبان: على نفس طريق اليمن فيها أكمات بينها منافذ تشبه البيبان، وعلى تلك الأكمات أعلام واضحة هي حدود الحرم.

مهجرة: ويليها من الشرق جبل أسمر يقال له مهجرة، وفيه علم قديم. ووضعنا عليه مسمار حديد في الوقوف الأول عام ــ ١٣٨٥هـ. ووجدناه في الوقوف الثاني عام ١٤٠٠هـ.

صيفي: وفي شرق جبل مهجرة قرن صغير أبيض يقال له صيفي عليه علم وهو في سمت مهجرة نحو الشرق.

عارض الحصن: ثم يمتد حد الحرم من القرن المسمى صيفي إلى سلسلة جبال تمتد من الغرب إلى الشرق يقال لها عارض الحصن، فماسال من سلسلة تلك الجبال شمالاً فهو حرم، وماسال منها جنوباً فهو في الحل.

والحدود الثلاثة مهجرة وصيفي وعارض الحصن في بلدان زراعية تسمى الحُسَيْنية.

قرن العميرية: ومن عارض الحصن يتصل الحدُّ بضفةً وادي عُرَنَة الغربية وهي نهاية حَدِّ الحرم من هذه الناحية، وعلى ضفة الوادي جبل يقال له ــ قرن العميرية. نسبة إلى بلاد زراعية تحته.

نمرة: ومن قرن العُميرية يُسامِته على ضفة الوادي المذكور جبال نَمِرةَ التي هي حَدُّ الحرم والتي كان منها ابتداء التحديد. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

مكة المكرمة: عبدالله بن عبدالرحمن البسام

أحوال شبه الجزيرة العربية
قبل قيام الدولة السعودية الأولى

أولاً: **الحالة السياسية**: ــ لقد كانت الحياةُ السياسية في شبه الجزيرة العربية قبل قيام الدولة السعودية الأولى ــ وبالتحديد خلال النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري الموافق للثامن عشر الميلادي ــ مضطربة يسودها الانقسام، وتعمُّها الفرقة وعدم الاستقرار، وتكثر فيها الإمارات والمشيخات.

فَبِالنِّسْبَةِ للحالة السياسية في منطقة نجد فإنها اتسمت بالتفكك السياسي، والصراع الدائم حول السلطة بين حكام المنطقة من أمراء مدن وشيوخ قبائل، فلم يكن فيها عند قيام الدولة السعودية وظهور الدعوة الإصلاحية دولة قوية توحدها بكاملها وتلمُّ شملها، لها نظمها وأوضاعها الثابتة المستمدة من الشريعة الإسلامية، تعمل على تحقيق كل مافيه الخير لسكانها، ورعاية مصالحهم، والسهر على أمنهم وسلامتهم، فتقوم مثلا بجبي الزكاة من سكانها، وتمنع عنهم العدوانَ بكل أنواعه وأشكاله وأهدافه، وتعاقب الفسقة والجناة والظلمة، على ما اقترفوه من ذنب على حسب أحكام الشريعة الإسلامية، وتنصر المظلوم على الظالم، وتهتم بكل مافيه خير البلاد والعباد، بشكل عام يغطي كامل منطقة نجد وليس جُزْءاً صغيراً منها. بل كان أمراء المدن وشيوخ القبائل هم المسيطرون كل منهم في دائرته أو مدينته أو قبيلته، لهم الحكم المطلق على مدنهم أو مناطقهم أو قبائلهم، والسلطة العليا فيها. وغالباً ماكانت أحكامهم تسير على حسب رغباتهم الشخصية وليس على حسب أحكام الشريعة الإسلامية.

ومما زاد الحالة سُوْءاً أَنَّ معظم هذه الإمارات والمشيخات كانت في حالة تناحر وتصارع مع بعضها، والحروب مستمرة فيما بينها، مما جعل كل إمارة تعيش في حالة خوف ورعب مستمر.

وأهم تلك الإمارات في نجد في تلك الفترة هي: ــ

١ ــ إمـارة آل سعود في الدِّرعْية، وهي أقدم الإمارات في نجد حيث تأسست على يد كل من مانع الْـمُرَيْدِي وعلي بن دِرْعٍ حوالي عام ٨٥٠ هـ . كما أنها أكثر الإمارات استقراراً، وخاصة عندما تولى الإمام محمد بن سعود الإمارة فيها عام ١١٣٩هـ/ ١٧٤٤م، والذي عمل على تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية وعدم الاعتداء على جيرانه، فعاشت إمارته في أمن ورخاء وسلام[١].

٢ ــ إمارة آل مُعَمَّرٍ في العُيَيْنَةِ: وهي من أقدم وأقوى الإمارات في نجد أيضاً، وخاصة في عهد أميرها عبدالله بن محمد بن حمد بن عبدالله بن مُعَمَّرٍ، الذي تولى الإمارة خلال الفترة ١٠٩٦هـ ــ ١١٣٨هـ .[٢] ولكن بالرغم من قوة العُيَيْنَةِ فإنَّ هذه القوة لم تصل بها إلى درجة الاخلال بميزان القوى السياسي والعسكري لصالحها[٣].

٣ ــ إمارة دِهَامِ بن دَوَّاس في الرياض.

٤ ــ إمارة آل زامل في الخرج واليمامة .

٥ ــ إمارة آل حُجَيْلَان في القصيم .

٦ ــ إمارة آل عليٍّ وآل شَبِيب في حائل .

أما بالنسبة للقبائل في نجد فإنه كان لكل شيخ قبيلة السلطة المطلقة على قبيلته وأماكن سكناها. ومؤهلات الزعامة السياسية في بادية نجد آنذاك هي المؤهلات التي كان توفرها ضرورياً للوصول إلى مركز القيادة لدى القبائل العربية في العصور المختلفة. وإذا كان من المسلم به أَنَّ أَصالة النسب كانت متوافرة لدى أسرة القبيلة كلها فإنَّ التفاوت بين الأفراد كان نتيجة لأمور أخرى كالكرم والشجاعة والحلم وسداد الرأي. ومتى ازداد توافر هذه الصفات في أحد رجال القبيلة ازدادت فرص تقلده مركز قيادتها.

ومع أن زعيم القبيلة كان يختار حسب مؤهلاته القيادية الذاتية من قبل رؤساء العشائر والبطون ــ ومن وراءِ هؤلاء وأولئك بقية الأفراد ــ فإنَّ قرب الفرد نسبياً من الزعيم السابق كان من بين مرجحات زعامة من سيخلفه. ولهذا نلاحظ أن

الزعامة لا تخرج في غالب الأحيان عن أسرة الزعيم السابق نفسها، حتى أصبحت لدى كثير من القبائل وراثية أسرية تقليدية[٤].

هذا ويجب أن نعلم أن الصراع حول السلطة كان أمراً مألوفاً في تاريخ جميع الأُسَرِ في مختلف بلاد العالم، وعلى مر عصور التاريخ، وأن نسبة ذالك الصراع كانت تتأثر عادة باختلاف الظروف والأحداث التي تمر بها المنطقة. وبذالك فإنه ليس غريباً أن تكون تلك الإمارات في نجد في حالة صراع شديد فيما بينها، ذالك لأن المنطقة كانت في تلك الفترة تمر بظروف وأحداث سياسية كان لها دورها في خلق ذالك المناخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

وعلى ضَوْءِ ذالك أصبح التفكك السياسي في نجد نتيجة طبيعية، فغدت كل بلدة تشكل إمارة مستقلة بذاتها، لها علاقتها الودية أو العدائية مع جيرانها. وتحتم على كل أمير أن يجمع قواته وأعوانه ويصبح في حالة استعداد عسكري دائم للدفاع عن إمارته، وربما تستدعيه الظروف إلى مهاجمة خصمه، والحصول منه على ما أمكن من غنائم، وبذالك كانت القوة هي الحل الوحيد لكثير من المشاكل[٥].

ويؤيد ذالك ماذكره عثمان بن بشر في وصفه للحالة السياسية في نجد في تلك الفترة، فيذكر أن بلاد نجد كانت (موضع الاختلاف والفتن، ومأوى الشرور والمحن، والقتل والنهب والعدوان، بين أهل القرى والبلدان، ونخوة الجاهلية بين القبائل والعربان، يتقاتلون في وسط البيوت والأسواق، والحروب بينهم قائمة على قدم وساق، وتعذرت الأسفار من قديم وحديث، والطيب فيها مغلوب تحت يد الخبيث، فقام الشيخ رحمه الله تعالى بهذا النُّور، وزالت هذه الشرور، وقام ملوك (آل سعود) بالجهاد فملكوها، وجهزوا الجيوش لأقصى نواحيها وسلوكها)[٦].

أما بالنسبة للأَحساء فإنها انضمت إلى الدولة العثمانية في عام ٩٦٠هـ الموافق ١٥٥٢م[٧]، وذالك عندما وجه السلطان سليمان خان بن السلطان سليم جيشاً كبيراً من العراق إلى الأحساء، وجعل قيادته بيد القائد محمد باشا الملقب بـ (فروخ) وقد تمكن هذا الجيش من ضم الأحساءِ للدولة العثمانية في العام نفسه. وكان هذا الجيش يضم أعداداً كبيرة من أبناء القبائل القاطنة في جنوب العراق،

ومن أهمها قبيلتا المُنتفق والظَّفير.

وقد أقامت الدولة العثمانية حكماً عسكرياً عثمانياً في الأحساء، واتخذت من الهفوف عاصمة للمنطقة، واعتبرت منطقة الأحساء الخطَّ الدفاعي الشرقي عن الأماكن المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة، كما أنها أسست في الْـعُقَير والقطيف قواعدَ بحرية ثابتة للدفاع عن المنطقة من أيِّ تدخل أجنبي. وقد استمر الحكم العثماني في الأحساءِ حتى عام ١٠٨٠هـ/ ١٦٦٩م[٨]، تعاقب على الحكم فيها عدد من الولاة العثمانيين. ففي ذالك العام تمكن بَرَّاكُ بن عبدالعزيز بن عثمان بن سعود بن ربيعة آل حميد، من قبيلة بني خالد من الاستيلاء على السلطة في الأحساء وإخراج الولاة الأتراك منها. ولم تستطع الدولة العثمانية مقاومته، وذالك لانشغالها في منازعات وحروب في جهات متعددة من الدولة، ولالتفاف القبائل في المنطقة حول بَرَّاكٍ وتأييدهم له.

وقد اهتم براك بتأسيس حكم بني خالد في الأحساء، وجعل من مدينة الْـمُبَرَّزِ عاصمة ومركزاً لحكمه، كما أنهى الحكم العثمانيَّ في الأحساء وحارب قبائل الظَّفِير الواقعة جنوب العراق وذالك لأنها ناصبته الْـعِدَاء، وحاولت الاستيلاء على القطيف، أحد المنافذ البحرية الهامة لمنطقة الأحساء بعد ميناء الْـعُقَيْر. ولايستبعد أن يكون للوالي العثماني في العراق يَـدٌ في هذا الصراع، لأنه كان يشق عليه أن تخرج الأحساء من يده. ولذلك نجده يُشجع القبائل المتاخمة حدودها لمساكن بني خالد، مثل قبيلتي الظفير والمنتفق على محاربة بني خالد، ومحاولة اخراجهم من الأحساء، لكن بَرَّاكاً تصدَّى لهذا التحرك واستطاع أن يتصدى لقبيلة الظفير ويبعدهم عن المنطقة. وقد استمر حكم براك حتى عام ١٠٩٣هـ الموافق ١٦٨٢م، وجاء من بعده أخوه محمد، وكان حسن السيرة والسلوك، كريماً متواضعاً. وعندما تولى الحكم خصص لكل طائفة من بني خالد منزلاً، وعين عليهم شيوخاً منهم، ومنحهم الأراضي لرعي مواشيهم وإبلهم، وسعى إلى استمرار قبيلته في السلطة.

وقد حاول محمد مَـدَّ سلطته إلى نجد لكنه فشل في ذلك. وقد توفي محمد في

عام ١١٠٣هـ الموافق ١٦٩١م، فتولى من بعده ابنه سعدون، فسار على نهج أبيه. كما أنه حارب قبيلتي الظفير والفضول لموقفهما العدائي ضد قبيلته، واستمر حكمه حتى وفاته عام ١١٣٥هـ الموافق ١٧٢٢م. وبعد وفاته انقسم الحكم في بني خالد، واستمر هذا الانقسام والصراع الداخلي بين أسرة بَرَّاكٍ والأسر الأخرى مدة من الزمن، حتى جاء علي بن محمد بن عريعر وتسلم زمام السلطة في بني خالد، بعد صراع عنيف مع أبناء عمومته، وقد استمر حكمه حتى عام ١١٤٣هـ الموافق ١٧٣٠م، حيث قتل في ذالك العام. وقد تولى من بعده أخوه سليمان، الذي في عهده اتسع حكم بني خالد حتى شمل منطقة نجد بكاملها، وفي عهده نشطت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية، فعمل على محاربتها وإجبار عثمان بن مُعَمَّرٍ على إخراج الشيخ محمد بن عبد الوهاب من العُيَيْنَةِ في أواخر عام ١١٥٧هـ الموافق ١٧٤٤م، لأنه أحسَّ أن تطبيق أحكام الشريعة سوف يزعزع حكمه وزعامته، لأنه لا يسير في أحكامه حسب الشريعة الإسلامية بل حسب أعراف وتقاليد قبيلته. ولذالك أعلن العداءَ لهذه الدعوة، وأخذ يعمل لمحاربتها. وحيث أنه كانت له بعض السيطرة المادية على عثمان بن معمر أمير العيينة في تلك الفترة، فإنه طلب منه قتل الشيخ محمد بن عبد الوهاب، أو بعثه إليه، أو على الأقل إخراجه من العُيينة. وقد أنذره إن لم يفعل ذالك بأنه سوف يقطع عنه جميع المعونات المادية التي كان يرسلها إليه، كما سيقطع عنه ريع مزارعه التي يملكها في الأحساء، والتي يقدر ريعها بنحو ستين ألف جنيه عثماني من الذهب[٩]. ويظهر أن عثمان بن معمر فضل الناحية المادية على الناحية الدينية، ولذالك أبلغ الشيخ محمد بن عبد الوهاب بأن عليه ترك العيينة، والاتّجاه إلى أية إمارة أخرى، وذالك لأنه كان يخشى من بطش سليمان الحميدي، وقطعه للمعونات المادية وريع مزارعه بالأحساء التي كان يرسلها له وبخاصة أن تلك الموارد كان لها أثرها الكبير على الناحية الاقتصادية في العيينة، فإذا ما انقطعت فإنَّ العيينة ربما تعيش أزمة اقتصادية كبيرة. وقد حاول الشيخ محمد بن عبد الوهاب صرف عثمان بن معمر عن موقفه ضده، وأن الله سوف يجعل له نصراً قريباً، لأن الله ينصر من ينصره لكن الأمير عثمان بن معمر استمر على موقفه، فلما وجد الشيخ محمد بن عبد

الوهاب أنه لابد له من الرحيل، فكر مليًّا في الأمر، فوجد أن أحسن مكان لهذه الدعوة هو مدينة الدرعية، وذالك للأسباب التالية: ــ

١ ــ معرفته التامة بأميرها الأمير محمد بن سعود وحسن سيرته.

٢ ــ حرص الأمير محمد بن سعود على تطبيق الشريعة الإسلامية بين رعيته.

٣ ــ أن الأمير محمد بن سعود يعتبر أميراً مستقلاً في إمارته ولايعتمد على مساعدات خارجية أيًّا كان نوعها من أيَّة إمارة أو قبيلة في نجد أو غيرها.

٤ ــ قوة الدرعية ومناعتها إذا قورنت بقوة الإمارات الأخرى المحيطة بها، فلقد استطاعت صَدَّ غزوة سعدون رئيس الأحساء التي وجهها إليها عام ١١٣٢هـ.

٥ ــ قرب الدرعية لمدينة العيينة.

٦ ــ استقرار الحكم فيها.

٧ ــ وجود عدد كبير من تلاميذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب من أسرة آل سُوَيلم أو غيرهم ممن رحلوا من الدرعية. ولذالك خرج الشيخ محمد بن عبد الوهاب من العيينة في أواخر عام ١١٥٧هـ الموافق ١٧٤٤م واتجه إلى الدرعية. وعندما علم الأمير محمد بن سعود بوصول الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الدرعية استقبله خير استقبال هو وإخوته وأكرم وفادته وناصر دعوته[١٠].

استمر سليمان في حكم الأحساء فترة من الزمن حتى أبعدته أسرته، نظراً لسلوكه السيِّءِ ففرَّ إلى الخرج، ومكث بها بعض الوقت وتوفي بعد ذالك في عام ١١٦٦هـ الموافق ١٧٥٢م، فتولى من بعده عريعر بن دُجَيْنِ بن سعدون بن محمد ابن غُرير الحميدي، فاستمر في مواصلة الحرب ضد آل سعود في الدرعية، فقاد ثلاث حملاتٍ كانت نتائجها جميعها الفشل. ويمكن دراسة تلك الحملات ضمن دراسة تاريخ الدولة السعودية والتي استطاعت محاربة بني خالد في الأحساء وضم الأحساء نهائياً للدولة السعودية في عام ١٢٠٨هـ الموافق ١٧٩٣م.

43960

وقد أصبح الأحساء بعد ذالك جزءاً من الدولة السعودية فنشر فيه آل سعود العدل والأمن والاستقرار.

أما إقليم الحجاز فكان تابعاً للدولة المملوكية حتى عام ٩٢٣هـ الموافق ١٥١٧م[١١] حيث انضم تلقائيا وبدون قتال في ذالك العام إلى الدولة العثمانية، وذالك عندما أوفد الشريف بركات الثاني حاكمُ الحجاز ابْنَهُ أبا نُمَيٍّ إلى السلطان سليم الأول ومعه خطاب يعلن فيه ولاءه وانضمامه إلى الدولة العثمانية.

وقد كانت الحالة السياسية في الحجاز بعد دخوله تحت النفوذ العثماني (ضرباً من الفوضى والفتن والاضطرابات والاستبداد مما لا مزيد عليه)[١٢]. وذالك لتنازع الحكام المحليين على السلطة في البلاد، مما أغرق البلاد في حروب دامية جرت ويلاتها على السكان الأبرياء. وللحد من تلك الصراعات الأَسَرِيَّةِ على الحكم فإنَّ العثمانيين سعوا أخيراً إلى الْحَدِّ من سلطة الأشراف، حيث أنهم كانوا يرسلون إلى مكة والياً يمثل السلطان، ومحافظاً في المدينة المنورة، وعدداً من القادة العسكريين برتبة قائد لقيادة الفرق العسكرية في كل من مدينة جدَّةَ وميناء ينبع والطائف.

وبانضمام الحرمين الشريفين للدولة العثمانية أصبح السلطان العثماني يعتز بأن يلقب بخادم الحرمين الشريفين، كما أصبح لزاماً على الخطباء في الحجاز كما في غيرها من ولايات الدولة العثمانية، الدعاء للسلطان العثماني في خطبة الجمعة والأعياد.

ولقد أصبح تعيين شريف مكة خاضعاً لموافقة السلطان العثماني، ولمدة لاتزيد عن عام واحد فقط، يتم تجديد ها بإرادة سلطانية، بعد موافقة السلطان في بداية كل عام.

أما بادية الحجاز فَحَدِّثْ ولا حرج، من قطعهم للطرق وإخافَةِ السبل، وغدر بعضهم البعض، وجهلهم الواسع بأمور الدنيا والدين، وبعدهم عن تحكيم كتاب الله وسنة رسوله ــ صلى الله عليه وسلم[١٣].

وهكذا نجد أن السلطة في المدن الكبيرة في الحجاز كانت بيد القادة الأتراك.

أما البوادي فتركوا أمرها الكامل إلى شريف مكة، يقوم على إدارتها وفَضِّ منازعاتها، إلاأنه على الرغم من كل ذالك فإن الصراع بين البادية فيما بينهم وبين السلطة الحاكمة لم يتوقف. ذالك لأن البادية كانت تتدخل بين الحين والآخر في شؤون الأقليم، فيحدث نتيجة لذالك صراع مرير بين البادية وبين القوات التركية المرابطة في الحجاز مما يغرق المنطقة في حروب دامية واضطرابات واسعة لفترة طويلة.

ومنذ أوائل القرن الثالث عشر الهجري بدأ الضعف يدب في كيان الدولة العثمانية، نتيجة لفساد الكثير من نظمها الداخلية، والتي كان بعضها بعيداً عن الروح الإسلامية قلباً وقالباً، ولكثرة الحروب التي شنتها كل من روسيه والنمسا ضدَّها، بغية تصفية ممتلكاتها في أوربا أولاً، ثم القضاء عليها ثانية. وقد انعكس هذا الضعف بصور متفاوتة على البلاد العربية الخاضعة للحكم العثماني. ولقد كان الحجاز بصورة عامة، ونجد والأحساء بصورة خاصة من جملة تلك المناطق التي لم تجد من الدولة العثمانية العناية المطلوبة والحماية القوية، حتى كدت تقع فريسة للاستعمار الأوربي المتربص بها والطامع في موقعها وثروتها[١٤].

أما منطقة عَسِير فقد كانت في بداية القرن الثاني عشر الهجري تعيش في عزلة تامة عن سائر أجزاء شبه الجزيرة العربية وذالك بحكم صعوبة مسالكها، ووجود قمم جبالها العالية، وكانت الفوضى والمنازعات تعمُّ جميع مدنها، وذلك لأن السلطة فيها كانت غير قوية[١٥].

وفي عام ١٢١٥هـ. قام محمد بن عامر أبو نُقطة أحدُ رؤساء عسير آنذاك بزيارة للدرعية، والاتصال بالإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود. وقد رحب به الإمام عبد العزيز وأحسن إكرامه، واتفق الاثنان على محاربة البدع والخرافات، وتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية. كما قام الامام عبد العزيز بإرسال قوة عسكرية كبيرة لمساندة محمد بن عامر في تحركاته. وبعد ضم الحجاز للدولة السعودية الأولى عام

١٢٢١هـ، تم ضم عسير بكامله وأصبح جُزْءاً من الدولة السعودية الأولى حتى سقوطها عام ١٢٣٣هـ.

أما بالنسبة لليمن فلقد خضع للسيادة العثمانية منذ أن تَمَّ للعثمانيين ضم مصر والحجاز للدولة العثمانية بعد سقوط الدولة المملوكية. ولقد اتبع السلطان العثماني نفس السياسة التي اتبعها في إخضاع الحجاز، وذالك بأن أرسل بعثة إلى اليمن تحمل أمره للقائد المملوكي إسكندر الجركسي والي زبيد وما حولها، ودعاه بأن يكون والياً على اليمن من قبل الدولة العثمانية. فقبل اسكندر هذه الدعوة وقام بإكرام وفادة البعثة، وكان ذالك في عام ٩٢٥هـ الموافق ١٥١٩م. لكن هذا الخضوع كان بداية صراع داخلي عنيف بين القادة في اليمن، مما اضطر الدولة العثمانية إلى إرسال أول حملة حربية بقيادة سليمان باشا الخادم في عام ٩٤٥هـ الموافق ١٥٣٩م، وذالك للقضاء على الاضطرابات والفتن هناك، وكان سليمان هذا قد تجاوز الثمانين من عمره، سفَّاكا، ضعيف العقل عديم الرأى، فأنزل باليمن القتل والدمار. ثم إن الدولة العثمانية أرسلتْ والياً آخر هو مصطفى باشا، فكتب له النجاح في استقرار اليمن لمدة سبع سنوات، عادت بعدها الاضطرابات من جديد، فتم إرسال والٍ آخر هو سنان باشا في عام ٩٧٤هـ الموافق ١٥٦٨م، فاستطاع أن يعيد الاستقرار والأمن إلى بلاد اليمن لفترة قصيرة سرعان مانشب الصراع بعدها بين زعماء الطوائف ورؤساء العشائر والقادة، واستمر مدة طويلة من الزمن، وتأسست خلال تلك الفترة عدة دول صغيرة في اليمن، عاشت في صراع طويل فيما بينها وصراع مع قوة الأتراك العثمانيين.

ففي عام ١٠٠٦هـ الموافق ١٥٩٨م بدأ القاسم بن محمد في الدعوة له بالإمامة وأخذ في الظهور حتى استولى على مناطق كبيرة من اليمن، مما أرغم الدولة العثمانية على إبرام صلح معه، والاعتراف به كإمام على الجزء الأعلى من اليمن، وذالك في عام ١٠٢٨هـ الموافق ١٦١٠م. وكان القاسم بن محمد يأمل أن تتسع دولته وتشمل كافة بلاد اليمن، لكنه توفي في ربيع الأول عام ١٠٢٩هـ الموافق ١٦١٩م. فخلفه ابنه محمد الملقب بالمؤيد، وبقي على الصلح مع الدولة العثمانية

فترة قليلة انتقض بعدها الصلح، ونشبت الحرب في المنطقة حتى عام ١٠٤٥هـ الموافق ١٦٤٤م، حيث تم إخراج الجنود الأتراك من اليمن. وفي ذالك العام توفي محمد بن القاسم، فخلفه أخوه المتوكل الذي بلغت إمامته الذروة، وشمل سلطانه عدن وحضرموت بجانب اليمن الشمالي، وقد استمر حكمه حتى عام ١٠٨٧هـ الموافق ١٦٧٦م.

ومن بعد عهد المتوكل بدأ الضعف والاختلاف والتنافس يعمُّ كُلَّ أرجاء بلاد اليمن، وذالك لمعارضة حكام اليمن بعضهم البعض مما أشعل نار الفتنة والفرقة وأسال الدماء غزيرة في كل مدينة وقرية، ونتيجة لذالك انفصلت عدن ولَحْجُ ومعظمُ المناطق الجنوبية عن شمال اليمن، وانقسم شمال اليمن أيضاً إلى عدة مناطق.

وفي عام ١١٨٨هـ الموافق ١٧٧٤م تولى الإمامة علي بن المنصور بن العباس، وفي عهده دخلت تهامة ومعظم أرجاء اليمن تحت طاعة الدولة السعودية الأولى وأخذت الفتن تختفي تماماً وحل محلها الاستقرار والأمن[١٦].

أما عن بقية أجزاء شبه الجزيرة العربية فقد كانت موزعة إلى عدة إمارات صغيرة كإمارة آل هذَّال (؟) والمكرمي في نجران، وإمارات أخرى متعددة في الخليج وجنوب شبه الجزيرة العربية، وفي بيْشَةَ ووادي الدواسر وعَسير، وكانت جميعها في حالة اضطرابات ومنازعات مستمرة.

وعلى أية حال يمكن أن نقول: إن الحالة السياسية في معظم مناطق شبه الجزيرة العربية قبل قيام الدولة السعودية الأولى وبالتحديد خلال النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري ــ الموافق للثامن عشر الميلادي ــ كانت مضطربة وتعيش مناطقها وإماراتها وقبائلها في حالة مليئة بالصراعات السياسية والاضطرابات الداخلية، وتسودها فوضى حكام المناطق وأمراء المدن وشيوخ القبائل، ويخيم عليها الرعب والخوف الذي لا ينقطع، وكانت الحروب التي تدور فيها تتلف الأخضر واليابس، وتقتل الأبناء وتدمر المدن وتتلف الزرع.

ثانيا: **الحالة الاقتصادية**: كانت موارد الرزق في معظم مناطق شبه الجزيرة العربية محدودة جداً، ففي بعض الأودية والواحات نَجِدُ أنَّ معظم السكان يزاولون حرفة الزراعة على نطاق واسع، أما في المناطق الصحراوية فيزاول سكانها حرفة الرعي.

ويعتبر المطر من أهم العوامل الاقتصادية المؤثرة على حياة السكان في معظم مناطق شبه الجزيرة العربية، فالبادية تعيش على مراعيها التي تتأثر بعوامل الجدب والخصب في المنطقة، أما الحاضرة وهم سكان المدن والواحات فيعيشون على الزراعة في الأودية والواحات وحول المدن، وهم أيضاً يتأثرون بكمية المطر النازلة، حيث أن نزول الأمطار توفر لهم المياه في الآبار والعيون طوال العام، فيعيشون حياة مستقرة، كما أن زيادة مياه الآبار والعيون تساعد سكان تلك المناطق على الزراعة وتحسين المحصول الزراعي.

وتتحكم عوامل الجدب والخصب في استقرار وأمن وسلامة الحياة في المنطقة. ذالك لأن حالة الجدب تجعل ٱلْبَدْوَ يغير بعضهم على بعض، أو على من حولهم من الحاضرة في المدن والقرى، رغبة في الحصول من تلك المناطق على مايحتاجونه من مواد غذائية أساسية لحياتهم كالتمور والحبوب، مما يسبب أضراراً كبيرة لتلك الجهات. وفي الوقت نفسه نجد أن المناطق التي تتوفر فيها الخيرات تأخذ حذرها الشديد من أَيِّ اعتداء مفاجيء، فتعمل على الوقوف بعنف لِصَدِّ أَيِّ تحرك يهدف إلى سلبها خيراتها، وخَاصَّة محصولها الزراعي. كما أن الخصب وانتشار المراعي في منطقة دون أخرى عادة مايكون مجالاً لقيام صراع عنيف بين القبائل وذالك عندما تحاول إحدى القبائل الرعي في مناطق غير تابعة لها، أو بعيدة عن مواطنها، فتنشب الصراعات الدامية بين القبيلتين، صاحبة تلك المناطق التي أكرمها الله بالمطر، وبين القبيلة المعتدية، فلا تهدَأُ حتى تنتصر إحداهما على الأخرى، وتزهق نتيجة لذالك أرواح بريئة.

كذالك فإنَّ غنى البادية ينعكس عادة على الحاضرة في كثير من الأحيان فالخصب والخيرات التي تكون في البادية تنصب على مدن وقرى الحاضرة، وذالك

حينما تجلب البادية للمدن المواشي ومنتجات الألبان من سمن وأقط (لبن مجفف) وأصواف وغيرها، وفي مقابل ذالك يأخذون من منتجات المدينة أو الواحة مايحتاجونه من حبوب وتمور ومنسوجات ومصنوعات خفيفة وغيرها. وهذا بدوره جعل من حواضر البلدان مراكز تجارية ممتازة، وخصصت كل مدينة يوماً خاصاً لاستقبال منتجات البادية وتسويق منتجاتها، وبذالك قامت أسواق تجارية حول المدن الرئيسة سميت بأسماء الأيام والأماكن التي تقام فيها، مثل سوق الخميس، أو سوق الإثنين ونحو ذالك.

أما في المناطق المطلة على البحار من شبه الجزيرة العربية فنجد أن معظم سكانها يشتغلون بصيد الأسماك، ويمتاز سكان السواحل الشرقية من شبه الجزيرة العربية باشتغالهم باستخراج اللؤلؤ من الخليج العربي، والاتّجَارِ به على نطاق محلي أو خارجي، مما سهل إقامة علاقات تجارية بين تلك المدن الساحلية ومعظم دول العالم، وجعل أهلها ينعمون برخاء اقتصادي كبير، وفرص عمل كثيرة، مما ميزهم عن غيرهم من سكان شبه الجزيرة العربية، ولذالك فلا غرابة أن تصبح الأحساء منطقةَ اجتذابٍ سكانيٍّ وبخاصة من سكان المناطق الداخلية في شبه الجزيرة العربية. كما أن هطول الأمطار الموسمية على منطقة عسير وبعض مناطق الحجاز جعلها مناطق رخاء اقتصادي، فكثرت فيها المحاصيل الزراعية وذالك نتيجة لغزارة الأمطار وخصوبة التربة.

كما قامت في معظم مدن شبه الجزيرة العربية صناعات محلية بسيطة كصناعة الخزف والفخار والجلود والمجوهرات والأواني النحاسية وغيرها.

واستفاد سكان الحجاز من الحج، فكان مورداً اقتصادياً هاماً لسكان المنطقة أو المناطق التي تمر بها قوافل الحجاج.

ثالثاً: **الحيـاة الدينيـة**: يصف لنا ابن بشر حالة نجد قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقيام الدولة السعودية الأولى فيقول: (وكان الشرك إذْ ذاك قد فشا في نجد وغيرها وكثر الاعتقاد في الأشجار والأحجار والقبور)[١٧].

أما ابن غنام فيصف الحالة الدينية في نجد في تلك الفترة فيقول: (وكان غالب الناس في زمانه ـ أي في زمن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ مُتَضَمِّخِيْنَ بالأرجاس، متلطخين بوخم الأنجاس، حتى انهمكوا في الشرك بعد حلول السنة المطهرة بالأرماس، أُطْفِيءَ نور الهدى بالانطماس بذهاب ذوى الأبصار والبصيرة، والألباب المضيئة المنيرة، وغلبة الجهل والجهال، واستعلاء ذوي الأهواء والضلال، حتى نهجوا في تلك الطرائق منهجاً وعراً، ونبذوا كتاب الله تعالى وراءهم ظهرياً زوراً وبهتاناً، وزين لهم الشيطان أنهم بذالك ينالون أجراً . . فعدلوا إلى عبادة الأولياء والصالحين، وخلعوا ربقة التوحيد والدين، فَجَدُّوا في الاستغاثة بهم في النوازل والحوادث، والخطوب المعضلة والكوارث، وأقبلوا عليهم في طلب الحاجات، وتفريج الشدائد والكربات، من الأحياء منهم والأموات، وكثير يعتقد النفع والإضرار في الجمادات، كالأحجار والأشجار، ويناجون ذالك في أغلب الأزمان والأوقات)[١٨].

ومعنى ذالك أن الضلالات والبدع والخرافات والأساطير حلت محل القيم الإسلامية الصحيحة، واضمحلت من نفوس معظم الناس تعاليم الإسلام، وتنظيماته الحكيمة، حتى أصبحت نَسْياً مَنْسِياً. ولم يكن هذا خاصاً بمنطقة نجد وإنما شمل معظم أرجاء شبه الجزيرة العربية بل البلاد الإسلامية بكاملها.

على أنه من المؤكد أن التعميم الصادر من حسين بن غنام ثم عثمان بن بشر عن سُوْء الحالة الدينية في تلك الفترة مبالغ فيه إلى درجة كبيرة، لأن الكثير من المصادر التاريخية تثبت أن شبه الجزيرة العربية كانت خلال القرن الثاني عشر تعجُّ بالعلماء الذين تَحَلَّوْا بالصفات الحميدة والعلم الوفير، وكانت لهم مؤلفاتهم في كثير من العلوم، وبخاصة في علوم القرآن والحديث والفقه والتوحيد واللغة العربية وآدابها والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي[١٩].

وكانت المساجد تُؤَدِّي دورها في التعليم والإرشاد والتثقيف، وبخاصة في المسجد الحرام في مكة المكرمة والمسجد النبوى الشريف في المدينة المنورة، وكذالك بعض المساجد في المدن الرئيسة في نجد والقصيم وحائل وغيرها. وكان

هؤلاء العلماء يقومون بواجبهم بشتى الوسائل لحث الناس على اتباع الطريق المستقيم، وترك المعاصي والبدع وعبادة الله وحده لاشريك له، فاهتدى على يدهم من اهتدى، ومن ضل وانحرف عن طريق الإسلام المستقيم فإنهم لم تكن لديهم القوة لقتاله، وإذا شَمَّرَ أحدهم عن ساعِدَيْهِ ووقف أمام الفئات الخارجة عن الدين الإسلامي، فإنه يجد أحياناً معارضة شديدة ليس من عامة الناس فقط، بل من أمراء المدن ورؤساء العشائر، تصل في كثير من الأحيان إلى القتل أو الإبعاد عن البلاد. وأكبر مُثَلٍ على ذالك موقف سليمان الحميدي حاكم الأحساء من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وطَلَبُهُ من أمير العيينة عثمان بن معمر اخراجُ الشيخ محمد بن عبد الوهاب من العيينة، عندما أعلن الشيخ معارضته للخارجين عن الدين الإسلامي، وأخذ في تنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية.

لقد كانت الأمة في نجد وغيرها في حاجة إلى من يوحدها، وإلى مصلح ديني ينقذها من براثن الجهل وشوائب الشرك، ويوضح للخارجين عن طاعة الله طريقهم المستقيم وإلى حكومة قوية تعاقب الفسقه وتعمل على تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ونشر الأمن والاستقرار والطمأنينة بين شعوب المنطقة. فتأخذهم إلى مدارج الخير والفلاح، ولذالك قامت الدولة السعودية بقيادة الإمام محمد بن سعود، وقامت معها دعوة الإصلاح ووجدت الدولة والدعوة التأييد والمناصرة من سكان المنطقة.

وهكذا أقام الإمام محمد بن سعود الدولة السعودية الأولى، وناصر آلُ سعودٍ الشَّيْخَ محمدَ بن عبد الوهاب ودعوته الاصلاحية، وذالك إيماناً منهم بالمسؤولية، ورغبة في العودة بالمجتمع إلى الطريق الإسلامي الصحيح، وإقامة شرائع الله بالعدل والإنصاف، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى يستقيم المجتمع ويعم فيه العدل والأمن والسلام والاستقرار، وبذالك قامت دولة قوية ذاتُ كيانٍ إسلامي، ودعائم إسلامية راسخة، وحَّدَتْ معظم أجزاء شبه الجزيرة العربية في وحدة سياسية واحدة تسير على هدى الشريعة الإسلامية، وتشجب كل ماسوى ذالك.

رابعاً: **الحالة الاجتماعية**: ـ كان السكان في شبه الجزيرة العربية ينقسمون إلى قسمين رئيسين هما: البدو. والحضر. فالبدْوُ هم القبائل الرُحَّلُ، الذين ينتقلون من منطقة إلى أخرى طلباً للمرعى لأغنامهم وإبلهم ومواشيهم، ويعيشون في بيوت من الشعر، وهم بطبيعتهم أَلِفُوا حياة التنقل، ولا يميلون إلى الاستقرار، ويمتازون بالخشونة والصبر على تحمل المشقة. وكانت الصراعات بينهم لاتتوقف خاصة على الأماكن الغنية بالعشب من أجل رعي مواشيهم.

أما الحضر: فهم سكان المدن والواحات والقرى، ويتمتعون بصفة الاستقرار، ويعملون عادة بالزراعة والتجارة والصناعة اليدوية المحدودة. وكانت لهم صلاتٌ وثيقة مع البادية تجاريةً واجتماعية. والحضر: هم معظمهم في الأصل من البادية، لكن استقرارهم في المدن والواحات والقرى أعطاهم صفة التحضر والاستقرار ومعظم الحضر ينتمون إلى قبائل عريقة.

ويخضع البَدْو لِتنظيمات قبلية وأعراف وتقاليد بعضها تتعارض مع تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، وينقسم البدْوُ إلى عدة قبائل تحتل مناطق محدودة ولكل قبيلة شيخ له السلطة الكاملة على أفراد قبيلته، وهو المسؤول عن كل مايحدث في القبيلة، وعليه يترتب الدفاع عن أفراد قبيلته عندما تتعرض لأي أخطار من قريب أو بعيد، وعليه أيضاً تقوم مسؤولية تنظيم أمور القبيلة سواء ما يتعلق منها بالقبيلة نفسها أو بعلاقتها بالقبائل المجاورة له. وعليه أيضاً المحافظة على سمعة القبيلة ومكانتها بين القبائل، وقد يلجأ بعض شيوخ القبائل إلى تحكيم بعض الأعراف والتقاليد في الأمور الخاصة بالقبيلة جهلاً منه بأحكام الشريعة الإسلامية.

أما سكان المدن والواحات والقرى فإنهم يخضعون لأمير أو حاكم، ويعتبر هذا الأمير أو الحاكم صاحب السلطة العليا في إدارة شؤون المدينة أو الواحة أو القرية. ومن أهم مسؤولياته العمل على نشر الأمن والعدل في مدينته أو قريته، وَصدُّ الأخطار عن السكان الذين هم تحت حكمه وذالك بقدر المستطاع.

وسكان المدن أكثر التزاماً للأحكام الشرعية من البادية، ويعتمدون في تطبيق

هذه الأحكام على بعض العلماء كمدرسين وقضاة ودعاة.

والحياة في المدينة مستقرة وثابتة وتحيط بكل مدينة أسوار منيعة عليها بوابات تفتح نهاراً فقط، وذالك لحماية المدينة من أي اعتداء خارجي.

الدكتور عبداللطيف بن عبدالله بن دهيش

الحواشي :

(١) عثمان بن بشر: «عنوان المجد في تاريخ نجد» جـ ١، ص: ٢٣١.

(٢) ابن غنام، روضة الأفكار، جـ ٢، ص: ٣٢.

(٣) د. عبدالله صالح العثيمين: «نجد منذ القرن العاشر الهجري حتى ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب»، الدارة، العدد الأول، السنة الرابعة، ربيع ثاني ١٣٩٨هـ. مارس ١٩٧٨م، ص: ٢٥.

(٤) نفس المصدر السابق ــ ص: ٢٦.

(٥) د. عبدالله العثيمين: المرجع السابق، ص: ٢٣ ــ ٢٤.

(٦) «عنوان المجد في تاريخ نجد» جـ ٢، ص: ٣.

(٧) Mandaville, J. The Ottoman Province of "Al-Hasa in the sixteenth and seventeenth centuries," Journal of the American Oriental Society, 1970: 90/488.
أنظر أيضا تعليق الدكتور عبدالله العثيمين على هذا التاريخ في كتابه تاريخ المملكة العربية السعودية، جـ ١، هامش، ص: ٣٠.

(٨) عثمان بن بشر: «عنوان المجد» جـ ٢، ص: ٢١١. بينما يرى محمد بن عبد القادر في كتابه «تحفة المستفيد» جـ ١، ص: ١٢٣. أن نهاية الحكم العثماني كان في عام ١٠٨١هـ الموافق ١٦٧٠م.

(٩) أبو حاكمه: «تاريخ الكويت»، جـ ١، ق ١، ص: ٧٦.

(١٠) حسين بن غنام: «روضة الأفكار والأفهام» (مخطوط في المكتبة المركزية بجامعة أم القرى بمكة تحت رقم ١٤٦٣) ورقة ٨٩. أنظر أيضا مؤلف مجهول، «كيف كان ظهور شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب» تحقيق الدكتور عبد الله الصالح العثمين، (الرياض: ١٤٠٣هـ)، ص: ٥٦ ــ ٥٧.

(١١) للمزيد من المعلومات حول أحوال الحجاز تحت حكم المماليك أنظر: علي بن حسين السليمان: «العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك» القاهرة ١٣٩٣هـ.

(١٢) عبد الرحمن البهكلي: «نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود»، تحقيق: محمد أحمد العقيلي، ص: ٣٠.

(١٣) عبد الرحمن البهكلي: المصدر السابق، ص: ٣٠ ــ ٣١.

(١٤) للمزيد من المعلومات أنظر: محمد كمال الدسوقي: «الدولة العثمانية والمسألة الشرقية»، ص: ٢٨٤ ومابعدها، ومحمد أنيس: «الدولة العثمانية والشرق العربي» ص: ٢١٤ ومابعدها.

(١٥) عبد الرحمن البهكلي: المصدر السابق، ص: ٣٦.

(١٦) عبد الرحمن البهكلي: المصدر السابق، ص: ٣٣ ــ ٣٦.

(١٧) عنوان المجد: (الطبعة الأولى: ١٣٤٩هـ)، ج ١، ص: ٦.

(١٨) روضة الأفكار (الطبعة الأولى، ١٣٦٨هـ) جـ ١، ص: ٧ ــ ٨.

(١٩) انظرالكتب التالية: عبد الله البسام، «علماء نجد في ستة قرون»، وعبد الرحمن آل الشيخ: «مشاهير علماء نجد»، وكتاب «علماء الدعوه» وعمر عبد الجبار: «دروس من ماضي التعليم في المسجد الحرام» ومحمد آل عبد القادر: «تحفة المستفيد في تاريخ الاحساء في القديم والجديد».

ثلاث كتب وملاحظات :
ـ ٢ ـ

٢ ـ «الأمثال والحكم»

للإمام أبي الحسن الماوردي المتوفى ٤٥٠ هـ .

تحقيق الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد ، دار الحرمين للطباعة والنشر ، الدوحة قطر ١٤٠٣/١٩٨٣ ـ ٢٣٣ صفحة + ٣، مطابع الباكر ، سلسلة (من ذخائر تراثنا الإسلامي) .

١ ـ المؤلف : علي بن محمد بن حبيب الماوَرْدي .

٢ ـ للمحقق صلة سابقة بالمؤلف ، فقد صدر له بالاشتراك مع الدكتور محمد سليمان داود «أبو الحسن الماوردي ، من أعلام الإسلام» ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، ١٣٩٨/١٩٧٨ .

وحقق له بالإشتراك مع الدكتور محمد سليمان داود «قوانين الوزارة» صدرت طبعته الثانية بالاسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ١٣٩٨/١٩٧٨ .

ويَعِدُ بأَعمال أُخْرَى منها «نصيحة الملوك» و«الأحكام السلطانية» .

٣ ـ يقع الكتاب في عشرة فصول يتألف الفصل منها من ثلاثة مطالب : آداب رسول الله ﷺ ـ يقصد الأحاديث ـ ، أمثال الحكماء ، الشعر .

٤ ـ ولاتَسْتَغْرِبْ ـ ولك أَنْ تَسْتَغْرِبَ ـ أنَّ الماورديَّ لم يذكر بيتاً واحداً للمتنبي ـ وهو مَنْ هُوَ في الحكمة ، بل أنه لم يَكَدْ في (مختاراته) يتعدَّى العصر الأمويَّ ، إن تعداه قليلاً ؟

ولو كان الماورديُّ لغوياً من أبناء القرن الثاني لفهمناه أو فسرنا موقفه؟! ولكنه يمثل ـ على أية حال ـ عقليةً معينةً لاتريد أن تعيش في أدب عصرها .

٥ ـ اعتمد المحقق على نسختين ، وبذل جَهداً ملحوظاً في الحواشي لدى

التخريج والمقابلة والتعريف ولكنه :ـ

أ ـ قد يُعَرِّفُ المعرف جداً مثل امريء القيس ، ويترك من لم يكن مشهوراً لدينا مثل النَّمِرِ بن تَوْلِب . .

ب ـ اختار في منهجه للتحقيق أن يُرَقِّمَ الأمثالَ والحكمَ ترقيماً مسلسلاً عاماً وكُلِّياً ، ثم رقَّمها رقماً داخلياً للأحاديث وللحكم وللأشعار ، واعتمد على هذه الأرقام في الفهارس الفنية للكتاب .

أحدث هذا الازدواجُ في الترقيم وهذا الغموض في التوضيح اضطراباً لدى محاولة الاستفادة من الفهارس ، فماذا يعني مثلاً : محمد بن سلام ٢١٠ ؟! أن الـ ٢١٠ لاتعني رقماً للصفحة ، ولاتعني رقماً عاماً وكلياً مسلسلاً للأمثال والحكم ، ومعنى هذا أنك لاتجده على الصفحة ٧١ حيث (٢١٠ ـ ٦٢) وإنما تجده ص ١٤٠ حيث (٥٩٧ ـ ٢١٠) !

جـ ـ قَلَّمَا أشار إلى فروق بين النسختين المخطوطتين .

٦ ـ ص ١ من المقدمة : «من أسرة (٠٠٠) اشتغلت بصناعة وبيع ماء الورد واشتهرت به وأثريت منه» .

صحيح أثريت منه : أثرت منه .

٧ ـ ص ٢٢٠ : «تاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان . . . دون تاريخ» ـ وكذا في متن الكتاب .

الصحيح : جرجي زيدان ٠٠ ، ١٩٥٧ .

٨ ـ ص ٢٣٠ : «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» لنور الدين الهيثمي المتوفى ٨٠٧ . . .»

اسم المؤلف الكامل : نور الدين أبو الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان . . الهيثمي .

٩ ــ وردت لدى الزركلي ــ ٤/٣٢٧ ــ ملاحظة تقول : «قانون الوزارة» لعله المطبوع بعنوان «أدب الوزير» .

كان مناسباً أن يشير المحقق إلى ذالك وهو يعدد كتب الماوردي ويقف عند «قانون الوزارة» .

١٠ ــ صحيح ص ١٧ «ألتصقت ورقتين» : ورقتان . .

٣ ــ كتاب «الشفاء في بديع الاكتفاء»

تأليف العلامة شمس الدين محمد النواجي الشافعي (٧٨٨/٨٥٩ هـ) تحقيق الدكتور محمود حسن أبو ناجي ــ جامعة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة(؟) منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت ١٤٠٣ (١٠٥ صفحة + ٢) .

١ ــ الخطأ في طبع عنوان الكتاب على الغلافين ، فقد جاءت (الشفاء) مرفوعة بضمة ظاهرة .

٢ ــ ذكر مصادر دراسة المؤلف (النواجي) مرتين (من المقدمة) ص ١٠ ، هـ ص ١٣ ولكنك حين ترجع إلى (المراجع) ص ١٠١ وص ١٠٣ لاتجدها أو لاتجد أكثرها ــ أمَّا أَيْن تجدها ــ أو وجدها المؤلف؟ ففي «الأعلام» ــ اعلام الزركلي حيث ترجم للنواجي .

٣ ــ يثقل المحقق الحواشي بتعريف المعروفين ــ وهذا غير صحيح في علم التحقيق ، من أولئك الأعلام : المتنبي ، النابغة الذبياني ، لَبِيد ، الخليل ، عُمر بن أبي رَبيعة ، الشافعي ، البخاري ، . . .

وإذا ورد في «المتن» ــ ص ٦٦ :(قفا نبك) ، قال في الهامش : (قفا نبك من بيت لامرىء القيس وتمامه :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وإذا جاءت (منى) أو (مكة) ــ ص ٩٨ ــ اهتبلها فرصة للتعريف بها !!

٤ ــ وترد أَعلاَمٌ يمكن أَنْ يُعَرِّفَهَا ولكنه يقول : (لم أقف على ترجمته) أو (لم أعثر على ترجمته) . ومن أولئك : ناصح الدين الأَرَّجَاني ــ ص ٣٠ ــ ، شهاب الدين التلعفري ــ ص ٤٩ ــ ، شهاب الدين الحاجري ــ ص ٥٢ ــ ، جمال الدين بن الْعَديم ــ ص ٦١ ــ ، شهاب الدين الحلبي ــ ص ٩٣ ــ ، شمس الدين الهيثمي ــ ص ٩٨ ــ ، أبو الفتح الكاتب ــ ص ٥٠ ــ !!! أبو الفتح قابوس ــ ص ٣٩ ــ . . !! ولو رجع إلى زيدان أو الزركلي لاستطاع (العثور) على الضالة ــ والكتابان من مراجعه !!

٥ ــ وليس من منهجه شرح الكلمات (الصعبة) ، ولكنه شرح (الفلاة) : الصحراء ــ ص ٦٥ ــ .

٦ ــ عرف ــ ص ٦٠ ــ بابراهيم بن العباس الصولي فقال : (ذكره الجراح) يريد ابن الجراح ، ولم يرجع إليه لأن مصدره «معجم الأدباء» ١/٢، ١٦٣ .

٧ ــ وورد ــ ص ٧٩ ــ في «المتن» : «أبو بكر بن حجة مضمناً ! . .

. . . أنا ما أقصر عن ندى وكما علمت شمائلي

فقال في الحاشية : «من قول عنترة بن شداد العبسي :

فَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أُقَصِّرُ عَنْ نَدًى وكَمَا عَلِمْتِ فَضَائِلِي وشَمَائِلِي»

مع أنَّ البيت مشهور من معلقة مشهورة (ميمية) . . . وكما علمت فَضَائِلِي وتَكَرُّمِي .

٨ ــ وأَخيراً تأتي (المراجع) : الوساطة ، الموازنة ، أسرار البلاغة ، . . . وفيات الأعيان ، المفتاح . فلم يتبع أي نظام مقبول : حروف الهجاء للمراجع ، حروف الهجاء للمؤلفين .

٩ ــ ص ٢٣ : (في حدوده ورسمه ، عرفه ابن رشيق القيرواني ، قال : الاكتفاء هو أن يدخل موجود الكلام على محذوفة . . .) وعرف بالحاشية بابن رشيق ، ولكنه لم يبحث عن القول في كتبه ، ولم ينتبه إلى الخطإ في المخطوطة حين ←

بلاد القصيم في عهد الدولة السعودية الأولى[1]

أولاً: مراحل دخول القصيم في حظيرة الدولة السعودية الأولى: كان ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في منتصف القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) نقطة تحول مهمة في تاريخ نجد خاصة وتاريخ الجزيرة العربية بشكل عام. فبعد اتفاق الدرعية الديني والسياسي بين الشيخ محمد بن عبدالوهاب والأمير محمد بن سعود أمير الدرعية عام ١١٥٧هـ (١٧٤٤م)[2] مكث الشيخ محمد سنتين في مرحلة الدعوة السلمية وهي مرحلة (الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة) منذ وصوله إلى الدرعية. وذالك عن طريق رسائل بينه وبين أهل البلدان المختلفة وعن طريق مناظراته مع علماء تلك البلدان ثم عن طريق أسلوب تأليف الكتب التي تبحث في حقيقة دعوته[3]، ثم في عام ١١٥٩هـ (١٧٤٦م) انتقل الشيخ بدعوته إلى مرحلة (الجهاد والقتال) دفاعاً عن الدعوة وأتباعها من أعدائها المتربصين بها من ناحية، ولحمل الناس على الحق وتهيئة الجو الصالح لنشر الدعوة وتطبيقها من ناحية أخرى. وكانت تلك المرحلة (مرحلة الجهاد والقتال) تسير جنباً إلى جنب مع المرحلة الأولى (الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة) ولهذا نرى أن رسائل الشيخ محمد بن عبدالوهاب المُبيِّنَة

ورد فيها : (. . . أن يدخل موجود الكلام على محذوفة) والصحيح المعقول أن تكون : . . . أن يدل موجود الكلام على محذوفه .

١٠ ــ اعتمد (المحقق) على نسخة واحدة هي مخطوطة (الاسكوريال) ، ويفخر أَنَّهُ قام بتصويرها بنفسه ، وأنه قام بكتابة المخطوطة بخط واضح استعداداً لطباعتها !! وكان من الممكن جداً أَنْ يحصل على مخطوطة ــ أو مخطوطات ــ أُخرى ، فزيدان وحده ــ وهو من مراجعه ــ يذكر غوطا ودار الكتب المصرية غير الاسكوريال ، وكان المفروض بالمحقق أن يرجع إلى بروكلمان .

بغداد : د . على جواد الطاهر

لحقيقة دعوته كانت تسبق غزو الجيوش. وهذا مانراه في منطقة القصيم التي أرسل الشيخ لأهلها رسالة شرح فيها حقيقة دعوته[٤]، كما أرسل رسالة أخرى وجهها إلى مطاوعة القصيم وسدير والوشم[٥] وعدّد بعضهم وحثهم على ارشاد الناس إلى دين الإسلام الحق الخالص من شوائب الشرك والبدع والخرافات المنتشرة في مجتمعاتهم. مذكراً لهم واجبهم كعلماء في هذا الصدد. ويظهر أن هذه الرسالة كانت متقدمة بدليل أنه ذكر من هؤلاء المطاوعة الشيخ (عبدالله بن عضيب)[٦] المتوفي عام ١١٦٠هـ[٧]، ومعنى ذالك أن تاريخ الرسالة قد يكون ابان (الدعوة السلمية).

لقد استطاعت حكومة الدرعية في فترة حكم الإمام محمد بن سعود (١١٥٧ ــ ١١٧٩هـ/ ١٧٤٤ ــ ١٧٦٥م) أن تمد نفوذها إلى كل من سدير والوشم والمحمل والشعيب والخرج والحائر، إضافة إلى بلدان العارض ــ باستثناء الرياض وأميره (دهام بن دواس) ــ وفي عهد حكم الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود (١١٧٩ ــ ١٢١٨هـ/ ١٧٦٥ ــ ١٨٠٣م) تمكنت حكومة الدرعية من الاستيلاء على الرياض عام (١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م)[٨].

ومن الغريب أن تتجه أنظار حكومة الدرعية إلى منطقة القصيم قبل استيلائها على الرياض ونستطيع أن نعلل هذه الظاهرة بأمرين:ــ

أولهما: أنَّ دِهَامَ بن دَوَّاس أمير الرياض كان موقفه في ذالك الوقت ضعيفاً، وتحول من موقف الهجوم إلى موقف الدفاع، فكان قاب قَوْسَينِ أَوْ أَدْنى من السقوط.

وثانيهما: رأتْ حكومة الدرعية أن الفرصة مواتية لها لتمد نفوذها على منطقة القصيم بسبب الصراع ٱلْأُسْرِيِّ على الحكم في بعض إماراتها خصوصاً إمارة (بُرَيْدة)[٩] ويذكر مقبل الذكير في تاريخه أنَّ راشد الدريبيَّ بعد أن أسس بريدة بَقِيَتْ إمارتها في ذريته وانقسمت إلى قسمين: أحدهما بقي على اسم (الدُّريبي) والثاني يعرفون بـ (آل أبو عُلَيَّان) فأخذ هذان القسمان يتنازعان الإمارة على البلد

ويفتك بعضهم ببعض[١٠]، ففي عام (١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م) استولى حمود الدريبي على إمارة بُريدة بعد أن أزاح منها بني عمه (آل حسن آل أبو عُلَيَّان) بعد أن قتل منهم ثمانية رجال. ولم يلبث حمود أنْ قُتِلَ في السنة التي بعدها، قتله بنو عمه المذكورون أخذاً بثأرهم منه[١١]، فتولى إمارة بريدة بعده أخوه راشد الدريبي. ثم شهد عام (١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م) تَدَخُّلَ آل شْمَاسٍ أُمراء بلدة (الشِّمَاس) و (رَشِيد بن محمد) أمير عنيزة وعربان الظفير في الصراع الأَسْرِيِّ ببريدة ــ وقد يكون ذالك بطلب من آل حسن آل عُلَيَّان ــ حيث حاصروا بريدة ونهبوا جنوبي البلد. ثم رجعوا[١٢]. ويظهر أن أمير بريدة (راشد الدُّريبي) استنجد بحكومة الدرعية ضد تلك القوى[١٣]. فرأت حكومة الدرعية أن الفرصة مواتية لِأَنْ تَمُدَّ نفوذها في القصيم. وهذا ماأبرزته الأحداث التالية وأهمها:ــ

١ ــ في عام (١١٨٢هـ/١٧٦٨م) غزا الأمير سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود ومعه راشد الدريبي أمير بريدة وقصدوا عنيزة ونزلوا عند باب شارخ في عنيزة، وحصل بينهم وبين أهل عنيزة قتال. ثم في عام (١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م) سطا آل (أبو عُلَيَّان) على الحكم في بريدة وأخرجوا منها أميرها (راشد الدريبي) واستولوا عليها[١٤].

٢ ــ في عام (١١٨٣هـ/ ١٧٦٩م) استنفر الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود جنده لمهاجمة الْمَجْمَعَةِ فهاجمها واستولى عليها ثم واصل سيره إلى بلدة (الهِلَالِيَّةِ) في القصيم فاستولى عليها. وتختلف رواية ابن غنام عن ابن بشر في نتيجة هذه الغزوة فابن غنام يذكر أن (أهل القصيم كافة) انقادوا للإمام عبدالعزيز وبايعوه وأما ابن بشر فيذكر أن (أكثر أهل القصيم)[١٥] بايعوا على السمع والطاعة وعبارة ابن بشر تدل على وجود بعض بلدان لم تبايع.

٣ ــ في عام (١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م) سار عُرَيْعِرِ بن دُجَيْنٍ آل حُمَيد الخالدي زعيم الأحساء إلى بريدة ومعه أميرها السابق راشد الدريبي، فحاصر البلد بجنوده، وطلب مقابلة أميرها عبدالله الحسن آل (أبو عليان) فلما خرج إليه قبض عليه ودخل البلدة ونهبها. ثم ارتحل عنها فمات في الطريق، وانطلق (عبدالله بن

حسن) من أَسْره واتجه إلى الدرعية مع بعض أسرته[١٦].

ومجيء عُرَيْعِر ومعه راشد الدريبي دليل على أنَّ الأخير استنجد بالأول ضد خصومه، ويعلل مقبل الذُّكَير ذالك بأن عريعرَ كان يَدَّعِي الولاية على القصيم[١٧] مستدِلاً بهذه الحادثة ومابعدها. وهو احتمال بعيدٌ جدًّا ولم يذكره غيره. وكون راشد استنجد بعريعر لايدل على تلك التبعيَّة، وإنما من باب مقابلة الضد بالضد، فإذا كانت علاقة عدوه عبدالله بن حسن طيبةً مع حكومة الدرعية فمن السياسة أن يستنجد بقوة أخرى معادية لها لترجعه إلى إمارة بريدة، وهذا ماحصل.

٤ ــ عام (١١٨٩هـ/ ١٧٧٥) فيها قصد سعود بن عبدالعزيز بجنوده بُرَيدةَ ومعه أميرها السابق عبدالله بن حسن فحاصروا البلدة وأميرها راشد الدريبي، فامتنعت عليهم فبنى سعود قصراً تجاه بريدة، ووضع فيه جنوداً ورئيسهم عبدالله بن حسن ثم رجع سعود إلى وطنه. واستمر حصار أهل القصر بريدةَ حتى طلب راشد الأمان من عبدالله بن حسن آل (أبو عليان) فأعطاه الأمان فخرج منها ودخل عبدالله مع جنوده بريدة وملكوها[١٨]. واستمر عبدالله بن حسن أميراً في بُريدة حتى قتل عام ١١٩٠هـ وكان مع الإمام عبدالعزيز بن محمد في غزوة أغار فيها على عربان (بني مُرَّةَ) في الْخَرْجِ[١٩].

ويظهر أن الذي تولى إمارة بريدة بعده هو حُجيلان بن حمد آل (أبو عليان) وإن كانت رواية تدل على أن (حجيلان) تولى الإمارة بعد (راشد الدريبي) بعد أن قتله في قصة طويلة متداولة[٢٠].

نقض البيعــة :

١ ــ عام (١١٩٦هـ/ ١٧٨١م) أجمع أهل القصيم على نقض البيعة والطاعة لحكومة الدرعية سوى أهل بريدة والرَّس والتُّنُومَة[٢١] فقتلوا من عندهم من المعلمين التابعين لحكومة الدرعية وكانوا قبل ذالك أرسلوا يستنجدون برئيس الأحساء والقطيف سعدون بن عُريعر، فأقبل بجنوده ونزل بُريدة، فأرسل له أهل

عنيزة عبدالله القاضي، وناصر الشُّبيلي، وهما من معلّمي حكومة الدرعية فقتلهما سعدون، وحاصر بريدة، وأميرها حينئذ حُجَيلان بن حمد آل أبو عليان وطال الحصار دون فائدة، وقتل حجيلانُ ابْنَ عَمِّهِ سليمان الحجيلان بعد أن تحقق له أنه يحاول مصالحة العدو، فلما علم سعدون بذالك وعلم بزواج حجيلان وهو محاصَرٌ تحقق أنهم في منعة ففكَّ حِصاره الذي استمر أربعة أو خمسة أشهر ورجع إلى وطنه. فطلب أهل القصيم الأمان من حجيلان بن حمد، ووفدوا يبايعونه[٢٢] ومع ذالك سار سعود بجنوده إلى عنيزة عام ١١٩٨هـ فأغار عليها وقتل من الفريقين عدةَ رجال، ثم رجع سعود إلى وطنه[٢٣].

هذا ملخص حادثةِ نقض البيعة ــ والتي يسميها ابن غنام رِدَّةَ أَهْلِ القصيم ــ وهي حادثة غامضة يحار فيها الباحث لعدم وجود سبب حقيقي فيما ساقه مؤرخو نجد ــ ابن غنام وابن بشر وابن عيسى ــ لهذا العمل. وقد شكك بعض الباحثين في سياق الحادثة. يقول الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع: أنا في ريب من ذالك، إلا أن يكون له سبب لم يُذْكَرْ لاسيما وهذه الواقعة في القصيم، وأهله معروفون بالرزانة والعقل. فليت شعري ماالسبب لهذا الفعل القبيح؟[٢٤].

أما مقبل الذكير فيشكك أيضاً في سياق الحادثة، ويرى أنَّ آل عُرَيْعِر كان لهم شيء من النفوذ والولاية في القصيم ــ كما سبق ــ فخاف زعيمهم أن يفقده بعد أن رأى خضوع القصيم لحكومة الدرعية وانتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب فيه. لهذا أرسل إلى بعض رؤساء القصيم يتهددهم ويتوعدهم بأنه سيسير إليهم إذا لم يقتلوا علماء الدعوة ومرشيديها الذين عندهم، فاستعجل بعضهم وقتل ماعنده ــ كما فعل أهل الخَبْرَا وأهل الْجَنَاح ــ ثم لما وصل خاف أهل عنيزة وأرسلوا معلميهم إلى سعدون فقتلهم. ثم يقول (إذَنْ فما لهذا التهويل والتشنيع على أهلِ القصيم من معنى، ولم يرتدوا عن الإسلام، فعدم دخولهم تحت طاعة أمير أوِ اتِّباعه لايخرجهم عن دائرة الإسلام، على أن أهل القصيم لم يلبثوا بعد ذالك إلاَّ مدة قليلة حتى دخلوا طاعة ابن سعود حينما تغلب على ابن عُرَيْعر[٢٥] ا.هـ.

٢ ــ عام ١٢٠١هـ/ ١٧٨٦م فيها سار ثُوَيني بن عبدالله زعيم المنتفق فاتجه إلى القصيم وحاصر (التُّنُّوْمَةَ) ثم دخلها بخديعة الأمان، فقتل منهم ١٧٠ رجلاً وتشرد أهلها، ثم اتجه إلى بريدة وحاصرها. وحصل بين الفريقين قتال، ثم فك حصاره ورجع إلى وطنه[٢٦].

أما سبب حملة ثويني تلك فيرى مقبل الذكير أنها معاونة لابن عُرَيعر لاسترجاع بريدة بعد فشله في ذالك[٢٧] وبعض الباحثين يَرَى أنها انتقام من الدولة السعودية بسبب إيوائها سعدون بن عريعر. بعد هزيمة ثُويني له مناصرة لخصوم سعدون بن عريعر عام ١٢٠٠هـ[٢٨]، ولعل السبب الحقيقيَّ في اتجاه ثويني[٢٩] للقصيم دون بلاد نجد الأخرى، أنه انتقام من حُجَيلان بن حمد ــ أمير القصيم ــ الذي أغار على قافلة قادمةٍ من البصرة وسوق الشيوخ إلى جبل شَمَّر عام (١٢٠٠هـ/١٩٨٥م) فسلبها وقتل بعض رجالها[٣٠].

أما (داوتي) فيذكر أنه كان لثويني نفوذ في القصيم ــ خاصة عنيزة ــ قبل دخولها في طاعة الدرعية[٣١]. فإذا سلمنا بهذا القول فإنَّ ثوينى أراد بحملته إرجاع هذا النفوذ. وقد يؤيد هذا القول ماقام به عبدالله بن رَشيد أمير عنيزة من هدم للجناح ــ في الجهة الشمالية من عنيزة ــ بسبب مكاتبتهم لثويني[٣٢]. كما ذهب بعض المؤرخين إلى أن ثويني كان مدفوعاً بحملته تلك من الدولة العثمانية[٣٣]، وقيل مدفوعاً من نفسه لإحراج الدولة العثمانية أمام حكومة الدرعية[٣٤]. أما سبب رجوع ثويني فجأة من بريدة وفكه الحصار عنها . . . فيذكر ابن غنام أن اضطراباً وقع في بلاده[٣٥] وذهب بعض الباحثين إلى أن الدولة العثمانية أبعدته من زعامة المنتفق وولّت بدله (حمود السعدون)[٣٦]. ويبدو أن الاضطراب كان بسبب ابعاد ثويني عن الزعامة. وذالك للجمع بين الرأيين.

عنيزة والموقف الجديد:

نتوقف الآن عند موقف جديد طرأ على عنيزة من الحكومة المركزية في الدرعية ــ كما يقول ابن غنام وابن بشر ــ اللذين أتيا برواية مختصرة عن الموضوع لاتشفي غليل الباحث. ولم يذكرا أسباب هذا الموقف وحقيقته ــ فهما يذكران أنه في عام

١٢٠٢هـ علم سعود بن عبدالعزيز بأن أناساً من عنيزة ومنهم رؤساؤها (آل رشيد) يريدون نقض العهد. فسار إليهم وأمرهم بالجلاء عن عنيزة وولى عليها علي بن يحيي في رواية ابن غنام[٣٧]، وعبدالله بن يحيي في رواية ابن بشر[٣٨]، ولم نجد من فصّل هذه الحادثة بدقة سوى المؤرخ مقبل الذكير سواء في تاريخه أو في معجمه وملخص ماذكره: أنه كان بين (حجيلان بن حمد) أمير بريدة وسائر القصيم ــ عدا عنيزة ــ وبين (عبدالله بن رشيد) أمير عنيزة عداء قديم أرجعه مقبل الذكير إلى عدم دخول عنيزة في إمارته وزاد من هذا العداء مافعله حجيلان بن حمد حينما قتل ابن أخي عبدالله بن رشيد وهو في طريقه إلى الشماسية ليتزوج ابنة أميرها. كما أن حجيلان أخذ يحوك الدسائسَ ويبث الدعاية ضد عبدالله بن رَشِيد في الدرعية مدعياً عدم إخلاصه في ولائه لحكومة الدرعية[٣٩]. ولهذا عندما قدم عبدالله بن رَشِيد إلى الدرعية شاكياً مافعله حُجيلان بابن أخيه، وتدبير قتله لم يجدْ أُذُناً صاغية. وزاد من ذالك أن حجيلان قدم ــ بعد ذالك ــ الدرعية. وأخذ يَجْتَرُّ دسائسه وأقواله ضِدَّ ابن رشيد حتى أثر على الامام عبدالعزيز بن محمد فوكل إليه مهمة مهاجمة عُنيزةَ واحتلالها بالاشتراك مع سعود بن عبدالعزيز ــ وكان معسكراً في جيشه بشقراء. فاتجه حُجيلان وسعود إلى عُنيزةَ بجنودهما، وتقدم حجيلان بقوة صغيرة ودخل باب السُّور بخدعة أنه بَشِيْرُ أميرهم عبدالله بن رَشيد ــ بعد أن قتل حارس البوابة، ثم دخل القصر بنفس الخدعة أيضاً وبذلك فتح باب المدينة للجيش الكبير. وتم الإستيلاء على المدينة كلها بين صلاة الفجر وطلوع الشمس. وقد حصل نهب لبيوت آل رَشِيد ــ رؤساء البلد ــ من جند حُجَيْلان، فنهبوها حتى ماعلى النساء وماعندهن من ذهب. ثم بعد ذالك أمر سعود أُسْرَةَ آل رشيد ــ بالجلاء عن البلد والتوجه إلى الدرعية عند أميرهم هناك عبدالله بن رشيد، الذي كان قد أُمِرَ بالبقاء في الدرعية[٤٠].

هذا ملخص ماذكره مقبل الذكير في تاريخه ومعجمه (المخطوطين) مع مابينهما من اختلاف بسيط في سرد القصة. ولكن في المعجم يركز مقبل الذكير على أن تاريخ الحادثة لم يكن عام ١٢٠٢هـ ــ كما يذكر ابن غنام وابن بشر ــ ولكنه كان

في وقت متأخر حتى أنه يقول: إنه كان في أوَاخِر عهد الإمام سعود، أي مايقارب عام ١٢٢٧هـ وأن الذي باشر الإستيلاءَ على عنيزة مع حجيلان ــ هو عبدالله بن سعود بأمر من أبيه[٤١]، ويضعف هذا الرأي أن قصيدة (العُرْف) ــ الآتية ــ صرحت بأن سعوداً وحجيلان هما اللذان أخذا البلد بالخديعة دون الحرب. وهي قوله بالشعر العامي (النبطي).

وآدِيْرِتْ أَخَذْهَا حْجَيْلانْ وِسْعُودْ بالْبَوْقْ وِآلاّ بـالنَّقَا مـاقوَاهَـا[٤٢]

والأقرب أنها قبل ذالك بفترة. وقد يكون عام ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م هو العام الذى يمكن للباحث أن يستشفه من بين مصادر الحادثة. وهو العام الذي ذكره الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام، ولكنه يذكر أن سعوداً هو الذي طلب من عبدالله بن رشيد الشخوص إلى الدرعية. وأن أمير الْمِذْنَبِ أشار عليه بالاعتذار عن الذهاب لعدم وجود أخيه دخيل في عنيزة ليخلفه في الإمارة، وذالك خوفاً من أن يحبس سعود عبدَالله بنَ رشيد في الدرعية ويستولي على بلده وهذا ماحصل[٤٣].

أما مصادر مقبل الذكير في قصة الحادثة فلم يذكر أيَّ مصدر. والذي يظهر أنه اعتمد على الرواية المحلية المتداولة بين المعمّرين. ولهذا أشار إلى الحادثة بعض الكتاب والمؤرخين على أنها (قصة معروفة) وإن لم يسوقوها وذالك مثل عبدالله البسام في كتابه «علماء نجد»[٤٤]. ومحمد بن عبدالعزيز المانع[٤٥]، في نبذته عن تاريخ عنيزة، ومحمد العلي العُبَيِّد في مخطوطته التاريخية «النجم اللامع»[٤٦]. وضاري بن رَشِيد في نبذته التاريخية[٤٧]. كما أن قصيدة (العُرْف) ــ مولى عبدالله آل رَشيد أمير عنيزة السابق مما يُؤيَد رواية مقبل الذكير، وهي مشهورة ومتداولة. وقد صور فيها الشاعر الحادثة وماجرى فيها «وهي قصيدة مؤثرة قليلة النظير في الشعر العامي في بكاء أهل الدار التي أُخِذَتْ منهم»[٤٨] حيث يقول:

جَـوْنَـا صبَـاح وجُمْلَةَ النَّـاس بِـرْقُـودْ وَاهْــلَ الْقَهَــاوِي مِشْعِلِينْ ضُــوَاهْــا
مَـاثَـارْبَـهْ رَمْيَـهْ وَلَا زِرْقِ بَـهْ عُـوْدْ وَلَا ثَـارْ مَثْلُوثَ الدَّخَنْ مِنْ وَرَاهَـا

(مِزْنَةْ) تِصِيْح ومِقْدِمَ الـرّاسْ مَشْدُوْدْ يَـالَـيْتْـهُمْ مَـافَـكّـرُوا فِي صْبِـاهَـا
رْبَـاعْتِي وَالـلِّيْ هَقَيْنَـا بْـهَ الْجُـوْدْ عِـزْلَوْا كَـمَا عَزْلَ الْغَنَمْ عَنْ ضَنَاهَا
لَوَ أنّ (اخو طَرْفَةْ) حَضَرْ يافَتَى ٱلْجُوْدْ مَاكَانْ صَرَّتْ بَـالْمَحَامِلِ نْسَـاهَا
ٱلقَوْلْ قَوْلَ (ٱلعُرْفْ) مَاهُـوبَ مَجْحُودَ والنَّـارْ تَاكِـلْ وَالْدَ الـلِّيْ كمَـاهَـا[٤٩]

ومن الذين ذكروا الحادثة عبدالعزيز المحمد القاضي في قصيدته عن تاريخ عنيزة أسماها «العنيزية».

وقد ساق بعض فصول الحادثة في قصيدته ومنها:

وكـانَ حُـجَـيْـلانُ أَمِـيرُ بُـرَيْـدَةٍ يُـكِـنُّ لِـعَـبْـدِ الـلَّهِ شَـرًّعِـدَاءِ
فـآلَ بِـهِ الْكَيْـدُ الَّـدفِـيْنُ لِقَتْـلِهِ حَـفِيْـدِ رَشِيُـدٍ قِـتْـلَةَ الْجُبَـنَـاءِ

إلى أن قال:

وأَقْبَـلَ جَيْشُ ابْنَ السُّعُـودِ يَقُـودُهُ حجيـلان يحكي مشيـة الخيـلاء
أَيـا (عُرْفُ) جَـادَ ٱلغيْثُ قَبْرَكَ إنمـا رَأَيْتَ عَـظِيْمـاً نَكْبَـةَ الْعُـظَمَاءِ[٥٠]
وَفَيْتَ وَهَـاجَتْكَ الشُّجُـونُ فَـأَذْرَفَتْ جُفُونُكَ دَمْعـاً فِيْهِ بَعْضُ عَـزَاءِ[٥١]

ومهما يكن من أمرٍ فإنَّ عبدالله بن رَشيد بقي في الدرعية حتى حملة ابراهيم باشا على الدرعية ــ عام ١٢٣٣هـ/ ١٨١٧م حيث رجع لإمارته ــ كما سيأتي ــ وقد خلفه في إمارة عنيزة ــ إبَّان جلوسه في الدرعية ــ عبدالله المحمد اليحيي أبا الشحم، بتعيين من حكومة الدرعية، واستمر حتى عام ١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م حيث عين الإمام سعود ابراهيمَ بنَ سليمان بن عُفَيْصَان، الذي توفي عام ١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م فخلفه (خيرالله) مملوك سعود فترة وجيزة. ثم عزله الإمام عبدالله بن سعود بن عبدالعزيز بعد مجيء الحملات المصرية على الدولة السعودية وولى مكانه ابراهيم بن حسن بن مشارى بن سعود، عام ١٢٣٠هـ/ ١٨١٤م[٥٢].

القصيم في ظل التبعية السعودية: رأينا فيما سبق الجهود الحربية التي بذلتها حكومة الدرعية في سبيل ضم القصيم إلى حضيرتها وهي جهود مضنية استمرت

مايقارب ثلاثين سنة من عام ١١٨٢ ــ ١٢١٢هـ/ ١٧٦٨ ــ ١٧٩٧م وهي وان لم تكن مستمرة بل متقطعة إلاَّ أن هذا يدل على أن حكومة الدرعية لقيت عناء شديداً. صحيح أنها لقيت كثيراً من المؤيدين من أول أمرها وعلى رأسهم حُجيلان بن حمد، إلا أنها في المقابل لقيت بعض المعارضين.

ومهما يكن من أمر فقد نجحت حكومة الدرعية في فرض سيطرتها التامة على القصيم وجعلت حُجَيلان بن حمد أميراً على بريدةَ وسائر القصيم ــ ماعدا عُنيزةَ ــ فقد جعلت ولايتها لشخص آخر[٥٣] يتصل مباشرة بالدرعية. وهذا مالاحظناه عند تتبعنا لغزوات حكومة الدرعية في القصيم، فقد كان لعنيزة نهج وطريق، ولبريدة نهج آخر، ويبدو أنَّ هذا راجع إلى الأسرة الحاكمة في المدينتين أكثر من الأهالي.

والحق أن حجيلان بن حمد قد أثبتت أعماله تحمسه الكامل لحكومة الدرعية، وقويت شوكة القصيم في زمنه حتى كان يغزو نقرة الشام وفي مشارق المدينة المنورة[٥٤]. بل إن ضم جبل شمر إلى حظيرة الدولة كان على يديه[٥٥]. وقد لقي هناك بعض الترحيب يدل على هذا أنه لم يرد أنه قتل أحداً ضمن الجهة المغزوة فيما عدا رجلاً ساحراً قتله هناك عام ١٢٠١هـ/ ١٧٨٦م ثم رجع إلى القصيم بعد أن نصب محمد بن علي آل علي والياً على جبل شمر[٥٦]. كما كان لحجيلان ــ بجانب نشاطه الحربي ــ دور في النشاط الاقتصادي الذي ظهر في بريدة في زمنه. ومن آثاره العمرانية السور الذي شيده حول بريدة والمعروف باسمه، ولاتزال بقاياه موجودة[٥٧].

ولقد ازدهرت في القصيم عدة قرى ــ فبجانب بريدة وعنيزة ــ توجد في تلك الفترة البكيرية والشبيبة والشباكية والحجناوي والهلالية، والخبرا والمِذْنَب والقُويع والرس والتَّنُومة[٥٨]. وصار لرجال تلك القرى دور في النشاط الحربي والسياسي في الدولة حتى وصل بعضهم إلى عمان[٥٩].

وكانت حكومة الدرعية لما أكملت احتلال نجد بضم القصيم وحايل إليها قد

اتجهت إلى الأحساء فاستولت عليه، ثم استولت على الحجاز وواصلت اتساعها داخل شبه الجزيرة العربية، ووصل أقصى اتِّساع لها قبيل مجيء الحملات المصرية ما مقداره ٢٥٠٠كم وعرضه ١٥٠٠كم ــ كما ذكر موزل[٦٠] ــ ومعنى ذالك أن مساحتها وصلت إلى (٣,٧٥٠,٠٠٠) كيلومتر مربع تقريباً.

وهكذا كانت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب من أهم عوامل وحدة تنظيم الجزيرة العربية وقد أشار لذالك نيبور ــ في رحلته عام[٦١] ١١٧٨هـ/ ١٧٦٥م إلى بعض أجزاء الجزيرة العربية ــ والدعوة مع الدولة السعودية لا زالتا في بدايتهما.

ثانياً: موقف القصيم من الحملات المصرية على الدولة السعودية

أسباب الحملات: لقد ترتب على استيلاء الدرعية للحجاز وخضوع الحرمين الشريفين للسعوديين أن بدأت الدولة العثمانية تدرك قوة الدرعية وخطرها عليها دينياً وسياسياً[٦٢]. ويكفي أنها أفقدت السلطان العثماني لقب (خادم الحرمين الشريفين) الذي يعتز به وتقوم عليه مكانته الدينية[٦٣]. زِدْ على ذالك أن الإمام سعوداً منع مجيء الحجاج المصريين والشاميين إلى الحجاز إذا اصطحبوا معهم (المحمل) لأنه بدعة محدثة في الدين يجب محاربتها[٦٤]. لهذا بدأت الدولة العثمانية تخطط بصدق للقضاء على الدولة السعودية الأولى، فأوعزت إلى ولاتها في العراق والشام بمهمة القضاء عليها حربياً، وزاد ذالك قيام أعداء حكومة الدرعية الآخرين بالدعاية السيئة ضدها دينياً وسياسياً، فشوهوا مباديء دعوتها الدينية واتجاهاتها السياسية. حتى أنهم أشاعوا أن لزعماء حكومة الدرعية اتصال مع (نابليون) وحملته الاستعمارية على مصر عام[٦٥] (١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م) كما رموا دعوتها (دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب) بالزندقة[٦٦].

وبعد فشل ولاة العراق والشام في مهمة القضاء على الدولة السعودية اتجه السلطان العثماني إلى واليه على مصر (محمد علي باشا) ليقوم بهذه المهمة فالحجاز قريب من مصر وكان تابعاً لمصر قبل استقلال الأشراف به[٦٧]. كما أن قسماً من

ضرائب الدولة العثمانية على مصر يذهب لتمويل الأماكن المقدسة في الحجاز[٦٨] ويذكربوركهاردتأنه اشتركت قوات مصرية ضعيفة في الدفاع عن الحجاز حينما دخله السعوديون[٦٩] قبل ذالك حوالي عام ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م.

وكان من المنتظر أن يرحب محمد علي بهذا التكليف، وبهذه الثقة من الباب العالي. ولكن الوثائق[٧٠] تشير إلى محاولة محمد علي الاعتذار من الباب العالي مُبْدِياً كثيراً من الأعذار ليعفى من هذه المهمة[٧١]. ولعل ذالك راجع إلى أنَّ حكمه الداخلي في مصرلم يَقْو بعد. فالمماليك في مصر يشكلون خطراً على حكمه، كما أن اطماع دول أوربا ــ خاصة انجلترا وفرنسا ــ بمصر تزيد من خوفه. ولكن بعد أن ألح عليه الباب العالي (السلطان العثماني) قبل، ولعله رأى في قبوله عدة مكاسب منها:

١ ــ كسبه رضا الدولة العثمانية. خصوصاً وأن الباب العالي كان قد فكر في عزل محمد علي عن مصر لأنه قصر في تأمين الحج إلى مكة[٧٢].

٢ ــ رفع مكانته في العالم الاسلامي باعتباره منقذاً للحرمين الشريفين[٧٣].

٣ ــ الحصول على أكبر حجم ممكن من المعدات والنفقات من الدولة. وتشير المصادر أنه لم يفلح في هذا الجانب كثيراً. بل لم ينجح في إلغاء الضرائب على مصر من قبل الدولة ولكنه نجح في تخفيضها[٧٤].

٤ ــ رأى في ذالك فرصة للقضاء على العناصر المشاغبة في جنده من ترك ومغاربة وألبان (الأرناؤط) حتى يستطيع أن يكوّن جيشاً جديداً منظماً حسب الطرق الحديثة[٧٥].

٥ ــ وأخيراً. فهي فرصة للبدء في تحقيق أحلامه وتطلعاته التوسعية. ولهذا كانت الدولة العثمانية تخشى من اتساع نفوذه، فهدفت إلى إضعافه بهذه المهمة. فإذا لم تصب كلتا الحسنيين (القضاء على السعوديين وإضعاف محمد علي) فلا تعدم إحداهما[٧٦].

وعلى هذا الاساس أعدَّ (محمد علي) حملة حربية بقيادة ابنه (أحمد طوسون)

عام ١٢٢٦هـ/ ١٨١١م قوامها أربعة عشر ألف جندي[٧٧] وأمرها بالتوجه إلى الأراضي الحجازية.

حملة طوسون: خرجت الحمة من السويس إلى (ينبع) فاحتلتها فأعدَّ لها الإمام سعود جيشاً قوامه ثمانية عشر ألف مقاتل، بقيادة ابنه عبدالله[٧٨]. فالتقى الطرفان في (وادي الصفراء) فهزم جيشُ طوسون في نهاية الأمر. وغنم الجيش السعودي غنائم كبيرة (ذي القعدة عام ١٢٢٦هـ)[٧٩]. فطلب طوسون من أبيه مدداً فأمدَّهُ بحملة يقودها (أحمد بونابرت) ولم تلبث أن انضمت قبيلة جُهينة إلى طوسون أيضاً فازداد بذالك قوة، بعد أن ترك السعوديون فرصة ملاحقته بعد هزيمة (الصفراء)[٨٠] ولهذا سار طوسون بقوته فاحتل (ينبع النخل) ثم وادي الصفراء ومنه وصل المدينة فحاصرها حتى استولى عليها، وقضى على حاميتها السعودية. وكان رَدُ الفعل السعودي على ذالك أَنْ أَعَدَّ الإمام سعود جيشاً قاده بنفسه وتوجه به إلى (الحناكية) ــ شرق المدينة ــ وكان من آثار استيلاء طوسون على (المدينة) أن أقدم شريف مكة (غالب بن مساعد) على تسليم مكة لطوسون الذي كان جيشه قد ازداد قوةً بانضمام قبيلة حَرْبٍ أيضاً إليه، بعد انضمام (جهينة) السابق وذالك حسب مايبذله طوسون للقبائل ورؤسائها من الهدايا والخلع حتى استمال بها قلوبهم[٨١].

أما الإمام سعود فقد اصطدم بالحامية التركية المصرية المرابطة في (الحناكية) فطلبت منه الأمان فأجابهم بشرط اتجاههم نحو العراق ولعل ذالك بهدف عدم تقوِّي العدوِّ بها. أما طوسون فقد أعدَّ حملة اتجهت نحو (تُرَبَة) فهزمها السعوديون. مما جعل طوسون يطلب مدداً آخر من أبيه فأمده بجيش كان على رأسه محمد علي نفسه فوصل إلى الحجاز في ذي القعدة ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م فاعتقل الشريف غالباً لشكه في إخلاصه ثم بعثه إلى مصر، ثم مُنِيَتْ قُوَّاتُهُ بهزيمةٍ في (تُربة والقنفذة) أمام السعوديين[٨٢]. وكاد الصلح أن يتم بين الطرفين في هذه الفترة لولا شروط محمد علي القاسية وصلابة الإمام سعود[٨٣]، الذي لم يلبث أن توفي في جمادى الأولى عام ١٢٢٩هـ/ ١٨١٣م فخسرت الدولة السعودية بموته

قائداً بطلاً وشجاعاً قوياً حكيماً. وتولى بعده ابنه عبدالله بن سعود بن عبدالعزيز ولم يكن في مستوى والده من حيث الكفاءة في القيادة والإدارة[٨٤].

ومما زاد في ضعف موقف القوات السعودية الخلاف الأسريّ على الحكم. حيث ظهر عبدالله بن محمد بن سعود كُمُنَافِسٍ له على السلطة، إضافة إلى خلاف عبدالله بن سعود مع أخيه فيصل[٨٥]. وبعد وفاة سعود زاد تصميم (محمد علي) في القضاء على الدولة السعودية، فبعث يطلب مدداً، استطاع به أن يهزم قوات فيصل بن سعود في (وادي بِسْلٍ) ــ شرق الطائف ــ في مطلع عام ١٢٣٠هـ/ ١٨١٤م ثم قرر محمد علي فَجْأَةً أن يعود إلى مصر لسماعه عن مؤامرة داخلية وخارجية تحاك ضِدَّهُ في مصر[٨٦].

أما طوسون فكان حينـذاك في (المدينة)[٨٧] يبعث بالجيوش إلى منطقة (القصيم). وفي هذه الأثناء برز دَوْرُ القصيم ورجاله في التَّصَدِّي لِلْعَدُوِّ ومنعه من بلادهم. وهنا يعجب الباحث من الموقف اللينِّ الذي وقفته بعض القرى في القصيم من طوسون وجيشه. فبالرغم من وجود بعض المقاومة التي لقيها طوسون حين تَقَدُّمه في القصيم خاصة من قبيلة عَنزة وشيخها هَذَّال ــ كما يقول بوركهاردت[٨٨]، إلا أنها مقاومة ضعيفة لم تُجْدِ ــ وهنا يذكر لنا ابن بشر أن (طوسون) كاتب أهل الرَّسِّ والخبرا يدعوهم للدخول في طاعته فأطاعوه، فجاء واحتل بلادهم. ثم يذكر أنَّ بعضهم ندم واتجه إلى قلعة (الشِّنَانَة) ــ قرب الرس ــ وتمركز فيها. فحاصرهم (طوسون) فثبتوا بل قتلوا من جيشه عدة قتلى فرحل عنهم[٨٩]. وبالرغم من ذالك فإنه لابُدَّ أن يكون هناك أسباب دفعتْ أهل الرس والخبرا إلى الوقوف موقف المرحب من احتلال طوسون لبلادهم. وقد عزا البعض ذالك إلى كراهيتهم لحكم الدرعية[٩٠]. ولكن هذا الرأي يُعْوِزُهُ المنطق، والأدلة ولعل ذالك يعود إلى مابذله (طوسون) ــ كعادته ــ لبعض زعماء البلدين من عطايا وخُلَعٍ، جلب به قلوبهم واستطاعوا التأثير على البقية. ومع ذالك فقد كان موقف أهل هاتين المدينتين مثار استياءٍ وتهكم من باقي أهالي القصيم[٩١] بسبب ذلهم وخنوعهم للعدو الأجنبي. ولعل هذا الموقف كافٍ في الرد على من قالوا: إن

موقفهم دليل على كراهية المنطقة لحكومة الدرعية. زد على هذا موقف من تحصنوا بقلعة (الشنانة) كما سبق.

ومهما يكن من شيءٍ فقد استطاع طوسون احتلال الرس والخبرا، سلمياً. أما عبدالله بن سعود فكان قد سار من الدرعية حتى وصل القصيم، وعسكر في (الحجناوي) ــ بين عنيزة والرَّسّ ــ حيث حصلت مناوشات بين الجانبين لم تسفر عن نتائج حاسمة.

ويذكر ــ بوركهاردت ــ أن عبدالله بن سعود ركز على محاولة قطع مواصلات طوسون ومهاجمة رجاله[٩٢] ــ وهذا ماجعل طوسون يميل إلى عقد صلح مع عبدالله بن سعود. ويقرر اللحاق بأبيه، ولكي يضمن ماحصل عليه من مكاسب ــ ولو على الأقل في الحجاز ــ فقد أرسل لعبد الله بن سعود للتفاوض في الصلح. واختلف الباحثون في نظرتهم لصلح الرس. فبَعضهم ذكر أنه كان بطلب من محمد علي نفسه[٩٣]. وآخر يرى بأنه تصرف من طوسون دون أن يستأذن والده[٩٤]. والبعض الآخر يضع في بنود صلح الرس شروطاً قاسية[٩٥] على عبدالله لايمكن أن يتصور قبول عبدالله لها خصوصاً وأن كفة الجانبين مُتَعَادِلَةً على أَقلِّ تقدير.

وعلى كل فإن أهم بنود صلح الرِّسّ التي اتفق الجانبان عليها هي: ــ

١ ــ أن تضع الحربُ أوزارها بين الجانبين.

٢ ــ انسحاب الجيوش الغازية من نجد وتوابعها، واستقلال عبدالله بن سعود بحكمها.

٣ ــ يبقى الحجاز تحت نفوذ (محمد علي) يحكمه باسم السلطان العثماني.

٤ ــ تسير السبل آمنةً بين الفريقين، وعدم اعتراض أي حاج منهما[٩٦].

وهكذا عُقِدَ صلح الرس في أواخر عام ١٢٣٠هـ/ ١٨١٤م ولكنه لم يلبث أن نقض لتعود الحرب بين الجانبين ولكن بشكل أكثر جدية وقوة بالنسبة لجانب محمد

علي. وهنا يختلف الباحثون أيضاً ــ في سبب نقض الصلح:

١ ــ فابن بشر ومن نقل عنه يرى أن سبب نقض الصلح أن رجالاً من (أهل القصيم والبوادي) سافروا واجتمعوا إلى (محمد علي باشا) مزخرفين له القول، ومزينين له غزو الدولة السعودية من جديد. وكان ذالك بعد غزو عبدالله بن سعود لبلادهم، وتأديبه لهم، حيث هدم سور البكيرية والخبرا، وأمسك بعض رؤسائهم، وأرسلهم إلى الدرعية، كما غزا بوادي حَرْبٍ ومُطَيْر، ووصل إلى قرب (الحِنَاكِيَّةِ)[٩٧].

٢ ــ وبعض المؤرخين يرى أن صلح الرس لم يوافق عليه (محمد علي) أصلاً، ولذلك رد الوفد الذي أرسله (عبدالله بن سعود) إلى مصر لتقرير الصلح. وممن رأى ذالك المؤرخ (مقبل الذكير) الذي رَدَّ رَأْيَ ابنِ بشر السابق. وأرجعه إلى (تحامله) على أهل القصيم دائماً[٩٨].

٣ ــ وذهب آخرون إلى أن نقض الصلح كان بسبب أن (محمد علي) أرسل بعد وفاة ابنه طوسون عام ١٢٣١هـ ــ مطالب جديدةً إلى (عبدالله بن سعود) اعتذر عنها عبدالله، وأرسل إلى (محمد علي) هديةً فاخرةً فردها محمد علي وأوسعه تهديداً وجهز إليه حملة ابنه (ابراهيم باشا)[٩٩].

٤ ــ ويرى الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب في مقاماته أن سبب نقض الصلح أن (عبدالله بن سعود) أرسل خطابات إلى مناطق غامد وزهران ــ جنوب الحجاز ــ مضمونها أنهم تابعون لدولته. فأرسلوا خطاباته إلى (محمد علي) في مصر. فغضب وقال: إنها من جملة ماوقع عليه الصلح. فكان ذالك سبباً لنقضه الصلح وإعداده حملةً جديدة على الدرعية[١٠٠].

هذه مختلف الآراء في أسباب نقض الصلح. وفي رأينا أنه لم يكن في نية (محمد علي) استمرار الصلح. وإنما جعله فرصةً لإعداد جيشهِ وتنظيمه، تمهيداً لعودته لمحاربة حكومة الدرعية وإسقاطها. وهذا ماتؤيده الوثائق في هذا الموضوع، ففي رسالة من (محمد علي) إلى السلطان العثماني يذكر فيها ارسال ابنه (أحمد طوسون)

إلى القصيم لمحاربة السعوديين، ثم العودة إلى القاهرة لإعادة التنظيم والإعداد للجند تمهيداً لمهاجمة الدرعية[١٠١].

على أيِّ حال فإنَّ (محمد علي) عزم على القضاء على الدولة السعودية دون مراجعة ــ وكان يوصف بأنه (دكتاتوري) مستبدٌّ برأيه[١٠٢] ــ فجهز حملة كبيرة بقيادة ابنه (ابراهيم باشا).

حملة ابراهيم باشا وسقوط الدرعية: سار إبراهيم باشا بحملته من مصر وسلك الطريق البحري من (القُصَيْر) إلى (ينبع) ودخل الجزيرة بجيوش لا عهد لها بها من حيث عددها وعدتها، واتصال خطوط تموينها من القاهرة إلى مراكز القيادة في ساحات المعارك، داخل الجزيرة العربية، واصطحب معه خبراء عسكريين فرنسيين، وعدداً من الأطباء والصيادلة. ومدافع ضخمة منها مدافع فرنسية[١٠٣]. ثم وصل إلى المدينة وهناك أقسم ألا يرجع حتى يفرق شمل أعدائه[١٠٤]. ثم اتجه إلى (الحناكية) أواخر عام ١٢٣١هـ.

أما (عبدالله بن سعود) فقد أَعْلَنَ النفير العام في دولته. وسار بجيشه والتقى الفريقان في (مَاوِيَّةَ) ــ غرب القصيم قرب الحناكية ــ وكان على رأس قوات القصيم أميره حُجَيلان بن حمد آل بن عليان[١٠٥].

وقامت هناك معركة بين الطرفين هزم فيها عبدالله بن سعود وجنوده، ومُنِيَ بخسائرَ فادحة، فكانت هذه المعركة بداية أفول نجم الدولة السعودية الأولى وصعود نجم إبراهيم باشا. ويصفها ابن بشر بقوله: (وهذا أول وهن يقع في المسلمين) ويورد منير العجلاني في كتابه (عبدالله بن سعود) وثيقة تذكر أن من بين قتلى معركة (ماوية) حجيلان بن حمد [١٠٦] أمير القصيم وهو خطأ، إذْ أنَّ حجيلان توفي في المدينة عام ١٢٣٤هـ بعد أن نقله إبراهيم باشا إليها بعد سقوط الدرعية ــ كما سيأتي ــ ولعل (حجيلان) جرح في معركة (ماوية) واعتقد موته ولكنه سلم.

وقد اضطر الإمام عبدالله بن سعود بعد هزيمته تلك أن يتراجع إلى داخل

القصيم. وتذكر بعض المراجع أنَّ من أسباب هزيمة عبدالله كشف العدو لخطته الحربية قبل بَدْءِ المعركة[١٠٧]. وقد يكون لأسلوب الرشوة المالية التي سار عليها إبراهيم دور في الوصول إلى هذا الكشف، ذالك أن ابراهيم اتخذ أسلوب الرشوة بجانب التهديد في استمالته القبائل إلى صفه[١٠٨]. كما فعل (طوسون) قبل ذالك ــ وتذكر الوثائق أن عدد قتلى عبدالله بن سعود في معركة (ماوية) ثلاث مئة رجل[١٠٩].

سار عبدالله بن سعود إلى القصيم فنزل (الخبرا) ثم تركها إلى (عنيزة) حيث عسكر فيها. أما ابراهيم باشا فزحف بجيوشه إلى الرس ووصلها في ٢٥ شعبان ١٢٣٢هـ/ ١٨١٦م فألقي الحصار عليها، وأراد أهل الرس التكفير عن ذنبهم الأول مع طوسون فقاوموا الحصار مقاومة عنيفة، وصبروا صبراً ليس له مثال ــ كما يقول[١١٠] ابن بشر ــ وضربوا أروع الأمثلة في الدفاع عن الأوطان وكان على رأسهم أمير الرس (منصور العساف) وقاضيها المشهور الشيخ (قرناس بن عبدالرحمن القرناس) الذي باشر القتال بنفسه، وقاد عدة معارك ضِدَّ العدو، وأخذ يحرض الأهالي على الصبر والاستبسال، فسقط من العدو في الحصار ١٥٠٠ قتيل[١١١]. واستمر حصار الرس قرابة أربعة أشهر. وفي ذالك يقول الشيخ أحمد بن علي بن دعيج:

وشبَّ نار الحرب فوق الرَّسِّ ثلث السنة يضربهم بِالْقُبْسِ
وصبروا وصبرهم قربانا أصبر في الهيجاء من أبانا[١١٢]
رجال صدقٍ في اللقا والبأس أعيانهم وشيخهم قرناس[١١٣]

وتشير الوثائق إلى وقوع معارك في حصار الرس انهزم فيها ابراهيم، مما جعله يطلب الإمدادات من القاهرة[١١٤]. كما تشير الوثائق إلى اتجاه (ابراهيم باشا) نحو الخبرا ومقاومته بعنف أيضاً[١١٥]. ورغم الاستعداد العسكري الكبير لإبراهيم، وطول حصاره للرس، فإنه لم يستطع الاستيلاء عليها إلا صلحاً[١١٦] وقد اهتم بها لأنها مفتاح الطريق إلى الدرعية[١١٧]. وكان من أهم شروط الصلح مع أهل الرس:

١ ــ رفع الحصار عن الرس. ٢ ــ يضع أهلها السلاح ويكونون على الحياد. ٣ ــ لايجوز لجنود ابراهيم وضباطه دخول الرس. ٤ ــ عدم اجبار أهل الرس على تقديم شيء من المؤن والميرة للجيش. ٥ ــ لايدفع اهل الرس ضريبة أو غرامة لابراهيم باشا. ٦ ــ اذا تم استيلاء ابراهيم باشا على عنيزه تسلم له الرس. واذا لم ينجح في ذالك يعتبر القتال متجددا بين الطرفين[١١٨].

وبمقتضى ذالك فك الحصار عن الرس في ١٢ ذي الحجة في عام ١٢٣٢هـ بعد أن استمر ثلاثة أشهر وسبعة عشر يوماً، والمدينة صامدة، ومع ذالك فإن شروط الصلح تلك تدل على أن أهل الرس كانوا في موقف القوة نسبياً، ويكفي أنها صمدت تلك المدة الطويلة أمام جيش ابراهيم باشا وعدته وعديده.

كان عبدالله بن مسعود حين تسليم الرس ــ في (عنيزة) وحينما علم بذالك ترك حامية في (قصر الصفا) بعنيزة وغادرها إلى (بريدة). فواصل ابراهيم باشا زحفه إلى (عنيزة) وبعد منازلةٍ سلمت وامتنعت الحامية. وتشير الوثائق إلى مناوشة عبدالله بن سعود لجيش ابراهيم وهو في طريقه إلى عنيزة أَدَّى إلى سقوط عدد من القتلى والجرحى من الجانبين[١١٩]. ولكنها على أي حال لم تُجْدِ نفعاً. ففي اليوم السادس اضطرت حامية عنيزة إلى طلب الصلح بعد احتراق مالديها من مؤن وذخيرة، وكان أمير البلد ابراهيم بن حسن بن مشاري بن سعود وأخوه محمد أمير الحامية التي استسلمت بشرطين:

١ ــ عدم أسر الحامية والسماح لها بالذهاب أَنَّى شاءت.

٢ ــ تسلم الحامية مالديها من الأسلحة والذخائر والمؤن لجيش ابراهيم باشا[١٢٠].

وعلم عبدالله بن سعود باستسلام حامية عنيزة فلم يبق لديه أملٌ في المقاومة فرحل من بريدة وأذن لمن معه من أهل البلدان بالرجوع إلى أوطانهم، ومعنى ذالك أنه ترك كل بلد يدافع عن نفسه ــ حسب قدرته ــ وهذا يدل على عمق الانهزام النفسي لدى حكومة الدرعية بسبب مالحقها من هزائم متوالية. وكان لهذا

الموقف أثره السيءُ على بقية البلدان. لهذا لما اتجه ابراهيم باشا إلى (بريدة) طلب أميرها حجيلان بن حمد الأمان دون مقاومة تذكر[١٢٢]. كما أن القبائل وباقي بلدان منطقة القصيم أذعنت إلى التسليم خوفاً من بطش ابراهيم، وقسوة أعماله الحربية، خاصة وأنها رأت تدهور نفوذ آل سعود واندحاره سريعاً نحو الزوال. وهكذا ضاعت كل منطقة القصيم من آل سعود. وصارت في قبضة ابراهيم باشا[١٢٣].

وقد يكون موقف عبدالله بن سعود وانسحابه إلى الدرعية اتباعاً أو استمراراً لخطة حربية تقوم على أساس توزيع قوات ابراهيم باشا، وارهاقها بعمليات الحصار المتعبة عند كل قرية يمر بها مع اتباع أسلوب حرب العصابات التقليدية المعروفة، إمعاناً في إرهاق قوات العدو[١٢٤].

على أية حال ففي مطلع عام ١٢٣٣هـ/ ١٨١٧م واصل ابراهيم باشا زحفه على القرى والمدن النجدية للوصول إلى (الدرعية) هدفه الأول والأخير، والتي كان يشبهها بتفاحه في سجادة ويقول: علينا أن ندحرج السجادة شيئاً فشيئاً حتى تصبح التفاحة في أيدينا، وذالك بأن نحصل على محالفة القبائل وعدم التقدم إلاَّ بعد التأكد من امتلاك البلاد[١٢٥].

والواقع أن إبراهيم باشا طبق نظريته تلك بدقَّة متناهية. أوصلته إلى مطلوبه فقد كان يطوي المدن والقرى النجدية طي البساط (أو السجادة) بعضها يقاوم ثم يستسلم ــ مثل شقراء وضرمى ــ وبعضها يستسلم دون مقاومة. حتى وصل في الثالث من شهر جمادى الأولى عام ١٢٣٣هـ/ ١٨١٧م. إلى (الدرعية) ــ عاصمة الدولة ــ ليبدأ حصاره وهجومه العنيف عليها والذي استمر مدة تزيد عن ستة أشهر[١٢٦]. ورغم مابذله عبدالله بن سعود وأتباعه من بسالة في الدفاع عن عاصمة دولتهم إلا أنَّ الهزائم كانت تحل به وبأتباعه. وقد أحصى (الفاخري) عدد الوقائع بين الفريقين فبلغت ثماني عشرة موقعة[١٢٧]. أشهرها موقعة (غُبَيْرَاء) التي أظهرت خيانةً في صفوف عبدالله عرف العدوبها عورات البلد[١٢٨]. مما اضطر

عبدالله بعد اجهاده بالحصار والحرب إلى طلب الصلح من إبراهيم باشا. فتم الاتفاق على ثلاثة شروط:

١ ــ تسليم الدرعية لجيش ابراهيم.

٢ ــ يتعهد إبراهيم الابقاء عليها وعلى سكانها.

٣ ــ يسافر عبدالله إلى القاهرة ومنها إلى (الاستانه) عملاً برغبة السلطان[١٢٩].

وهكذا تم استسلام الدرعية ــ آخر الحصون ــ في ٩ ذي القعدة عام ١٢٣٣هـ. ونقل عبدالله بن سعود إلى مصر ثم الاستانة، حيث أعدم شنقاً هناك في ساحة مسجد (أيا صوفيا)[١٣٠].

وتذكر بعض المراجع أن (محمد علي) طلب من السلطان عدم إعدامه. ولكن لم يلتفت إليه[١٣١]. كما أمر ابراهيم باشا بأسرتي آل سعود وآل الشيخ بالرحيل إلى مصر إلا من اختفى منهم أو هرب. ويظهر أن (محمد علي) لم يوافق على البند الثاني من الاتفاقية[١٣٢]. لذالك أمر ابنه بتدمير الدرعية تدميراً كاملاً. ويذكر (سادلير) أنَّ ذالك كان بأمر من السلطان إلى محمد علي[١٣٣]. وبهذا تم (لمحمد علي باشا) القضاء على الدولة السعودية الأولى.

ومن المهم أن نشير هنا أن الدفاع عن عاصمة الدولة لم يقم به أهلها فحسب وإنما شاركهم رجالٌ من أقاليم الدولة المختلفة. ومنها القصيم ــ الذي يذكر ابن بشر ما تعرض له بعضهم من قتل وتعذيب على يد ابراهيم باشا وذالك مثل صالح بن رشيد الحربي، من أهل الرس، حيث جعله ابراهيم باشا ــ مع غيره ــ في ملفظ مدافعه فتمزقوا إرَباً إرَباً[١٣٤] وبالمقابل كان موقف أمير الرياض أثناء حصار الدرعية غير مشرف وهو ناصر بن حمد العائذي، الذي انضم إلى (ابراهيم باشا) ومعه عدة رجال من أهل الرياض[١٣٥].

المصادر والمراجع للموضوع

أولاً : مصادر ومراجع غير منشورة :

أ ـ الوثائق (من دار الوثائق القومية بالقاهرة).

١ ـ وثيقة من محمد علي إلى الباب العالي دفتر (١) معية تركي رقم ٤، ٧، ٤٣ عام ١٢٢٢هـ و١٢٢٣هـ .

٢ ـ وثيقة من محمد علي إلى الباب العالي دفتر (١) معية تركي رقم ٧٣، ٧٥، ٧٨ عام ١٢٢٦هـ.

٣ ـ وثيقة من محمد علي إلى طوسون محفظة (١) ذوات رقم (٢) عام ١٢٢٦هـ

الوثائق (من دارة الملك عبدالعزيز بالرياض)

٤ ـ وثيقة رقم ١/٥ ـ ٢٢٢ عام ١٢٣٠هـ من محمد علي إلى السلطان العثماني.

٥ ـ وثيقة رقم ١/٥ ـ ٥٤ عام ١٢٣٢هـ من محمد علي إلى السلطان العثماني.

٦ ـ وثيقة رقم ١/٥ ـ ١٩٧ عام ١٢٣٢هـ من محمد علي إلى السلطان العثماني.

٧ ـ وثيقة رقم ١/٥ ـ ١٢٤ عام ١٢٣٢هـ من محمد علي إلى الصدر الأعظم.

٨ ـ وثيقة رقم ١/٥ ـ ٥٩ عام ١٢٣٢هـ من محمد علي إلى السلطان.

٩ ـ وثيقة رقم ١/٥/ ـ ٤٥ عام ١٢٣٣هـ من ابراهيم باشا إلى محمد علي.

١٠ـ وثيقة رقم ١/٢ ـ ٦٦ عام ١٢٣٣هـ من ابراهيم باشا إلى رئيس الكتاب.

١١ـ وثيقة رقم ١/٢ ـ ٤٣ عام ١٢٣٣هـ من ابراهيم باشا إلى محمد علي.

ب ـ المخطوطات :

١٢ـ البسام، عبدالله المحمد، تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق بخط نورالدين شريبة.

١٣ـ الذكير، مقبل: تاريخ البلاد العربية السعودية (مخطوط بجامعة بغداد)، ومعجم البلاد السعودية.

١٤ـ ابن ضويان، ابراهيم، رسالة مختصرة في التاريخ بخط منصور الرشيد.

١٥ـ العبيد، محمد العلي: النجم اللامع للنوادر جامع في أخبار العرب المتأخرين.

١٦ـ ابن عضيب: تاريخ الشيخ ابن عضيب من عام ١٠٥٩هـ في ٤ ورقات.

١٧ـ مؤلف مجهول: كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب المكتبة الوطنية بباريس.

١٨ـ ابن ناصر، عبدالرحمن: عنوان السعد والمجد فيما استظرف من أخبار الحجاز ونجد. مكتبة أرامكو بالظهران.

جـ ـ رسائل جامعية لم تنشر :

١٩ــ الخضيري، محمد بن سليمان: العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والعراق. كلية العلوم الإجتماعية بالرياض.
٢٠ــ درويش، مديحة: العلاقات السعودية المصرية. كلية الآداب جامعة القاهرة.
٢١ــ رشوان، محمد أحمد: سياسة محمد علي في شبه الجزيرة العربية. كلية اللغة العربية جامعة الأزهر.

ثانياً: مصادر ومراجع منشورة:

أ ــ المصادر والمراجع العربية والمصرية:

١ ــ البسام: عبدالله بن عبدالرحمن: علماء نجد خلال ستة قرون (ط الأولى ١٣٩٨هـ) ٣ أجزاء.
٢ ــ ابن بشر: عثمان بن عبدالله، عنوان المجد في تاريخ نجد (ط وزارة المعارف الثانية).
٣ ــ ابن بشر: عثمان بن عبدالله، عنوان المجد في تاريخ نجد (ط الأولى تعليق محمد بن مانع عام ١٣٢٨هـ).
٤ ــ البطريق، عبدالحميد، ابراهيم باشا في بلاد العرب ضمن كتاب ذكرى ابراهيم باشا ط القاهرة ١٩٤٨.
٥ ــ بيربي، جاكلين: اكتشاف جزيرة العرب ترجمة قدري قلعجي ط بيروت (بدون تاريخ).
٦ ــ الجاسر حمد: مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ نشر دار اليمامة بالرياض ١٣٨٦هـ.
٧ ــ الجبرتي، عبدالرحمن: عجائب الآثار في التراجم والأخبار (ط بولاق بالقاهرة، ودار الفارسي بيروت).
٨ ــ حراز السيد رجب (الدكتور): الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب (القاهرة ١٩٧٠).
٩ ــ حمزة: فؤاد: البلاد العربية السعودية (ط الثانية مكتبة النصر بالرياض).
١٠ــ الحنبلي، راشد بن علي: مثير الوجد في أنساب ملوك نجد المطبعة السلفية بالقاهرة.
١١ــ خزعل: حسين خلف الشيخ: تاريخ الجزيرة العربية في عهد الشيخ محمد بن عبدالوهاب (ط الأولى ١٩٦٨ بيروت).
١٢ــ خميس، عبدالله بن محمد: أهازيج الحرب أو شعر العرضة (ط الأولى ١٤٠٢هـ).
١٣ــ خميس، عبدالله بن محمد: الدرعية العاصمة الأولى (ط الأولى ١٤٠٢هـ).
١٤ــ درويش: مديحة (الدكتورة) تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين (ط الأولى ١٤٠٠هـ).
١٥ ــ الرافعي، عبدالرحمن: تاريخ الحركة القومية. عصر محمد علي (ط الأولى ١٣٤٩هـ).
١٦ــ الريحاني، أمين: نجد وملحقاته (بيروت بدون تاريخ).
١٧ــ الزركلي: خيرالدين: شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز (ط الثانية ١٣٩٧هـ بيروت).

١٨ــ بن زريق، حميد: الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين (ط عُمان ١٣٩٧هـ).
١٩ــ زكي، عبدالرحمن زكي: التاريخ الحربي لعصر محمد علي (ط القاهرة ١٩٥٠م).
٢٠ــ ستو دارد: لوثروب: حاضر العالم الإسلامي ترجمة عجاج نويهض تعليق شكيب ارسلان (ط الرابعة ١٣٩٤هـ).
٢١ــ السروجي، محمد محمود (الدكتور) الجيش المصري في القرن التاسع عشر (ط دار المعارف ١٩٦٧م).
٢٢ــ سعيد، أمين: تاريخ الدولة السعودية (نشر دارة الملك عبدالعزيز).
٢٣ــ سعيد، أمين: الخليج العربي (بيروت بدون تاريخ).
٢٤ــ السلمان، محمد بن عبدالله: دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب (ط الأولى ١٤٠١هـ).
٢٥ــ سيديو. ملخص تاريخ العالم (مترجم) (ط دار المعارف بالقاهرة ١٤٠١هـ).
٢٦ــ الشبل، عبدالله بن يوسف (الدكتور) محاضرات في تاريخ الدولة السعودية (كلية اللغة العربية بالرياض ١٣٩٣هـ).
٢٧ــ شريف، محمد بديع، دراسات في النهضة العربية الحديثة (ط القاهرة بدون تاريخ).
٢٨ــ الشعفي، محمد سعيد (الدكتور) كتاب بركارت كمصدر لتاريخ الدولة السعودية، ضمن مصادر تاريخ الجزيرة (ط جامعة الملك سعود).
٢٩ــ العابد، صالح محمد (الدكتور): دور القواسم في الخليج العربي (ط بغداد ١٩٧٦).
٣٠ــ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن: الدولة السعودية الأولى (ط الثانية ١٩٧٦م).
٣١ــ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن: محمد علي وشبه الجزيرة العربية (ط الأولى ١٩٨١م).
٣٢ ــ آل عبدالقادر، محمد بن عبدالله تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد (ط الأولى ١٣٧٩هـ)
٣٣ ــ آل عبدالمحسن، ابراهيم بن عبيد: تذكرة أولى النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان (نشر مؤسسة النور)
٣٤ ــ العبودي، محمد بن ناصر: معجم البلاد السعودية ــ بلاد القصيم ٦ أجزاء نشر دار اليمامة ط الأولى ١٣٩٩هـ
٣٥ ــ العجلاني، منير (الدكتور): تاريخ البلاد السعودية عهد عبدالله بن سعود (بيروت وتاريخ)
٣٦ ــ عسه، أحمد: معجزة فوق الرمال (ط الأولى ١٩٦٥م)
٣٧ ــ ابن عيسى، ابراهيم بن صالح: كتاب عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث (ط المعارف ١٣٩١هـ ملحق بابن بشر)

٣٨ ــ ابن عيسى، ابراهيم بن صالح: تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد (نشر دار اليمامة ط الأولى)
٣٩ ــ ابن غنام، حسين: روضة الأفكار والأفهام (ط ابابطن)
٤٠ ــ ابن غنام، حسين: تاريخ نجد تحقيق د. ناصرالدين الأسد ط الأولى ١٣٨١هـ)
٤١ ــ الغنام: سليمان بن محمد (الدكتور) قراءة جديد لسياسة محمد علي (ط الأولى ١٤٠٠هـ)
٤٢ ــ الفاخري، محمد بن عمر: الأخبار النجدية تحقيق د. عبدالله الشبل نشر جامعة الإمام محمد بن سعود
٤٣ ــ فلبي، سانت جون: تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمدبن عبدالوهاب ترجمة عمر الد يراوي (بيروت بدون تاريخ)
٤٤ ــ ابن قاسم، عبدالرحمن: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (ط الأولى ١٣٥٦هـ)
٤٥ ــ القاضي، عبدالعزيز المحمد: العنيزية (ط الأولى بغداد ١٣٦٧هـ)
٤٦ ــ القاضي: محمد بن عثمان: روضة الناظرين (ط الأولى ١٤٠٠هـ)
٤٧ ــ كشك، محمد جلال: السعوديون والحل الإسلامي (ط الثانية ١٤٠٢هـ)
٤٨ ــ لوريمر، ج-ج: دليل الخليج ١٤٠ جزء طب دولة قطر - مكتب الأمير
٤٩ ــ بن مانع، محمد بن عبدالعزيز: نبذة تاريخية في تاريخ عنيزة ضمن تاريخ بعض الحوادث لابن عيسى نشر دار اليمامة
٥٠ ــ المانع، محمد: توحيد المملكة العربية السعودية ترجمة د. عبدالله العثيمين (ط الأولى ١٤٠٢هـ)
٥١ ــ محمد، حسن سليمان (الدكتور): المملكة العربية السعودية (ط القاهرة بدون تاريخ)
٥٢ ــ المختار، صلاح الدين: تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها (ط الأولى بيروت ١٣٧٦هـ)
٥٣ ــ مؤلف مجهول: لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب. (نشر دارة الملك عبدالعزيز بالرياض)
٥٤ ــ النبهاني، محمد بن خليفة: التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية (ج ١٠ ط الثانية ١٣٤٢هـ)
٥٥ ــ نوار، عبدالعزيز سليمان (الدكتور) تاريخ العراق الحديث (القاهرة ١٣٨٨هـ)
٥٦ ــ نوار، عبدالعزيز سليمان (الدكتور) مصر والعراق دراسة في تاريخ العلاقات بينهما (ط القاهرة ١٩٦٨م)

٥٧ ــ نوار ، عبدالعزيز سليمان (الدكتور) رؤية بعض كبار مؤرخي القـرن ١٣هـ لشبه الجزيرة ضمن مصادر الجزيرة (ج ١ ط جامعة الملك سعود)
٥٨ ــ وهبة، حافظ: جزيرة العرب في القرن العشرين (ط الخامسة ١٣٨٧هـ)

ب ــ الدوريات :

٥٩ ــ البطريق، عبدالحميد (الدكتور): الوهابية دين ودولة مجلة كلية البنات جامعة عين شمس عدد ٤ يوليو ١٩٦٤م
٦٠ ــ الرشيـد، منصور عبدالعزيز: قضاة نجد أثناء العهد السعودي مجلة الدارة عدد ٣ س ٤ ١٣٩٨هـ
٦١ ــ الشعفي، محمد سعيد (الدكتور): دراسات في تاريخ البلاد السعودية العدد الأول س ١ ربيع أول ١٣٩٥هـ
٦٢ ــ العقاد، صلاح (الدكتور): الحملة المصرية في شبه جزيرة العرب مجلة دراسات الخليج عدد ٦ س ٢ ١٩٧٦هـ
٦٣ ــ الشبل: عبدالله بن يوسف (الدكتور): تاريخ عنيزة السياسي مجلة معهد عنيزة العلمي عدد ١٥ علم ١٣٨٥هـ

جـ ــ المراجع الأجنبية :

1- Burkhart (G), Travels in Arabia, London 1829.
2- Burkhart (G), Notes on the Bedoninsand Wahabys, London 1831.
3- Dickson (H.R.P.), Kuwait and her neighbours, London 1956.
4- Doughty (Charles), Travels in Arabia Desenta, London 1936.
5- Musil (Alios), Northern Nejd, New York 1928.
6- Niehbur (C.), Travels Through Arabia and other Countries in the East, Edinburgh 1972 Vol. 2.
7- Palgrave (W.G), Narrative of a Year Journey through Central and Eastern Arabia, London 1865.
8- Philby (H.st J.B), A Pilgrim in Arabia, London 1946.
9- Sadlier (C.G.F), Diary of a Journey across Arabia, Bombay 1866.
10- Winder (R. Boyly), Saudi Arabia in the Nineteenth Century. New York 1965.

د. محمد بن عبدالله السلمان
كلية العلوم العربية والاجتماعية بالقصيم

الحواشي :

(١) القصيم: منطقة واسعة ذات قرى ومدن كثيرة وموارد للمياه ومساحتها حوالي ٦٠ ألف كم٢ تقع بين منطقتي الرياض الإدارية الحالية جنوباً ومنطقة حائل شمالاً ، ولها أهمية في صدر الإسلام لوقوعها على طريق الحج العراقي. كما أن لمرور وادي الرمة في وسطها جبل لها أهمية زراعية كبيرة. وحينما أخذت مدنها وقراها الحالية تنشأ منذ القرن السابع الهجري بقيت المنطقة مجزأه إلى إمارات عديدة حتى تم توحيدها في ظل الدولة السعودية وهو ما سيبرزه هذا البحث.

(٢) عثمان بن بشر: عنوان المجد في تاريخ نجد جـ١ ص ٢٤ و ٢٥.

(٣) محمد بن عبدالله السلمان: «دعوة الشيخ محمد عبدالوهاب» ص٣٢ و٦١.

(٤) عبدالرحمن بن قاسم: الدرر السنية في الأجوبة النجدية جـ١ ص ١٤ ــ ١٧ ط أم القرى.

(٥) حسين بن غنام: تاريخ نجد تحقيق ناصر الدين الأسد ص ٢٥٥ ــ ٢٥٨.

(٦) ولد عام ١٠٧٠هـ وتولى قضاء عنيزة عام ١١١٠هـ وتوفي بعنيزة عام ١١٦١هـ أو ١١٦٠هـ أو ١١٦٤هـ انظر عبدالله البسام علماء نجد جـ ٢ ص ٥١٧ وعبدالعزيز بن عضيب: تاريخ بن عضيب (مخطوط) ورقة ٢ والمطوع معناه المعلم والمرشد.

(٧) منصور العبد العزيز الرشيد. قضاة نجد أثناء العهد السعودي ــ مجلة، الدارة السنة الرابعة العدد الثالث ص ١٢١.

(٨) عبدالله الشبل: دراسة وتحقيق الأخبار النجدية تأليف محمد بن عمر الفاخري ص١٦.

(٩) مديحة درويش: تاريخ الدولة السعودية ص ٣١.

(١٠) مقبل الذكير: تاريخ نجد (مخطوط) ورقه ٣٠.

(١١) عبدالله البسام: تحفة المشتاق (مخطوط) ورقة ٧٦. وابراهيم بن عيسى تاريخ بعض الحوادث في نجد ص ١٠٥، والدريبي وآل أبو عليان من بني تميم. انظر حمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» ٦١٩/٢، ٦٢٠.

(١٢) ابن عيسى المصدر نفسه ص ١٠٨.

(١٣) مقبل الذكير: معجم البلاد السعودية (مخطوط) ورقة ١٢٣ وعثمان بن بشر عنوان المجد جـ ١ ص ٦٧ ويذكر أن الذي مع سعود (حمود الدريبي) وهو خطأ لأنه قتل قبل ذالك. وابن عيسى ص ١١٣ مع ملاحظة أن مقبل الذكير يشك في وقوع الحادثة ويناقشها.

(١٤) ابن عيسى ص ١١٤ وابن بسام ورقة ٨٥. وانظر ابن بشر جـ١ ص ٧٤.

(١٥) حسين بن غنام «روضة الأفكار» جـ٢ ص ٩٠ وابن بشر جـ١ ص ٧٣ وانظر تاريخ ابن عضيب (مخطوط) ورقة ٢.

(١٦) ابن غنام جـ٢ ص ١٠١ والبسام ورقة ٨٧ وابن عيسى ص ١١٥ و ١١٦.

(١٧) تاريخ نجد (مخطوط) ورقة ٣٠.

(١٨) ابن غنام جـ٢ ص ١٠٦ و١٠٧ وابن بشر جـ١ ص ٨١ وابن عيسى ص ١١٦، وعبدالله البسام: ورقه ٨٧.

(١٩) ابن غنام ١١٢/٢ وابن بشر ٨٣/١ ابن عيسى ١١٧.

(٢٠) راجع القصة في محمد العبودي: معجم القصيم ٥٠٩/٢.

(٢١) التنومة قرية في الأسياح شمال شرق بريدة، أنظر محمد العبودي ١٥٧/٢ والذكير المعجم (مخطوط) ورقة ١٠٩.

(٢٢) ابن غنام ٢/١٢٥ ــ ١٣٠ وابن بشر ١/٩٢ وابن عيسى ص ١١٩ . وفي تاريخ نجد لابن غنام تحقيق د. الأسد يذكر في ص ١٥٥ أن أهل عنيزة تخلفوا عن البيعة . وبمقارنته بأصل الكتاب «روضة الأفكار» لم نجد ذالك فيه !!

(٢٣) ابن غنام ٢/١٣٥ وابن بشر ١/٩٦ وابن عيسى ص ١٢٣ .Musil, op, Cit, p. 259

(٢٤) محمد بن مانع : هامش ص ٤٣ من كتاب «عنوان المجد» لابن بشر طبع بغداد عام ١٣٢٨هـ ــ الطبعة الأولى .

(٢٥) تاريخ نجد ورقه ٣٤ .

(٢٦) ابن غنام ٢/١٤٣ و ١٤٤ وابن بشر ١/٩٨ وعبدالله البسام تحفة المشتاق (مخطوط) ورقة ٩٢ . وانظر عثمان ابن سند : مطالع السعود (مخطوط) ورقة ١١٦ .

(٢٧) المرجع السابق ورقة ٣٤ .

(٢٨) محمد الخضيرى : العلاقات بين الدولة السعودية الاولى وولاة العراق في العهد العثماني (رسالة ماجستير لم تنشر ــ كلية العلوم الاجتماعية بالرياض ص ١١٤ و ١١٥ ، وانظر محمد بن خليفة النبهاني ، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية جـ ١٠ ص ٦١ الطبعة الثانية عام ١٣٤٢هـ .

(٢٩) ثويني بن عبدالله من امراء السعد ون على المنتفق في العراق والتي استمرت قرابة ٤٠٠ سنة وتولاها ٢٢ شيخاً وهم يرجعون نسبهمم إلى الأشراف انظر المرجع السابق جـ ١٠ .

(٣٠) ابن غنام : تاريخ نجد تحقيق ناصر الدين الأسد ص ١٦٢ وابن بشر (ط وزارة المعارف الثانية) ص ٩٨ وعبد الرحيم عبدالرحمن : الدولة السعودية الأولى ص ٧٢ .

(٣١) Doughty, op. cit. p. 381.

(٣٢) ابن عيسى : تاريخ بعض الحوادث في نجد ص ١٢٢ ــ ١٢٤ .

(٣٣) أمين سعيد ، الخليج العربي ص ٥٨

(٣٤) عبدالكريم غرايبة : مقدمة في تاريخ العرب الحديث جـ ١ ص ٣٥٨ .

(٣٥) المصدر السابق ص ١٦٤ .

(٣٦) حسين خزعل : حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ص ٣٣١ .

(٣٧) روضة الأفكار والأفهام جـ ٢ ص ١٥٢ ــ ١٥٣ .

(٣٨) عنوان المجد (ط وزارة المعارف) ١/١٠٠ .

(٣٩) لعل مما يؤيد اخلاص عبدالله بن رشيد لحكومة الدرعية أنه هدم (الجناح) وأخرج أهلها بعد مكاتبتهم لثويني كما سبق انظر ابن عيسى ١٢٢ .

(٤٠) مقبل الذكير : تاريخ نجد (مخطوط) ورقة ٣٣ و٣٤ ، معجم البلاد السعودية (مخطوط) ورقة ١٢٤ ــ ١٢٦ .

(٤١) المرجع السابق ورقة ١٢٤ .

(٤٢) مقبل الذكير : تاريخ نجد (مخطوط) ورقة ٣٤ . والمعجم ورقة ١٢٦ . ومحمد العبودي : معجم القصيم ج ٤ ص ١٧٠١ .

(*) المعنى أن ديرته وهي عنيزة دخلها سعود وحجيلان بالخديعة ولم يكن بالحرب .

(٤٣) عبدالله البسام : علماء نجد خلال ستة قرون ج ١ ص ٢٥٦ .

(٤٤) المرجع السابق جـ ١ ص ٢٥٣ .

(٤٥) محمد المانع : نبذة في تاريخ عنيزة ملحقة بتاريخ بعض الحوادث في نجد لابن عيسى ص ٢٣٥ .

(٤٦) محمد العلي العبيد : «النجم اللامع للنوادر جامع» (مخطوط) ورقة ٣٧٨ .

(٤٧) ضاري بن فهيد الرشيد: «نبذة تاريخية عن نجد» ص ٨٣.

(٤٨) محمد العبودي: «معجم القصيم» ١٧٠١/٤.

(٤٩) مقبل الذكير: «تاريخ نجد (مخطوط) ورقة ٣٤» و«معجم البلاد السعودية» (مخطوط) ورقة ٢٦ ومحمد العبودي: المرجع السابق جـ ٤ ص ١٧٠١.

(*) يشير إلى طريقة دخول سعود وحجيلان إلى عنيزة عن طريق الخديعة والناس لاهون بأعمالهم. ومافعلوه من أعمال بعضها يتصل بالنهب والسلب كما فعلوا بـ (مزنة بنت عبدالله بن رشيد) عندما نهب بعض جنود سعود وحجيلان ذهبها. ويقصد بـ (أخو طرفة) عبدالله بن رشيد.

(٥٠) يقصد بقوله (أياعُرف) الشاعر الشعبي الذي قال القصيدة السابقة.

(٥١) عبد العزيز المحمد القاضي: «العنيزية» ص ١٤ و ١٥. والعبودي: «معجم القصيم» ١٧٠٧/٤, ١٧٠٨.

(٥٢) مقبل الذكير: معجم البلاد السعودية (مخطوط) ورقة ١٢٦، ١٢٧. وعبدالله الشبل: تاريخ عنيزة السياسي مجلة معهد عنيزة العلمي العدد ١٥ عام ١٣٨٥هـ ص ٢ ومن الخطأ الواضح ماذكره حسين خزعل في «حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب» ص ٢٩٦ من أن (عبدالله بن رشيد) توفي عام ١٢٠١هـ.

(٥٣) مقبل الذكير: تاريخ نجد (مخطوط) ورقة ٣٣ و٣٤.

(٥٤) محمد العبودي: معجم القصيم ج ٢ ص ٥١١ و٥١٢.

(٥٥) ابن غنام: روضة الأفكار والافهام ج ٢ ص ١٣٠. وابن بشر: «عنوان المجد» (طبع وزارة المعارف) ج ١ ص ٩٩ و ١٠٠.

(٥٦) مؤلف مجهول: كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب (مخطوط) ورقة ٢٢.

(٥٧) محمد العبودي: المرجع السابق ص ٥١٢.

(٥٨) Mengin, Histoire de l'Egypte p. 601.
ومنير العجلاني: عهد عبدالله بن سعود ص ٢٨٣.

(٥٩) حميد بن زريق: الفتح المبين ص ٤٩٦ و٥١٥ (طبع عمان)

(٦٠) Musil, op, cit, p. 267.

(٦١) Neibuhr, Travels through Arabia, Vol. 2, p. 131 - 132.
وانظر عبد الحميد البطريق «الوهابية دين ودولة» مجلة كلية البنات العدد الرابع يوليو ١٩٦٤ ص ٤٧.

(٦٢) محمد سعيد الشعفي: دراسات في تاريخ الدولة السعودية مجلة الدارة السنة الأولى العدد الأول ص ٢٥.

(٦٣) عبد العزيز نوار مصر والعراق ص ٩٩.

(٦٤) عبدالرحمن الجبرتي: «عجائب الآثار» جـ ١ ص ٢٨٧ (طبع بولاق) و(المحمل) جمل ينصب عليه هودج يزين بأنواع الزينة ويتقدم ركب قافلة الحج في موكب من الطبول والزمور. انظر محمد بن عبدالله السلمان: المرجع السابق ص ٥٦.

(٦٥) عبدالعزيز نوار: ضمن مصادر تاريخ الجزيرة ج ١ ص ٢٧١ و٢٧٢ وسيدو: ملخص تاريخ العالم (مترجم) ص ٢٨٨ (طبع دار المعارف بمصر. وبنوا ميشان «عبدالعزيز آل سعود» ص ٣٦.

(٦٦) محمد شريف: «دراسات في النهضة العربية» ص ٢٠.
Nicholson, Lilerary, History of the Arabs p. 467.

(٦٧) حسن محمد، المملكة العربية السعودية ص ٩.

(٦٨) صلاح العقاد: «الحملة المصرية في شبه جزيرة العرب»: مجلة دراسات الخليج السنة الثانية العدد السادس ص ١٠٧.

(٦٩) Burkhardt Op, cit, p. 211

(٧٠) دار الوثائق بالقاهرة من محمد علي إلى الباب العالي دفتر (١) معية تركي وثيقة (٤) و(٧) و(٤٣) عام ١٢٢٢ و١٢٢٣هـ).

(٧١) ابن سند: مرجع سابق (مخطوط) ورقة ١٥١.

(٧٢) صلاح العقاد: المرجع السابق. مجلة دراسات الخليج السنة الثانية العدد السادس ص ١٠٧ وعبدالرحمن الرافعي: «تاريخ الحركة القومية» جـ٣ ص ١١٦.

(٧٣) عبدالله الشبل: محاضرات في تاريخ الدعوة الإصلاحية والدولة السعودية ص ٣٧. وحسن محمد: المرجع السابق ص ٨٠.

(٧٤) صلاح العقاد: المرجع السابق ص ١٠٩.

(٧٥) محمد محمود السروجي: الجيش المصري ص ١٥ و١٦.

(٧٦) عبدالله الشبل المرجع السابق ص ٣٧.

(٧٧) ابن بشر ٢٠٨/١ (طبع وزارة المعارف). وقدره البعض بثمانية آلاف فقط، انظر عبدالرحيم عبدالرحمن: المرجع السابق ص ٣٠٣.

(٧٨) ابن بشر ٢٠٩/١.

(٧٩) محمد الشّعفي مرجع سابق مجلة الدارة السنة الأولى العدد الأول ص ٢٨.

(٨٠) دار الوثائق القومية بالقاهرة من محمد علي إلى الباب العالي دفتر(١) معية تركي وثيقة (٧٢) و(٧٥) و(٧٨) رمضان وذي القعدة ١٢٢٦هـ.

(٨١) عبد الرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم. المرجع السابق ص ٣١٥ و٣١٦.

(٨٢) دار الوثائق بالقاهرة: من محمد علي إلى طوسون محفظه (١) ذوات وثيقة (٢) بتاريخ ١٢٢٦هـ (١٨١١م).

(٨٣) Dickson, Kuwait and her Neighours, p. 118.

(٨٤) أحمد عسه: معجزة فوق الرمال ص ٢٦، وراشد الخنبلي، مثير الوجد في أنساب ملوك نجد ص ٤٧.

(٨٥) Burkhardt, Travels in Arabia Vol. 2, p. 347.

(٨٦) تذكر بعض المراجع أن طوسون حينما استولى على المدينة عين عليها والياً غير مسلم هو (توماس كيث) ضابطه الاسكتلندي. انظر أحمد عسه «معجزة فوق الرمال» ص ٢٤، وانظر جمال زكريا قاسم: «الدوافع السياسية لرحلات الأوربيين إلى نجد والحجاز مصادر تاريخ الجزيرة ١٤/٢.

(٨٧) Burkhardt Nots on the Bedonis and Wahabis p. 1-26

(٨٨) ابن بشر: ج ١ ص ٢٤٩، ٢٥٠. وكذلك: محمد عمر الفاخري: الأخبار النجدية ص ١٤٥.

(٨٩) لوريمر: «دليل الخليج» ج ٣ ص ١٧٤٤.

(٩٠) محمد العلي العبيد: المرجع السابق (مخطوط) ورقة ١١.

(٩١) Burkhardt. op, cit, p. 342-357.

(٩٢) جاكلين بيرين: اكتشاف جزيرة العرب ص ٢٤٠. أما عبدالرحمن الرافعي: المرجع السابق ج ٣ ص ١٣٧. فيجعل طلب الصلح من (عبدالله بن سعود) نفسه لا من طوسون.

(٩٣) لوريمر: المرجع السابق ٣٠٥/١.

(٩٤) انظر: أمين سعيد: «تاريخ الدولة السعودية» ص ١١٧ و١١٨ والرافعي ج ٣ ص ١١٦.

(٩٥) ابن بشر ٢٥٠/١ وصلاح الدين مختار: «تاريخ المملكة العربية السعودية» ج ١ ص ١٥٢. وعبدالرحيم عبدالرحمن: المرجع السابق ص ٣٢٣، ومنير العجلاني: عبدالله بن سعود ص ٦٥ وعبدالله الشبل المرجع السابق ص ٤٢.

(٩٦) ابن بشر ج ١ ص ٢٥٢ وابراهيم بن ضويان: رسالة مختصرة في التاريخ (مخطوطة) وررقة ١٣ وعبدالله المحمد البسام: «تحفة المشتاق» (مخطوط) ورقة ١١٤ وابن عيسى: المرجع السابق ص ١٤٢.

(٩٧) مقبل الذكير: تاريخ نجد (مخطوط) ورقة ٨٦. ومحمد عبدالله آل عبدالقادر: «تحفة المستفيد في تاريخ الأحساء»، ص ١٤٢.

(٩٨) جرجي زيدان: «تاريخ مصر الحديث» ج ٢ ص ٢٣٤.

(٩٩) عبدالرحمن بن حسن: مقاماته المطبوعة ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ج ٩ ص ٢٣٦ (طبع دار الافتاء).

(١٠٠) وثائق دارة الملك عبدالعزيز بالرياض، وثيقة رقم ١/٥ ــ ٢٢٢ في ١٧ رجب ١٢٣٠هـ من محمد علي إلى السلطان العثماني.

(١٠١) Toynbee, Al-Jabarte and his times p. 4,5

(١٠٢) أمين الريحاني: «نجد وملحقاته» ص ٨٥، وعبدالرحمن زكي: «التاريخ الحربي لعصر محمد علي» ص ٦٥.

(١٠٣) Palgrave op, cit, 2-p. 30.

(١٠٤) ابن بشر ١/٥٦.

(١٠٥) منير العجلاني: عبدالله بن سعود ص ٢٧٧ وفي وثيقة رقم ١/٥ ـ ٥٤ (دارة الملك عبدالعزيز) في ١٧ رجب عام ١٢٣٢هـ من محمد علي إلى السلطان ــ تذكر أن من بين قتلى عبدالله عمه وابن عمه وشيخ كبير بوادي القصيم. دون ذكر اسمه.

(١٠٦) محمد العلي العبيد: المرجع السابق (مخطوط) ورقة ١١.

(١٠٧) Musil, op, cit, p. 269.

(١٠٨) الوثيقة السابقة بنفس الرقم والتاريخ.

(١٠٩) ابن بشر ١/٢٥٧.

(١١٠) محمد العثمان القاضي: روضة الناظرين ج ٢ ص ١٥٤ ـ ١٥٦ الذي يذكر أن ابراهيم باشا أعجب بالشيخ (قرناس) وولاه قضاء الرس ووصفه بأنه زعيم وفارس وخطيب.

(١١١) قوله (أبانا) أحد جبال القصيم الغربي المشهورة بارتفاعها وضخامتها.

(١١٢) عبدالله البسام: علماء نجد ج ٢ ص ٤٥٥ و(أبان) جبل منيع غرب القصيم قرب (النبهانية) وانظر عبدالله بن خميس: الدرعية ص ٣٥٣ ــ ٣٥٥. وأهازيج الحرب أو شعر العرضة ص ٢٦٥ الذي يذكر أن لزوجة الشيخ قرناس (الدهلاوية) شعر أرسلته إلى (الدرعية) في حصار الرس مليء بالحماس منها قولها:

في يـدينـا السيـوف الـلي شـطيرة تـنـزع الـروس وتـقص الـعـظام

(١١٣) دارة الملك عبد العزيز. وثيقة رقم ١/٥ ــ ١٩٧ في عام ١٢٣٢هـ من محمد علي إلى السلطان.

(١١٤) دارة الملك عبدالعزيز وثيقة رقم ١/٥ ــ ١٢٤ في ذي الحجة ١٢٣٢هـ من محمد علي إلى الصدر الأعظم.

(١١٥) عبدالحميد البطريق: «ابراهيم باشا في بلاد العرب» ص ١٥ ويذكر أن ابراهيم باشا خسر ثلاثة آلاف مقاتل في الرس.

(١١٦) عبدالرحيم عبدالرحمن: المرجع السابق ص ٣٣٣. ومديحه درويش: المرجع السابق ص ٥٣.

(١١٧) أمين سعيد: المرجع السابق ص ١٢٠، وانظر ابن بشر ١/٢٥٧.

(١١٨) دارة الملك عبدالعزيز وثيقة رقم ١/٥ ــ ٥٩ في ٢٣ ذي الحجة ١٢٣٢ من محمد علي إلى السلطان.

(١١٩) أمين سعيد: المرجع السابق ص ١٢٠ وانظر ابن بشر ١/٢٥٨ وانظر Doughty, op, cit, p. 414 وهو يجعل مدة الحصار يوم وليلة فقط.

←

الاثار في منطقة عرعر

[كنت نشرت في كتاب «في شمال غرب الجزيرة» ــ ص ٦٣، ٦٤، ٦٥، ــ نقوشاً عثر عليها في منطقة عرعر، عرضتها في ذالك الوقت (١٣٩٠هـ/١٩٨٠م) على الأستاذ الدكتور يوسف محمد عبدالله ، وكان طالباً في الجامعة الأمريكية في بيروت، فقدم لي دراسة موجزة عنها نشرتها في ذالك الكتاب.

ثم بعد ذالك رأيت للأستاذ الدكتور يوسف محمد عبدالله دراسةً عن تلك النقوش في «مجلة كلية الآداب» في جامعة صنعاء ــ ع ٢ ص ١٩٧٩ ــ بعنوان (ثلاثة نقوش صفوية من عرعر وبدنة)، فرأيت من إكمال بحث ماأشرت إليه في كتابي المذكور نشر بحث الأستاذ الدكتور يوسف كاملاً لتتم الاستفادة به].

ثلاثة نقوش صفوية من عرعر وبدنة[١]

النقش الأول :

(في ملك عبد الحفيظ كمال بالظهران وينسبه إلى الحدود الشمالية للمملكة العربية السعودية ناحية عرعر[٢].

---

(١٢٠) دارة الملك عبدالعزيز: وثيقة رقم ١/٥ ــ ٦٦ في ٢٧ محرم ١٢٣٣هـ. من محمد علي إلى رئيس الكتاب.

(١٢١) دارة الملك عبدالعزيز وثيقة ١/٢ ــ ٤٥ عام ١٢٣٣هـ من ابراهيم باشا إلى محمد علي. ويذكر أنه أخذ ولد حجيلان (عبدالله) رهينة عنده.

(١٢٢) عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم: المرجع السابق ص ٣٣٥.

(١٢٣) Philby, Apilgrim in Aribia p. 135 London.

(١٢٤) جاكلين بيرين: المرجع السابق ص ٢٤١.

(١٢٥) دارة الملك عبدالعزيز وثيقة رقم ١/٢ ــ ٤٣ عام ١٢٣٣هـ من ابراهيم باشا إلى محمد علي.

(١٢٦) محمد عمر الفاخري: الأخبار النجدية ص ١٤٩.

(١٢٧) ابن بشر ١/٢٦٥.

(١٢٨) أمين سعيد: المرجع السابق ص ١٢٦ وعبدالرحيم عبدالرحمن: ص ٣٤٣.

(١٢٩) رجب حراز: الدولة العثمانية وشبه الجزيرة العربية ص ١٣٤.

Benoist-Mechin J. Arabian Destiny- p. 53.

(١٣٠) لوثروب ستودارد: حاضر العالم الإسلامي ج ٤ ص ١٦٦ (من تعليقات شكيب ارسلان).

(١٣١) الرافعي ـ المرجع السابق ج ٣ ص ١٢٩.

(١٣٢) Sadlier: Diary of Journy across Arabia p. 83.

(١٣٣) ابن بشر ١/٢٧٨.

(١٣٤) حمد الجاسر، «مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ» ص ١٠٠.

النص بالحرف العربي :

لوتر فتى أخ بن قدم ذي آل بلقى وتشوق آل اراش بنت أخته وآل حنن ودشر سلم وقبلل ذأل بلقى.

نقل المعنى :

لوَترَ فَتى أَخ ابن قُدم ذي آل بَلقى وتشوَّق إلى أراش بنت أُخته وإلى حَنان. فيالاتُ ويادُشَر سلاماً وقيولاً .

الحاشية: لوتر: اللام المفردة عاملة للجر بمعنى الاختصاص، وتقدير المعنى، هذا الحجر المنقوش لوتر، أو كتبه وتر . . . (أنظر مناقشة «جريمه» في نصوص وأبحاث ٢٦ ــ ٢٩)، وتار بفتح الواو (أنظر الاكليل ج ١ ص ٧٣)، بنو وتار (المصدر نفسه ص ٩)، وتير (المصدر نفسه ج ١ ص ٥٥). وفي اللغة الوتر = الفرد، الوتر = الذحل بمعنى الثأر، والوتر واحد أوتار القوس وفي (جام ١٣٨) يقترح واتر.

فتي: مقابل فتى ومثله بلقى وبلقاء، (أنظر ليتمن ٣٥١ = لسعد آل هفتى): هذا الفتى لسعد ايل أي خادمه. والهاء أداة التعريف في الصفوية. أنظر علماً ١٦١٥ أ، ١٦٤١ أ: لفتى بن روض وبيت بها أرض لفتي بن روض ونصب خيمته على هذه الأرض (هاردنج ــ وينت).

أخ: هنا علم ربما مثل عم وأب في النقوش اليمنية (أنظر هاردنج) و (هاردنج ــ وينت ٣٦٢) .

قدم: علم (أنظر قدم وقدام، ابن دريد ص ٤١٩)، وقدم (ابن الكلبي ص ٤٥٤) وأنظر صفوى: قدم (ليتمن ٢٨، وينت ٣٥، كوريس ٥٥). نبطى = قدمو. ويقترح جام قدم (جام ٨٥).

وتشوق آل : بمعنى اشتاق إلى. ويرد الفعل مراراً متبوعاً بالى في النقوش الصفوية (أنظر وينت ٣٥٢، ليتمن ٢٥٣).

أرش: علم جديد مؤنث ورد مذكراً (هاردنج ــ وينت ٢٩٨١، ٣٠٥٨). وفي الصفوية وورد مؤنثاً = أرشت (هاردنج). أرش = لحيانى وثمودى (هاردنج). بلميرى = أراش أنظر (شتارك). أراش = علم (أنظر ابن الكلبى ٣٥٨، ابن حزم ٣٨٧) وفي اللغة الأرش الدية.

حنن: أنظر (كوربس ١٧، ليتمن ٥٢، هانى ١٩٦) ويرد العلم مذكوراً (أنظر جام ٧٧، ١٣٤، ١٧١).

عم: العم أخو الأب معروف، والعميون من يُسَمَّى بعم، ورجل عم أي طويل (التاج). صفوى اسم علم مذكر: أنظر (وينت ١١٥، ليتمن ١٨٩، كوربس ٨٣). وورد أيضاً (عمتله) على وزن (عبد له) أي عبد أله/ عبد الله (جام ١٦٦، ٤٨).

فهلت: أنظر (كوربس ٨) الفاء استئنافية، والهاء أداة التعريف، لت هى اللات إلَهٌ عربي شمالي معروف (القرآن، النجم ١٩).

دشر: أنظر (كوربس ٢٩٤٧، ليتمن ٣٤٢). ذشر: كوريس ٥٧، وينت ١٢٧، وهو على الأرجح ذو الشَّرَى. صنم قيل: كان لبني الحارث بن يشكر بن بشر من الأزد «الأصنام» لابن الكلبى ٢٤). دشر، ذشر، ذو الشرى (أنظر معجم الآلهة مادة ذوي الشرى).

سلم: أنظر (كوربس ٨، معجم ليتمن، قائمة هانى). اعتبر اللفظ مصدراً ليعطي معنى الدعاء وليس فعلاً. وفي القرآن الكريم: ﴿سلام على المرسلين﴾ (الصافات ١٨)﴿وسلام عليه يوم وُلِدَ ويوم يموت ويوم يبعث حيّا﴾(مريم ١٥).

قبلل: أنظر (هانى ٤٢ ــ ٤٤) المجموعة) ويبدو أن قبلل مصدر لفعل مزيد لم يذكر في المعاجم. والمعنى قبول: أن تقبل العفو والعافية، وهو اسم للمصدر وقد أُمِيْتَ فِعْلُهُ (التاج). وفي القرآن﴿فتقبّلها ربُّها بقبول حسن﴾(آل عمران ١٣٧) أنظر (جام ٧١).

ذال بلقى: ذ هي ذو العربية التي تضاف إلى اسم الجنس مثل رجل ذو مال،

أو الرجل ذو المال. وهي هنا من باب الإضافة إلى المعرفة. ونقل صاحب «التاج» قول الكميت:

إليكم ذي آل النبيِّ تـطلعت نـوازع قلبي من ظـماء والبب

أي إليكم يا أصحاب هذا الأسم. والقضية فيها خلاف إذ أن العادة في العربية أن لاَّ تضاف (ذو) إلى مضمر أو علم؛ وفي النقوش اليمنية القديمة تعتبر الأعلام التي تسبقها (ذو) أسماء بطونٍ وقبائل، وإنْ كان الهمداني يعتبرها أعلاماً. ففي الجزء الثاني من «الاكليل» (ص ٤٥٥) يفرد باباً اسمه باب من غلب عليه الأذوائية من حِمْيَر، وفيه يقول مثلاً: ذو ثاتٍ: اسم ملك، وذوبيح: هو ابن قيفان، ثم يفسر ذالك أحياناً فيقول: معنى ذوبيح: ذو خيرة القوم وشرفهم. والواقع أنَّ (ذو) يقصد بها عندما تسبق الأعلام اليمنية معنى الذي يُنْمَى إلى قبيلة كذا. كما يقال اليوم مثلاً هذا من ذِي محمد، وينوب ذالك عن النسب. فذويزن تقابل اليزني، وذو جدن تقابل الجدني، إذْ ليس هناك شخص واحد اسمه ذويزن، أو اسمه ذو جدن، أو ذو محمد وإنما أحد بطن أو قبيلة (أنظر يوسف ص ١٠٠ ــ ١١). بلقي: (أسم قبيلة) يرد المرة الثانية في النقوش الصفوية (أنظر هاردنج). وورد في (المجموعة) زهفي ورهني، يقابل ذلك زهفاء ورهناء. ويجوز أن تكون (بلقي) ذات صلة باسم البلقاء. وجاء في «التاج» وفي السيرة الشامية. أنها مقصورة، أي بلْقَى. ويمكن القول أن ذأل بلقى تعود على صاحب النقش وتر. ويتعذر أن تعود على سلم وقبلل حيث ينتظر أن يكون النص آنذاك لآل بلقي وليس ذأل بلقي. وفي (جام ١٥٧) ورد العم مذكراً: بلقت بن بجت بن جشم.

النقش الثانى :

(من بيت صالح الحسين الغنام عثر عليه في بدنة).

النص بالحرف العربى :

لوتر بن كم بن برء ذأل تم ووجم على أخه.

نقل المعنى:

لوَترَ بن كَيم بن براء ذي آل تيم ووضع حجراً على قبر أخيه.

الحاشية :

كم: أنظر (وينت ٨٢٥) (هاردنج ــ وينت ٨٢٧) والعلم لحياني وثمودي (أنظر ريكمنز ١١٥). والكيم الصاحبُ حِمْيَرِيَّةٌ «التاج». وأنظر كيمة (ابن حزم ١٨٤)، كيوم (ابن دريد ٥١١). وفي اللغة: كام الفرس الحَجْرَ إذا نزا عليها. ويقترح جام كم (أنظر جام ١٢٨).

برء: أنظر (ليتمن ١١٣، كوربس ١٣١). ثمودي (ريكمنز ٥٥). براء علم (ابن الكلبي ٢٢٤، ابن حزم ٣٥١). وفي اللغة: البراء أول ليلة من الشهر. وَبُرؤَ نَقَهَ من النقاهة والصحة. برء ــ ثمودي (هاردنج ــ ليتمن ٥٨، ٢٢٥).

تم: (أنظر ريكمنز ٢١٤، هانى ٢١، وينت ٤٣ ــ ٤٥. ليتمن ٨، كوربس ٨٥ ــ ٨٧). وفي اللغة الكيم العبد. أنظر أيضاً (جام ٥٦) ذأل تم.

وجم: دأبَ الدارسون على إعطاء هذا الفعل معنيين الأول: حزن، استناداً إلى معنى وجم الشائع في العربية (أنظر وينت ٥) ومقالاً بهذا الخصوص (جام، أورينت ٣٦ / ٢) و(جام ص ٤٢) حيث يستبعد أن يكون الوجم قبراً.

والثانى: وضع حجراً، أو حجارة على قبر، أو قبور، استناداً إلى معنى الوجم في العربية وهي حجارة مركومة بعضها فوق بعض أو إلى عادة قديمة عرفت عند الأمم القديمة، ولاسيما العرب، وهي وضع حجارة على القبور (أنظر ليتمن ٧٢٠ هاردنج ٥)[٣] ورغم وجاهة الرأي الأول من حيث اعتماده على المعنى المباشر البسيط للفعل (وجم) ومن ثَمَّ توسيع معناه ليشمل البكاء على الأطلال، كما عرف لدى شعراء الجاهلية، إلا أنه يبدو أنَّ وراء الفعل طقساً من الطقوس قد يُذَكِّرُ الباحث بتلك المئات من الحجارة المنقوشة التي عثر عليها في معبد أو أم (محرم بلقيس)[٤] بصرف النظر عن اختلاف الغرض، حيث قدمت تلك النقوش من

باب الحمد والثناء على أن وهبهم الإله النصر والعودة بسلام، والرزق العميم والولد الصالح . . . الخ. وهناك نص ورد في «تاج العروس» (مادة وجم) يدعم بجلاء الرأي الثاني: (الوجم حجارة مركومة بعضها فوق بعض على رؤوس القُور والآكام، هي أغلظ وأطول في السماء من الأروم وحجارتها عظام كحجارة الصبرة والأَمَرَةِ، لو اجتمع على حجر ألف رجل لم يحركوه وهي أيضاً من صنعة عاد[٥] . . . قال رؤبة [ابن العجاج ١٤٥هـ]:

وهامة كالصَّمْدِ بين الأصماد أو وجَمَ العاديِّ بين الأجمادْ

وفي نص آخر: وقيل: الأَروم قبور عاد «التاج»، مادة أرم .

ويستفاد من النص المذكور ما يلي :

ـ الوجم حجارة مركومة بعضها فوق بعض:

ـ الوجم كالأُروم. وفي (مادة أرم)، الاروم هو الوجم وفق بعض الأقوال، والأروم قبور عاد، وفي معنى الأروم أيضاً يرد: وذوأرام حزم به آرام جمعتها عاد «التاج».

ـ الوجم من صنعة عاد. وقد تضخم الخبر في النص كعادة الاخباريين لدى ذكرهم قوم عاد، ومثال ذلك سَرْدِهِمْ لقصة عاد إرم ذات العماد، التي أخبر بها القرآن الكريم (سورة الفجر). وفي اللغة: أرَم جمع أروم، وأروم كما تقدم، تعنى وجم.

ـ الوجم قيل هي قبور عاد.

ـ الوجم هي أعلام تنصب في المفاوز يهتدَى بها . . . وكان من عادة الجاهلية إذا وجدوا شيئاً في طريقهم لا يمكنهم استصحابه تركوا عليه حجارة يعرفونه بها حتى إذا عادوا أخذوه (مادة أرم «التاج»).

واستناداً إلى ما سبق يمكن تقديم التصور التالي :

الوجم عادة قديمة كانت معروفة لدى قوم عاد، وهي حجارة مركومة تنصب ليعرف بها قبورهم، ويكون معنى الفعل وجم ــ وفق ذلك ــ وضع حجراً أو حجارة على قبر أو قبور. وهو المعنى الأرجح فيما نعتقد[٦].

إنَّ ترجيح المعنى السابق بناء على القرينة (صنعة قوم عاد) يقتضي الإشارة إلى التسمية الجارية لأصحاب هذه النقوش. فالنقوش الصفوية كما هو معلوم نسبة إلى جبال الصفا الواقعة على مقربة من منطقة الحرة[٧] إلى الجنوب الشرقي من دمشق حيث شاهد بعضها (سيريل جراهام) ونقل ذكرها إلى المهتمين من العلماء وذلك عام ١٨٥٧. وعرفت من بعد ذالك بالنقوش الصفوية ويطلق البعض على أصحابها (الصفويون). أو عرب الصفا، ويشبه ذالك اصطلاح العلماء على تسمية النقوش الكثيرة التي عثر عليها في أنحاء متفرقة من الجزيرة، وخاصة قرب مدائن صالح في الحجر، شمال غربي العربية السعودية حالياً، حيث أطلق عليها اسم النقوش الثمودية نسبة إلى ما هو معروف في الأخبار أن ثمود هم أصحاب الحجر.

وعاد وثمود في عرف أكثر أهل الأخبار من العرب البائدة، واعتبروا من نسل عوص بن أرم، وذلك موافق لأخبار التوراة (سفر التكوين الاصحاح العاشر)، **وثمود من نسل غاثر** بن إرم (راجع جواد علي جـ ١ ص ٢٩٥ ــ ٢٩٦). وقد ذهب العلماء مذاهب في تفسير المراد من قوله تعالى﴿أَلَمْ تَر كيف فعل ربُّك بعادٍ إِرَمَ ذاتِ العماد، التي لم يُخلق مثلها في البلاد، وثمود الذين جابوا الصّخر بالواد﴾سورة الفجر الآيات ٦، ٨ فما بعدها ــ كما تباينت آراؤهم في تفسير الاحقاف في قوله تعالى﴿واذكر أَخَا عادٍ إِذ أَنذر قومه بالأحقاف﴾سورة الأحقاف أية ٢١ . فمنهم من قال: إنها الرمل بين اليمن وعمان إلى حضرموت والشحر (الربع الخالي) وذهب بعضهم إلى أن إرم ذات العماد مدينة في تيه أبين بين عدن وحضرموت، وذهب آخرون إلى أنها دمشق أو الاسكندرية (جواد علي جـ ١/ ص ٣٠٢ ــ ٣٠٣)، ومنهم من قال: إنها جبل بالشام (راجع «الاتقان» ص ١٤٣) و («ومعجم البلدان» مادة الأحقاف) والقول الأخير يذكرنا بجبل الصفا والحرات

حوله. ولما كانت الأحقاف في اللغة جمع حقف وهو الكثيب من الرمل. يعوجُّ ويتقوس، وكل شيء اعوج فقد احقوقف («الجمهرة» مادة حقف) فإن أكثر الاخباريين اندفعوا يلتمسون مواضع قوم عاد في الصحاري، ووضعوا من أجل ذالك قصصاً كثيراً في البحث عن مواطن عاد وقبور عاد (جواد علي حـ ١ ص ٣٠٥) و «معجم البلدان» مادة الأحقاف:

ولقد جاء اسم عاد مقترناً باسم ثمود في مواضع عديدة من القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿وعادا وثمودا وقد تبين لكم من مساكنهم﴾(سورة العنكبوت آية ٣٨). ويظهر من الآيات أن مواضع ثمود كانت في مناطق جبلية أو في هضاب ذات صخور، وهذا ما ذهب إليه المفسرون في معنى ﴿جابوا الصخر بالواد﴾ و أصحاب الحجر في قوله تعالى﴿ولقد كذَّب أصحابُ الحجر المرسلين﴾إلى قوله تعالى﴿وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين﴾سورة الحجر الآيات ٨٠ ــ ٨٢ . وإذا ما أخذنا بالقول أن الأحقاف جبل بالشام كما أشار أهل الأخبار في جملة ما قالوه عن مواطن عاد، أو ما ورد في «معجم البلدان» مادة (جش أرم) انه جبل عند أجا أحد جبلي طيء في ذروته مساكن لعاد وإرم فيه صور منحوتة من الصخر، وكذلك ما يظهر من جغرافية بطليموس أن ديار ثمود كانت غير بعيدة من ديار عاد وذلك في اشارته إلىOaditae على أنهم قوم عاد في رأي بعض العلماء (انظر «دائرة المعارف الإسلامية» مادة عاد، وأنظر أيضاً (شبرنجر ص١٩٩)، أي في أعالي الحجاز في المنطقة الجبلية التي يخترقها الطريق التجاري الذي يوصل الشام ومصر بالحجاز واليمن حيث بئر إرم بِجِسْمَى، وهي من مناهل العرب («الصفة» ص ٢٧٢)، وإذا كانت الحجر في وادي القرى واسمها باق إلى اليوم هناك، وأن مساكن عوص بن إرم أبي عاد وعمّ ثمود على رأي بعض العلماء ينبغي أن تكون في تخوم العربية الشمالية أو منطقة حوران أنظر (خارطة بطليموس في كتاب شبرنجر). (وراجع جواد علي جـ ١ ص ٢٩٧ ــ ٣٢٧) وهي مناطق الجوف حالياً في السعودية وجنوب سوريا أي جنوب صحراء النفود وشمالها من الحرَّات، واستناداً إلى كون النقوش الصفوية التي عثر عليها إلى الآن في تلك المناطق ممتدة

من حوران إلى بَدَنَة وعرَعر فإنه بالإمكان أن يستدل أن ما يطلق عليه اصطلاحاً (الصفويون) هم قوم عاد أو بعض من عاد[٨] وكما أطلق على النقوش التي عثر على معظمها في مناطق وادي القرى في الحجر أو مدائن صالح اسم النقوش الثمودية يمكن أن يقترح اسم النقوش العادية بدلاً من مصطلح النقوش الصفوية، والذي كما سلف نسبة إلى المكان الذي عثر فيه على النقوش، وليس نسبة إلى القوم الذين كتبوها، وبذالك يكون مصدر تاريخ العرب السائدة عاد الأولى أو الثانية وثمود هي تلك الآلاف من النقوش العادية والثمودية، ولا يضير في ذلك أن تكون النقوش الثمودية والعادية منتشرة في بقاع أخرى من الجزيرة، فهناك كانت مساكنهم إذ كان من بينهم البدو الرحل كما يظهر جلياً من طبيعة نقوشهم مصداقاً لقوله تعالى ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد، إرم ذات العماد، التى لم يخلق مثلها في البلاد، وثمود الذين جابوا الصخرة بالواد ﴾وعلى رأي من فسر عاد إرم على الإضافة، وذات العماد وصف بمعنى أعمدة الخيام (راجع كتب التفسير). أما تفسيرها الشائع بمعنى المدينة المفقودة فيجوز حمله على بعض عاد الأولى أو الثانية ويتضح من قراءة محتوى النقوش الصفوية ومراجعة الرسوم الصخرية في تلك المنطقة أن أصحابها كانوا بدوًا أو شبه بَدْوٍ، وخير دليل على ذالك هو ذكر المضارب ثم تكرار رسم الجمل ثم وُرُود عادات قص الأثر، والشوق إلى الخلان، ووضع الحجر على القبور وكلها تذكر بالصور الشائعة في الشعر الجاهلي وهي البكاء على الأطلال الخ (هوفنر ص ٥٦). كما أن انتشارهم بين حرات الشام ومناطق الجوف قرب بدنة يعكس حبهم للتنقل أهمّ خاصة لدى البدو. على أن زمن الصفويين أو قوم عاد أقدم من زمن شعراء الشعر الجاهلي، بل وأقدم من زمن نقش النمارة (٣٢٨م) الذي يعتبر عادة حلقة الوصل بين الخط النبطي والخط العربى، حيث كان (الصفويون) يكتبون بخط قريب من الخط اليمني القديم (خط المسند) مثلهم في ذالك مثل الثموديين والديدانيين.

إنَّ علماء النقوش الصفوية يرجعون تاريخ هذه الكتابات إلى فترة تمتد ما بين القرن الأول قبل الميلاد والقرون الثلاثة بعده. وهذه فترة تلي استيطان المعينين لمنطقة ددان (العلا اليوم) وعلى مقربة من ديار ثمود الأصلية (١). كما أنها فترة

تعاصر في بعضها ازدهار الأنباط في منطقة وادي موسى جنوب الأردن البتراء، والذين امتدت دولتهم إلى الحجر.

وقد أثبتَ بعضُ الدارسين استناداً إلى بعض النقوش الصفوية المؤرخة معاصرة بعض أصحاب النقوش الصفوية لدولة الأنباط في القرن الأول الميلادي ــ أنظر مقال وينت وانظر أوكستبى نقش ٥٧ ــ ، وبعضها معاصرة للفترة الرومانية في بلاد الشام أيام تراجان وهدريان، أي في القرن الثاني بعد الميلاد (أنظر ثمود وصفا ١٠٤)[٩]. وفي نقشين نشراً حديثاً وهما (هاردنج ــ وينت ٣٧٩٢ أ، ٣٧٩٢ ج) ما قد يشير إلى معاصرة أصحاب النقوش الصفوية للثموديين، وكذالك إلى تجاورهما. ونص النقش الأول: (لنتن بن أدم بن أقدم بن قعصن وورد ثلثت أشهر سنت حرب جشم أل ثمد) أي لانتان بن آدم بن أقدم بن قعصان وورد فترة ثلاثة أشهر سنة حاربت جشم ثمودا. ونص النقش الثاني يؤكد الحادثة نفسها. فإذا كان كاتب النقش الصفوي هذا من الصفويين واشترك في حرب جشم ضد ثمود فإن ذاك يدل على معاصرة الصفويين لزمن الثموديين. كما أن الحرب ربما كانت على غرار ما عُرِف بأيام العرب وتحدث عادة بين قبائل متجاورة، فيجوز الافتراض أيضاً أن الصفويين والثموديين كانوا متجاورين. إن معاصرة (الصفويين) لفترات ازدهار الحضارة اليمنية في جنوب الجزيرة، وازدهار الحضارة العربية في واحات شمالي الجزيرة كالأنباط والتدمرين والثموديين، ووقوع مناطقهم في الحرات والصحراء، جعل منهم واسطة العقد بين القبائل البدوية في جنوب الجزيرة مفازة صَيْهد مثلاً ووسطها (كالدهناء) من ناحية وقبائل شمال الجزيرة من ناحية أخرى ضمن تأثير الحضارة الآرامية التي غلبت على بلاد الشام آنذاك[١٠]. ففي تلك الواحات الحِجْر وتيماء وتدمر والحضر نجدُ نقوشاً مكتوبة بالخط الآرامي وفي الحرَّات والصحراء حيث لا سلطة مباشرة لتلك الدول نجد امتداد خط المسند وهو المسيطر. وربما من هنا انطلق علماء الأنساب في تصنيفهم لقبائل عاد ــ من ارم أو من آرام[١١]. وفي الحالتين هم قبائل مهاجرة من جنوب الجزيرة يكتبون بما يشبه خط المسند، وعلى علاقة بالآراميين غالبية سكان شمال الجزيرة (بلاد الشام)، ومن المفيد أن يذكر هنا أن أرض (الصفويين) وخاصة جنوب صحراء

النفود هي نفسها مناطق قبيلة كَلْبٍ القضاعية بعد ذالك والتي يعتبرها بعض النسابين من حِمْيَرَ، وإليها ينتمي النسابة المشهور ابن الكلبي. وقد عثر على نقوش صفوية من المنطقة نفسها وفيها ذكر للعلم كلب وكذالك اسم لقبيلة[1]. إن هلاك عاد لا يعني انقضاء ذكرهم فقد خلده القرآن الكريم، وربما أيضاً تلك العاديات المنقوشة التي يعثر عليها بين الحين والآخر في أرجاء شمال الجزيرة.

النقش الثالث: من بيت سليمان الرشودي وعثر عليه في بدنة)

النص بالحرف العربى:

لعمر بن كدد ذأل غمت ووجم على تم وعل عيذ وعل كدد أبه ورغم مني

نقل المعنى:

لعمرو بن كَداد ذي آل غمت ووضع حجراً على قبر تيم وعلى قبر عياذ وعلى قبر أبيه كداد والموت غلب.

الحاشيــة :

عمر: أنظر (هانى ٨، وينت ١٧٥، ليتمن ٧٥، كوربس ١٢٩، (ريبرتوار ١٦٧). وورد فعله (أنظر جا ٥٦: لهذمت بن عكم وعمر وتشوق)، أي استقر، وربما كانت هذه من أقدم الإشارات المكتوبة على ورود هذا الفعل. وسمى الرجل عمراً تفاؤلاً أن يبقى. والمراد بالعمر عمارة البدن بالحياة (ابن دريد ١٣ ــ ١٥) ويجوز أن يكون العلم عامراً وعماراً .

كدد: علم جديد في النقوش الصفوية أنظر كددت (هاردنج) كددن (ريبرتوار ٣٠٠). وكداد بطن من مراد. والكداد اسم فحل تنسب إليه الحُمُر، يقال بنات كداد، وأصل الكد الإلحاح في طلب الشيء «التاج»، والكدادي نسبة يمنية حديثة معروفة .

غمت: علم جديد، وأنظر غم (كوربس ٢٠٩٦)، غمت مصدراً (ليتمن ٢٥٧)، وأنظر غمة وغمت، علمان «التاج».

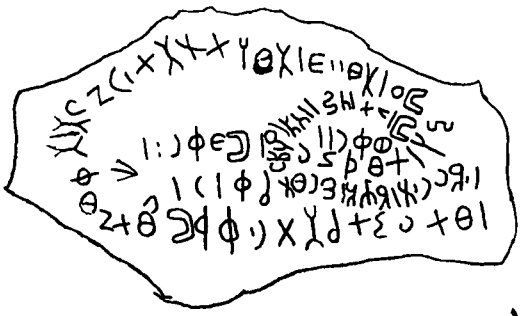

النقش رقم ١

النقش رقم ٢

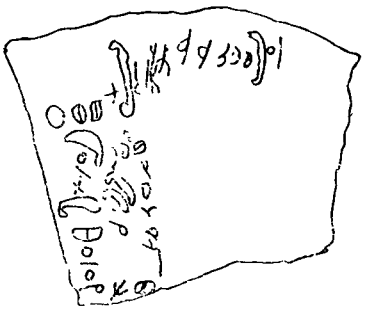

النقش رقم ٣

صور لحجر عليه نقش صفوي

عيذ: أنظر (ليتمن ١٤٥، كوربس ٢١٩٠، ريبرتوار ١٦٠)، جام ١٥٠: عذ = عوذ وأنظر عائذ (ابن الكلبي ١٤٨، ابن دريد ٣٤) عياذ: «التاج» مادة عود).

رغم مني: ورد هذا التعبير في النقوش الصفوية بالصور التالية:

رغم مني عل (جام ٩٠)، ورغم مني علهم (هانى ٣٤)، رغمت مني (كوربس ٣٠٤) ألم رغم (وينت ٥١٦)، لمن رغم مني (جام ١٧٣). وكان (ليتمن) قد فسر التعبير بمعنى رغماً عنه (ليتمن ٣٥٤) ولكنه عدل عن رأيه واعتمد المعنى: (كاره للموت) (ليتمن. الذيل ص ٢٤٧، ٢٥٥) واقترح (وينت) أن يكون المعنى رغيماً في الموت خاضعاً للموت (وينت ٣١٩). ويعتقد (رودنسون) أن معنى رغم كامن في الأصل السرياني (رعم) ومعناه: حدب على، رحم أي عطفا يا موت (جلكس ٥٣ ــ ٥٦). ويرى (بيستن) أن المعنى يقترب من قولهم باللغة الانجليزية تبعاً للموت (مقالة في أفو).

ومن حيث اشتقاق اللفظ رغم فقد اعتبر إما فعلا أو اسم مفعول (على صيغة فعيل): أو فاعلاً (رغم رغيم راغم) ففي الحال الأولى يكون الفاعل صاحب النقش وفي الثانية يكون اسم المفعول صفة مشبهة للميت وفي الثالثة يكون صاحب النقش هو صاحب الحال (راغماً).

وفي معاجم اللغة يضبط رغم هكذا (رغم) مصدر بمعنى الكره أو القسر أو الذل أو التراب. (رغَّم) على وزن فعّل أي قال رغماً رغماً، (راغم) أي غاضب وفي الحديث الشريف: بعثت مرغمة أي هواناً وذلاً للمشركين، وفي حديث السقط أن السقط ليراغم ربه أن أدخل أبويه النار (أي يغاضبه). وفي حديث سجدتي السهو: وإن صلى إتماماً لأربع كانتا ترغيماً للشيطان («معجم الحديث» جـ ٢ ص ٢٧٧).

وبمراجعة نصوص النقوش السالفة الذكر يلاحظ ما يلي:

ــ يرد الفعل وجم (وأحياناً بني أيضاً) مع التعبير رغم منى في النقش نفسه، مما يدل على أن التعبير يتعلق بالقبر (أو قل الموت). وقد يرد معهما اللفظ ترح بمعنى

حزن (فعل) أو حزن (مصدر) (راجع هانى ٥٤).

ـ إنَّ رغم سواء كان اسماً مشتقاً أو فعلاً يؤدي معنى الغلبة (خضوع وذل).

ـ إن منى تعني المنية (الموت) ولا ريب، وصيغة منى (مقصورة) في اللغة ترد مرادفة منية «التاج». وتقابل صيغة منى (منقوصة) في النقوش الصفوية. (أنظر أكستبى ١٥: مني اسم علم أيضاً).

ـ إن الرغم أو الترغيم أو المراغمة كما وردت في اللغة مصادر لفعل متعدٍّ، وفي النقوش الصفوية ما يؤيد ذالك مثل ورغم مني علهم (هانى ٣٤).

ـ إن اللفظ رغم يرد متبوعاً بلفظ مني (وفي حال واحدة فقط ورد مسبوقاً باللفظ (ألم) ويمكن اعتبار ألم في الحال هذه مفعولاً مقدماً).

ـ إن ورود حرف العطف. الواو قبل رغم في النقش الذي هو محور هذا الحديث يفيد بالضرورة نسق العطف لما يليه أي إن التابع فعل.

ـ غير أنه في نقش (كوربس ٣٠٤) ورد اللفظ ملحقاً به تاء التأنيث: ووجم عل أذنت حبيته رغمت منى؛ وكذلك في نقش (كوربس ٣٠٥) ووجم على ذعر حبيته رغمت منى؛ مما قد يوحي بأن (رغمت) صفة مشبهة أي رغيمة الموت ولكن ذالك قد يكون موافقاً لما في الذهن حيث أنَّ العرب تؤنث معنى الموت في قولهم المنية. وليس بالضرورة أن تعود التاء على الميت، وفي النقشين الميت امرأة.

ـ وخير دليل على أن رغم ينبغي أن تعتبر فعلاً هو النقش (جام ١٧٣): لعقرب بن منعت ووجم على أشيعه (في نسخة غير منشورة مع الدكتور الغول: أشيعن) فهلت غرت (في نسخة الغول المذكورة سعرت) لمن رغم مني، حيث أن اسم الموصول قبل رغم مباشرة يرجح كون اللفظ التالي فعلاً.

ـ وبعد أن أمكن إثبات صيغة الفعل للفظ رغم يجوز الآن سرد النصوص التالية من «الإكليل» الجزء الثامن:

ـ في خبر عن قبر هود في وادي الأحقاف: ورأيت عند رأسه (صاحب القبر)

كتاباً بالعربية: (أنا هود الذي آمنت بالله وأسفت على عاد وكفرها وما كان لأمر الله من مرد) «الإكليـــل» جـ ٨ ص ١٣١ ــ ١٣٣.

ــ وفي لوح بقيلة بن عبد المدان: (عشت خمس مئة عام وقطعت البلاد ظاهرها وباطنها فلم يكن ينجيني من الموت شيء) «الإكليـل» جـ ٨ ص ١٦٤.

وفي لوح مضاض بن عبد المسيح: (عشت ثلاث مئة عام وأخذت مصر، وبيت المقدس وهزمت الروم بالدرب ولم يكن لي بد من الموت) «الإكليل» جـ ٨ ص ١٦٥.

ــ وفي أخبار عن قبور في اصفهان: (أنا رستم ملك هذه المدينة أعطيت بطش الجبابرة ونعمت نعمة لم تجتمع لملك قبلي ودوخت الجنود، وفللت الحديد، ولم أجد للموت دواء) «الاكليل» جـ ٨ ص ١٧١.

ــ أنا بهرام ابن الملك، (الموت حتم) «الإكليل» جـ ٨ ص ١٧١.

ــ ووجد قبر بالقرب من ذالك فإذا فيه رجل ميت وعلى رأسه كتاب لمسند في صفيحة من ذهب فيها اسمه ونسبه وفيها: بسم الله، كل شيء احنلنا له والموت غلبنا: «الاكليل». جـ ٨ ص ١٢٧.

هذه القبوريات كما سماها الهمداني وإن كانت تبدو من صنع الأخباريين إلا أنها تعكس ما كان يكتب قديماً على شواهد القبور، وتشترك جميعها بكونها تنتهي بذكر الموت والاقرار بحتميته وأن لا مهرب منه. وفي النص الأخير تبدو الفكرة جلية ويكاد يكون التعبير (والموت غلبنا) هو نفس التعبير (ورغم منى) رغم تأخير الفعل. ومن معاني (رغم) كما سبقت الإشارة أيضاً: غلب. واستناداً إلى ما تقدم يمكن القول أن (ورغم مني) تعني: والموت غلب وهي كما أزعم وجهة نظر جديدة مؤيَّدة قد تنهي الجدل الطويل الذي دار حول معنى التعبير بين العلماء.

فهرس الاختصارات (الكتب والمقالات)

القرآن الكريم:

ابن حزم: أبو محمد علي «جمهرة أنساب العرب» تحقيق عبد السلام هارون،

دار المعارف القاهرة ١٩٦٢.

ابن دريد: محمد بن الحسن بن دريد. «الاشتقاق» ــ تحقيق عبد السلام هارون، مؤسسة الخانجي بمصر ١٩٥٨.

ابن الكلبي : هشام بن محمد، «جمهرة النسب». تحقيق كاسكل، ليدن ١٩٦٦ جزآن.

«الاتقان»: جلال الدين السيوطى، «الاتقان في علوم القرآن» توزيع دار الفكر، بيروت لبنان طبعة المطبعة الحجازية المصرية ١٣٦٨ هـ.

«الأصنام»: هشام بن محمد، كتاب الاصنام، تحقيق أحمد زكي، ليبزيج ١٩٣١.

أفـــو:

A.F.L. Beeston, in Archiv fuer orientsforschung 79 (1960) PP. 184 - 5.

«الإكليل»، أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني، الإكليل ح ١ تحقيق محمد علي الأكوع، القاهرة ١٩٦٣ . ج ٢ محمد علي الأكوع، القاهرة ١٩٦٧ . ج ٨ تحقيق انستاس الكرملي بغداد ١٩٣١ وتحقيق نبيه فارس/ تصوير دار العودة بيروت تاريخ (وأعلم أنه صور عام ١٩٧٩).

أكستبي :

W. G. Oxtoby: Some Inscriptions of the Safaitic Beduin, American Oriental: Series, Vol. 50, New Haven, Connecticut, 1978.

«أنساب الاشراف» أحمد بن يحيي المعروف بالبلاذري، أنساب الأشراف ج ١ تحقيق محمد حميدالله معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، دار المعارف بصر ١٩٥٩ القاهرة.

«التاج»: محمد المرتضى الزبيدي «تاج العروس»ج (١ ــ ١٠). دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي (طبعة مصورة من الطبعة الأولى بالمطبعة الخيرية القاهرة ١٣٠٦ هـ).

ثمود وصفاً :

E. Littmann: Thamud und Safia. Abhandlungen Fur die kunde des morgenlandes, Bd. 25 Nr. 1, Leipzig 1940.

جام أورينت:

A. Jamme, the Safaitic verb Wgm, in Orientalia, Institute Biblique Pontifical, Rome, XXXVI, pp. 159ff.

جـــام:

A. Jamme, Safaitic Inscriptions from the Country of 'Ar 'Ar and Ras Al-Ananiyah, in Altheim-Stiehl, Christentum am Roten Meer I und iI Bd., Berlin, 1971 & 1973.

جـــام محرم:

A. Jamme: Sabaean Inscriptions from Mahram Bilqis (Marib), Baltimore, 1962.

جريمه نصوص وأبحاث.

H. Grimme: Texte und Untersuchungen zur safatenisch – arabischen Religion, paderborn, 1929.

جلكس:

M. Rodinson, note sur une expression safaitique, comptes rendus, du groupe: linguistique d'etudes chanito - semitiques, (Paris), VIII (1957-1960).

«الجمهرة»: محمد بن الحسن بن دريد «جمهرة اللغة ط ١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٤٥ هـ (تصوير مكتبة المثنى بغداد).

جواد علي: جواد علي، «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» جـ ١، دار العلم للملايين بيروت مكتبة النهضة بغداد، ط ٢ بيروت ١٩٧٦.

معجم الالهـه:

H.W. Haussing: Worterbuch der Mythologie Gotter und mythen im Vordeven Orient. E. Klett Vertag, Stuttgart 1965.

معجم الحديث:

A.J. Wensinck: concordance et indices de la tradition musulmane, II, Leiden (1943).

«نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب» لابن سعيد المغربي، حقق قسماً منه وترجمه إلى الألمانية مانفـرد كرب كرسالة علمية، هايدلبرج ١٩٧٥

«معجم البلدان»: ياقوت الحموي «معجم البلدان» توزيع دار الكتاب العربي. بيروت ـ لبنان (تصوير بدون تاريخ).

هاردنج:

G.L. Harding: An index and concordance of the pre-islamic arabian names and Inscriptions. University of Toronto press. 1971.

هاردنج ـ ليتمن:

G.l. Harding and E. Littman: Some Thamudic Inscriptions from the Hashemite Kingdom of Jordan iden, 1952.

هاردنج ـ وينت:

F.V. Winnett and G.L. H arding: Inscriptions from fifty safaitic cairns. University of Toronto Press. 1978.

هانى:

G.L. Harding, the Cairnn of Hani, in Annual of the Department of Antiquities of Jordan, vol. 2, 1953, pp. 8-56.

هوفنـــر :

Maria Hoefner, die Beduinen in den Vorislanischen arabischen Inschritten (l'antica societa, beduina, studi semitici) University di Roma, 1959.

وينت :

F.V. Winnett: Safaitic Insciptions from Jordan, University of Toronto Press, 1967.

وينت ـ ريد :

F.V. Winnett and W.L. Reed: Ancient Records from north Arabia. University of Toronto Press, 1970.

يوســـف :

Yusuf Abdallah, die persomennamen in Al-Hamadan 'is, Al-IUklil und Ihre parallelen in den altsudarabischen Inschriften, Tubingen, 1975.

دائرة المعارف الإسلامية :

H.A.R. Gibb and G.H. Kramers: Shorter Encyclopaedia of Islam, E.J. Brill, Leiden 1965.

ريكمنز :

G. Ryskmans: Les Noms Propres sud-semitiques, I-III, Lovrain, 1934-35.

شبر نجـــر :

A. Sprenger: Die alt Geograhic Arabien (Nachdruck der Ausgabe Berlin 1875).

شتارك :

J.K. Start: Personal Names in Palmyrene Inscriptions, Oxford at the Clarendon Press. 1971.

فلهوزن:

J. Wellhausen: Reste Arabischen Heiden-tums, Berlin, 1897.

الكتاب المقدس:

كوربس:

Corpus inscriptionum Semitacarum, Pars V, fasc. I, Paris, 1950.

ليتمن:

E. Littman: Safaitic Inscriptions, Publication of the Princeton University, Archaeological Expeditions to Syria 1904-1905 and 1909, Division IV, Semitic Inscriptions, Section C; Leyden - E.J. Brill 1943.

المجموعة: يوسف محمد عبد الله:

النقوش الصفوية في مجموعة جامعة الرياض عام ١٩٦٦ رسالة ماجستير قدمت إلى دائرة اللغة العربية ولغات الشرق الأدنى كلية الآداب والعلوم، الجامعة الأمريكية في بيروت ١٩٧٠.

مقال وينت:

F.V. Winett, the Revolt of Damasi: Safaitic and Nabatean Evidence. Bulletin of the American Schools of Oriental Research, Number 211. October 1973.

صنعاء: د. يوسف محمد عبدالله

الحواشي:

(١) هذه النقوش الصفوية الثلاثة بعض ثمار رحلة قام بها الأستاذ الدكتور محمود علي الغول نائب رئيس جامعة اليرموك حالياً [توفي رحمه الله سنة ١٩٨٤م] عام ١٩٦٦ إلى الحدود الشمالية من المملكة العربية السعودية بتكليف من جامعة الرياض وإليه وحده يعود فضل اكتشاف هذه النقوش وفضل النشر. وهي أيضاً ثلاثة من مائة وعشرين نقشاً جديداً قمت بقراءتها كجزء من دراستي للحصول على درجة الماجستير من الجامعة

الأميركية في بيروت عام (١٩٧٠). وتنشر النقوش الثلاثة هنا لأول مرة بعد إعادة كتابة المادة واستكمالها واستيفاء مصادرها وتضمينها وجهات نظر جديدة.

وكان الدافع المباشر لنشرها هو نبأ وفاة العالم البريطاني (لانكستر هاردنج) رئيس دائرة الآثار الأردنية سابقاً من خيرة المشتغلين بالآثار العربية والنقوش الصفوية. وكان قد توفي في ١١ فبراير ١٩٧٩م بانجلترا. والسطور التالية في ذكرى (لانكستر هاردنج). اعترافاً بفضله وتجلة لعلمه. (راجع قائمة الكتب في آخر البحث).

(٢) تقع مدينة عرعر في شمال المملكة العربية السعودية (٣٠° ـ ٥٩َ، شمالاً، ٤٠° ـ ٤َ شرقاً) قرب محطة ضخ التابلاين. وقد زار المنطقة من العلماء أيضاً (ألبرت جام) في مارس ١٩٦٩ ونشر نصوصاً جديدة تحت عنوان نقوش صفوية من منطقة عرعر، وتقع بدنة على مقربة من عرعر. ومن المواقع الأثرية حول عرعر وبدنة، العويصى، والشاظى شمالاً وغدير بدينة «والموقع الأثري» جنوباً.

(٣) في لهجات اليمن اليوم: وجَّم (بالتضعيف) جمع حزم سيقان الذرة بعد الحصاد وكومها الميجام هو الكومة المكونة من الحزم. وسمعتها بنفسي في مناطق الحجرية.

(٤) جام محرم.

(٥) الحجر هو أهم ما يميز وثنية عرب الجاهلية وهو النصب والجمع أنصاب ويكون رمزاً للمعبود. وحجارتهم ضخمة ولا ينقلونها معهم وبعضها تكون صخوراً كالفلس والجلد والسعد (ص ١٠١ ــ ١٠٢ فلهوزن).

(٦) كان العرب في القديم يضعون على القبر كومة من الحجارة ثم يأتي آخرون بعد ذالك يقومون بالعمل نفسه ويدعى ذالك الوجم كما هو معلوم في النقوش الصفوية (معجم الآلهة).

(٧) ذكر لي صديقي الدكتور رضوان السيد قول ربيعة بن مكدَّم [العرب: (الصواب قول حسان بن ثابت حين مَرَّ بقبر ربيعة بن مكدَّم] نَفَرتْ قلوصي من حجارة حرة وضعت على طلق اليدين وهوب.
[«ديوان حسان»: تحقيق د: وليد عرفات ــ ٤١٠]

والبيت كما يفهم يشير إلى (صنعة قوم عاد) وهي هنا وضع الحجارة على قبور الكرماء.

(٨) وقد ذهب الأخباريون إلى وجود طبقتين لقوم عاد وهم عاد الأولى وعاد الثانية وهاجرت إحداها من اليمن . . . وفي القرآن الكريم «وانه أهلك عاداً الأولى وثموداً فما أبقى» النجم الآية ٥٠. وفي النقوش الصفوية يتكرر العلم (عد) أي عاد عشرات المرات (انظر هاردنج) و (هاردنج ــ وينت). مثال ذالك: لجهم بن زهران بن ثملة بن عاد ووجم على أبجر ذأل ضيف.

(٩) مزج الأخباريون العرب بين مواطن الآراميين والعرب وإن كانوا يفرقون أحياناً بين إرم وآرام (أنظر «دائرة المعارف الإسلامية مادة ارم. ارم مرادف لعاد وكذالك أطلق ارام على ثمود (م. نفسه) ويذكر بطليموس أرض عادة في منطقة أرميا. كما يقرن القرآن الكريم عاد بإرم في قوله تعالى «ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد» سورة الفجر.

(١٠، ١٢) يذكر صاحب أنساب الاشراف أن عادا كانوا قد ملأوا ما بين الشام واليمن، من دلني على رجل من آل عاد فله ما شاء. راجع القول في حديث البلاذري عن عاد في «أنساب الأشراف».

(١١) أنظر (المجموعة)، راجع «الصفة» ص ٢٧٢. ويذكر صاحب («نشوة الطرب» ٦٠) أن كلب هو ابن وبرة من قضاعة وقضاعة على رأي الهمداني ــ راجع «الإكليل» ج ١ ــ هو ابن مالك بن حمير، تديرت في الجاهلية دومة الجندل وتيماء وتبوك وأطراف الشام.

★ ★ ★

ملاحظات على كتاب:

ـ ٤ ـ

الصحاح
تاج اللغة وصحاح العربية

٢٢٢ ـ ص ٤٨٢ : السُّخْدُ معرب من الفارسية (سوخته) أي محترق من المصدر (سوختن) أي الاحتراق .

٢٢٣ ـ ص ٤٨٤ : (الاسْرِنْدَاءُ ، والاعْرِنْدَاءُ واحدٌ) . الصحيح : الاغرنداء . بالغين المعجمة قاله الجوهري نفسه في (غرد) وانظر أيضا شرح «شواهد المغني» للسيوطي .

٢٢٤ ـ ص ٤٨٧ : (يدل على ذلك أنه يجمع على سَيَائِدَةٍ). الصحيح : سيائد . كذا في مصدر الجوهري وهو «أدب الكاتب» لابن قتيبة ٥٩٨ ـ ٥٩٩ (ط مؤسسة الرسالة ١٩٨٢)، وكذا في نقل «اللسان» عن الجوهري .

٢٢٥ ـ ص ٤٨٩ : (السِيد : الذئب . . والجمع : سِيَدان). ضبط المحقق الياء من سيدان بالفتح وهذا خطأ ، والصواب ضبطها بالإسكان .

٢٢٦ ـ ص ٤٩٠ : (قال ابن رُمَيض العنبري) . الصحيح : العنزي ، وهو رشيد بن رميض «الأغاني» ١٤ / ٤٤ ، «النقائض» ٢٠٧ الخ) ويسمى أيضا (رويشد بن رميض) كما في «الكامل» ٣٣٤ . وبذا نعلم خطأ الدكتور عبدالله عسيلان حين قال في تعليقه على «الحماسة» ٢٠٦ (الرياض ، ١٩٨١) : (في الأصل : رويشد ، ومن الواضح أنه تحريف ، ذلك لأن نسخ «الحماسة» والمصادر أجمعت على رشيد ، ولم أجد أصلاً لرويشد) . وقد رأيت فيما سلف أن لرويشد أصلاً .

٢٢٧ ـ ص ٤٩٢ : (الشِيدُ بالكسر : كل شيء طَلَيْتَ به الحائِطَ من جِصٍّ أو

مِلَاطٍ) ، علق المحقق بقوله : (في المطبوعة الأولى : البلاط ، بالباء وهو تحريف). قلت : التحريف هو ما أثبته الأستاذ العطار في مطبوعته ، لأن واجب المحقق أن يترك النص كما كتبه مؤلفه وان كان خطأ ، ونص الجوهري : (البلاط). وقد أخذه من «الغريب المصنف» لأبي عبيد ، وهذا خطأ من أخطاء أبي عبيد أخذه عليه علي بن حمزة («التنبيهات» غ ٤٩) ومن بعده كابن سيده في «المحكم» (شيد) وهو ينقل من علي بن حمزة .

ومما يدل على أن هذا هو نص الجوهري أن صاحب «القاموس» (شيد) أخذه عليه ، وكذلك أبن بري ١ / ٣٠ ، وقد علمت أن الغلط من جهة أبي عبيد والملاط من السريانية Mlata ، أما الشيد فينظر الأنباري ٢٥٧ .

٢٢٨ ــ ص ٤٩٨ : (جاء في الحاشية: عامر بن الصفيل). الصحيح : عامر ابن الطفيل ، وأرجو أن يكون مافي الأصل تطبيعا ، انظر مثلا «جمهرة أنساب العرب» ٢٨٥ .

٢٢٩ ــ ص ٥٠٣ : (قال عمر رضي الله عنه : اخْشَوْشِنُوا وَتَمَعْدَدُوا . قال أبو عبيدة : فيه قولان).

هذا تحريف ، والصحيح : (أبو عبيد)؛ فالكلام الذي ذكره الجوهري منقول من كتابه «غريب الحديث» ٣ / ٣٢٧ ــ ٣٢٨ واعتراض صاحب «القاموس» (معه) لا معنى له والرد عليه يخرج من مجال البحث اللغوي .

٢٣٠ ــ ص ٥٠٤ : أنشد الجوهري قول الشاعر :

أُلَاقِي من تَــذَكُّــرِ آلِ لَيْــلَى كــما يَلْقَى السَلِيمُ من العِـدَادِ

لم ينسبه المحقق لأن صاحب اللسان لم ينسبه ، وهو لكثير كما في هامش «غريب الحديث» ١ / ٧٣.

٢٣١ ــ ص ٥٠٥ : في الحاشية (عصده يعصده عصداً : إذا لواه). لا فائدة من ذكر تصريف الفعل مالم يضبط بالشكل أو التنظير ، وهو من باب ضرب كما في

«ديوان الأدب» للفارابي ٢ / ١٥٢.

٢٣٢ ــ ص ٥٠٧ : (واليَعْضِيدُ : بقلةُ ، وهي الطَرْخَشْقُوقُ) . علق المحقق بقوله : (تشبه الهندباء البري . اه . . عاصم).

هذا التعليق نقله المحقق من هامش المطبوعة الأولى ٢٤٥ دون إشارة إلى المرجع ، ولزم التنبيه على هذا لأن الطرخشقوق لم يتفق على ماهيتها وكلامهم عنها مجموع في (من القاموس) للين ٢٠٧٣ (USA, 1956) وفيه أن جولينس رأى أنها من اليونانية taraxicon، وهذا الافتراض انتحله الأب انستاس الكرملي ، ورده مرارا كأنه من بنات أفكاره (انظر مجلة «لغة العرب» في مواضع مختلفة من الفهرس العام لها).

٢٣٣ ــ ص ٥٠٨ : (وربما قالوا : جملٌ عُلَنْدَى). ضبط المحقق علندى بضم ففتح ، والصحيح ضبطها بضمتين . أنظر «المقصور والممدود» لابن ولاد ٨٥ (نشرة Bronnle في ليدن ، ١٩٠٠).

٢٣٤ ــ ص ٥٠٩ : قال لبيد . .

فَبَاتَ السَيْلُ يركَبُ جانِبَيْهِ من البَقَّارِ كالعَمِدِ الثَقَالِ

الثقال بالقاف صوابها : (الثفال) بالفاء وهو الجمل البطيء كذا جاء في مصدر الجوهري وهو «الاصلاح» ٤٨ وتهذيبه ١ / ٨٣ وهو كذلك في «ديوان لبيد» ١١ (دار صادر) .

٢٣٥ ــ ص ٥١٤ : (والمَغْرُودُ مثله). الصحيح المُغْرُودُ بضم الميم كما في كتاب «ليس» لابن خالويه ٥ و«اصلاح المنطق» ٢٤٩ وقد جاءت كلمة (المغرود) عند ابن بري ١ / ٤٣ مضبوطة بالفتح وهذا خطأ .

ص ٥١٥ : (والخَشَبَةُ التي يحرَّك بها التنُّور مِفْأَدٌ). ضبطت مفأد بكسر فضم ففتح ، والصحيح أنها على وزن منبر ، لأنها اسم آلة .

٢٣٦ ــ ص ٥١٨ : (أبو زيد : أفَدْتُ المالَ : أعطيته غيري ، وأَفَدْتُهُ :

اسْتَفَدْتُهُ . وأنشد للقَتَّال). العبارة مضطربة ، وترتيبها الصحيح : (الكسائي : أفدت المال . . وأنشد أبو زيد للقتال) كذا في مصدر الجوهري ، وهو «الغريب المصنف»، باب الأضداد («المزهر» ١ / ٣٩١) وكذا جاء في نقل «اللسان» عن الجوهري ، وقد شك أبو حاتم في هذا في أضداده رقم ١٥٢ (بيروت ، ١٩١٣) وعنه وعن التوزي أبو الطيب في أضداده ٥٣٨ ، وكذلك ابن الأنباري في أضداده رقم ١٣١ وأنشد الشاهد ورغم تداول اللغويين له لم يتعرف محقق الكتاب محمد أبو الفضل ابراهيم على قائله .

٢٣٧ ــ ص ٥١٨ : (رَجلٌ قِتْرِدٌ) ضبطها المحقق بكسرتين ، والصواب أن تضبط كعلبط («تهذيب اللغة» ٩ / ٤١٥ . . الخ)، وبكسرتين ــ وهو بالثاء كما في «القاموس» ــ يعني الصوف ونحوه كما في «نوادر أبي زيد» ١٧٥ ، وعنه القالي في «البارع» ٥٤٩ .

٢٣٨ ــ ص ٥١٩ : (بكرةٌ قَحْدَةٌ) وأصله قحدة (بكسر الحاء) فسكنت مثل عشرة وعشرة ضبطت عشرة الأخرى بفتح الشين ، ولو كانت كذلك ماجاز تخفيفها لأن المفتوح أخف الحركات فلا يخفف بالإسكان («رسالة الغفران» ٣١١ ــ ٣١٢) وانما هي عشرة بالكسر ، وهي لغة في عشرة مشهورة ذكرها سيبويه ٢ : ١٧١ وغيره ، وقد نسبها سيبويه إلى بني تميم كعادتهم في اللغات غير القرآنية .

٢٣٩ ــ ص ٥٢٠ : ذكر الجوهري بيتا للفرزدق :

تَقُولُ إذا اقْلَوْلى عليها وأَقْرَدَتْ

فنقل المحقق في تفسيره عن ابن بري كلاما بعيدا من معناه ، ويراجع لمعناه «النقائض» ٧٥٣ (نشرة Bevan في ليدن ١٩٠٨ ــ ١٩٠٩) وانظر أيضا «شواهد العيني» ٢ / ١٣٥ ففيه ذكر لتفسير آخر خطأ .

٢٤٠ ــ ص ٥٢١ : (أنشد الجوهري للأخطل :

فـإنْ كُنْتِ أَقْصَدْتِنِي إذْ رَمَيْتِيني بسَهْمَيْكِ فالرَامِي يَصِيدُ ولايَدْرِي

البيت مكسور ، وصحة انشاده :

فإن كُنتِ قد أَقْصَدتني إذ رميتني بسَهْميك فالرَامِي يريش ولا يَدْرِي

كما في المطبوعة الأولى ، ومثله مصدر الجوهري وهو «اصلاح المنطق» ٢٥٠ ، ونقل اللسان عن الجوهري وكان في المطبوعة الأولى : (بسهمك) فغيرها المحقق متابعة «للسان»، ولكن رواية المطبوعة الأولى توافق رواية «الاصلاح» .

٢٤١ ــ ص ٥٢١ : (القَرْدُودُ من الأرض) ضبط المحقق القاف من القردود بالفتح ، والصحيح ضبطها بالضم للأسباب المذكورة فيمافرط (رقم)، وانظر عن هذه الكلمة مع شاهد عليها «الجيم» ٣ / ١٠٢ وانظر «الوحشيات» رقم ٢٣٥ (نشردار المعارف) و«المجتبى» ٩٩ (حيدر أباد ، ١٣٦٢ هـ).

٢٤٢ ــ ص ٥٢٣ : (فَعِيلُ وفَعُولُ مما يَستوي فيه الواحد والاثنان والجمع كقوله تعالى : ﴿أنا رَسُولُ ربِّكَ﴾ .

قلت : اشتبه على الناسخ هذه الآية بالآية المكتوبة أصلا كما يفيده نقل «اللسان» و«مختصرات الصحاح» «كالتهذيب» و«المختار») وهي قوله تعالى (٢٦ / ١٦)﴿إنا رسول رب العالمين﴾ .

٢٤٣ ــ ص ٥٢٤ : وقال الأعشى :

طَـرِفُـونَ وَلَّادُونَ كـلَّ مُبَـارَكٍ أَمِرُونَ لا يَرِثُـونَ سَهْمَ القُعْدُدِ

صحة البيت :

أَمِـرُون ولَّادُونَ كـل مُبَـارِكٍ طَرِفُونَ لا يَرِثُونَ سَهْمَ القُعْدُدِ

كذا جاء في مصدر الجوهري ، وهو «اصلاح المنطق» ليعقوب ١٠٣ ، ثم ان البيت ليس للأعشى وانما لأبي وجزة كما في «سمط اللآلىء» ٨٠٩ .

٢٤٤ ــ ٥٢٧ : أنشد الجوهري للأعشى :

فـما أُجْشِمَتْ مِن إتْيـانِ قَـوْمٍ هُـمُ الأَعْـداءُ والأكبـادُ سُـودُ

الصحيح : (فالأكباد سود) كما في «المعاني الكبير» لابن قتيبة ٨٥٠ ، ١١٣٥ (نشرة كرنكو ، في حيدر اباد ١٩٤٩)، والديوان ٢١٤ (نشرة جاير) .

٢٤٥ ــ ص ٥٢٨ : أنشد الجوهري :

وعَـيرُ لها من بنـاتِ الكُـدَادِ يُـدَهْمِـجُ بـالـوَطْـبِ والمِـزْوَدِ

قال المحقق : (في التكملة : حمار لهم على الجمع . ويروى حِصَانٌ). قلت : الأجدى في العلم أن يوضح صحيح هذه الروايات ويميزه من سقيمها بدلا من حشدها . فأما الرواية الأولى والثالثة فغلط لأن البيت للفرزدق يهجو به قبيلة جرير (لا امرأة كما في الرواية الأولى) بأنهم أصحاب حمير (لا خيل كما تفيده الرواية الثالثة). انظر «النقائض» ٧٩٤)، وقد أخذ الجوهري هذه الرواية المغلوط فيها من «القلب والابدال» ليعقوب ٢٠ (نشرة هافنر) وقد أخذها عنه كذلك القالي في «أماليه» ٢ / ٩٣ ، فانتقدها البكري في «اللآلي» ٧٢٧ (تحقيق الميمني) ولكن في «بارع القالي» ١٩٢ (تحقيق الطعان): (وعير لهم). ولعلها مصلحة .

٢٤٦ ــ ص ٥٣٢ : في الحاشية : (في اللسان : مُتَلَغِّداً). ضبطه المحقق بفتح التاء ، والصحيح إسكانها كما في أصل «الصحاح».

٢٤٧ ــ ص ٥٣٣ : أنشد الجوهري :

بَطيءٍ عن الدَاعِي سَرِيعٍ إلى الخَنَا ذَلُـولٍ بإجمـاعِ الرجـالِ مُلَهَّـدِ

ضبط المحقق همزة (اجماع) بالكسر كأنها مصدر أجمع ، والصواب فيه (اجماع) بالفتح كذا في ديوان طرفة نشرة ماكس سلغسون M. Seligsohn في باريس ، ١٩٠١ ، ص ٤٢ .

جواد محمد الدخيل

حول كتاب :ـ

المدارس الاسلامية في اليمن

حينما اطلعت على مجلَّة «الإكليل» العدد الأول، السنة الثالثة الصادر في خريف سنة ١٤٠٦هـ الموافق (١٩٨٥م) أخذتُ أطالعُ عناوينَ محتواها من بحوثٍ ومقالاتٍ ، لأختار للقراءةِ منها ما تتوقُ إليه نفسي، وتميلُ إليه رَغبتي، فوقع نظري على عُنوانِ: (نظرة عامة إلى المدارس اليمنية؛ تخطيطاتها وعناصرها المعمارية) للدكتور محمد سيف النَّصر ــ أحدِ المدرسين المصريين في جامعة صنعاء ــ فأثار هذا العنوانُ رَغبتي واهتمامي، وأخذتُ أقلبُ صفحاتِه قبلَ أن أقرأه ، وظننتُ أن مَوضوعَه، كما قَدَّرْتُ من ظاهر مَدْلولِ العنوان، ومن الصورِ والرسومِ البيانِيَّة الملحقة به ــ سيكونُ رَدِيفاً ومُتَمِّماً لكتابي «المدارس الإسلامية في اليمن» الذي نَشرَتْهُ جامعةُ صنعاء سنة ١٤٠٠هـ (١٩٨٠) فهذا يتناولُ تاريخَ بناءِ المدارسِ ، وذكرَ من بناها، ومَنْ درَّسَ بها، وذالك بتناول وَصْفَ الجوانبِ الفنيةِ لتلك المدارس، وخصائصِها الفريدة، ووصفَ وظائف أقسامها. وهذا هو ما كنتُ أتمنى أن يشملَه كتابي عندَ التأليف له، ولكن أنَّى لي ذالك ؟ وأنا أجهلُ مَعْرِفَةَ فنونِ العمارة الإسلامية ومعرفة أوصافها ومصطلحاتها، فقلت في نفسي: لابدَّ أن يأتي من يكتبُ عن هذا الجانب في يومٍ من الأيام فيكون مُكَمِّلاً لكتابي ولكم كانت فرحتي ــ علم الله ــ حينما تولى كتابةَ هذا البحث عالم عربي، وأنه كما أعتقدتُ باديءَ ذي بدءٍ قد ذهب بنفسِه إلى إبّ وتَعِزّ وذي جِبْلَة وجُبَن والجَنَد ورَداع وزَبِيْد وغيرها من المدن التي اشتهرت بظهور المدارس فيها في العصرَيْن الرَّسُولي والطَّاهِري، وأقامَ في كل بلدةٍ مُدَّةً لمشاهدةِ ما بقي من تلك المدارس على قيد الوجودِ فصوَّرها، ووضعَ لها مخططاتٍ ورسوماً بيانية بعد أن قاسَ أبعادَها ، وقارَنَ بين أنماطِها المتعددة، وأنواعها المختلفة، وشرح مُصْطَلَحاتها العِلْمِيَّة، وطابقَ

ذالك بما يوجد لبعضِها من أَوْصافٍ في الكتب التاريخية، وفي وثائق الأَوقاف، وتخيَّل أيضاً كيف كان حالُ المدارسِ الدارسة من أوصافِ بعضها الموجودة في بعض المصادر القديمة، فوضع لها الرسومَ البيانيةَ، ووصفها وصفاً دقيقاً يتمثلُ القاريءُ كما لو كان يشاهدها ويراها. وبَيَّنَ كذالك وجوهَ الشبه ووجوه الاختلاف بين المدارس الرسولية والمدارس الظَّاهرية، ثم بين وجوهَ الشبه بينها وبينَ طِرَازِ المدارس الأُخرى في الشام والعراق ومِصْر وبلادِ فارس، وماوراء النهر، وقارنَ بينَ هذه وتِلك ، كما يفعلُ ذَوُو الاختصاص بهذا الفنِ من علماءِ الغَرْب، حتى يكونَ بحثُهُ ماتِعاً ومفيداً. ليكون شاهدَ عدلٍ على ما بذله من جُهدٍ علمي صادقٍ خلال وجوده في اليمن مُدَرِّساً للتاريخ في جامعة صنعاء. فلما شرعتُ في قراءَةِ هذا البحثِ إذْ بي أُفَاجَأُ مِنذُ الوَهْلَةِ الأُولى بما لم يكن في الحُسْبان، ولا خطر لي على البَال؛ فقد اكتشفتُ أن كاتِبَهُ لم يكتبْ ما كَتَبَ عن بَيِّنَةٍ ولا دِرَايةٍ تامةٍ بهذا الموضوع، ولا وَصَفَ عن مشاهدةٍ ، ولا نقلَ ما نقل عن إدراكٍ وبصيرةٍ وفهمٍ وأمانة، وأنَّ بَحْثَهُ ــ إنْ جاز أن يُسمّى بَحثاً ــ إنما هو كَسَرابٍ بقيْعَة يَحْسَبُه الظَّمْأنُ مَاءً حتى إذا جَاءَه لم يَجِدْه شيئاً .

فلقد تبيَّنَ لي أن كاتِبَه قد أغارَ على أبحاثِ البعثةِ الفرنسية الأَثرية التي قامت بوضع دراساتٍ شاملةٍ للعمارة الإسلامية في المدرسة العامرية في رداع، وكذالك في جامع ظَفَارِ ذِي بِيْن، ومسجدِ العبَّاس في الضاحية الجنوبية لقرية أَسْنَاف من خَولان ، بترخيصٍ من الهيئة العامة للآثار ودور الكتب. وقد تولى المهندسُ المعماري (بِرْنَار مُورْي) عضو الفريق الفرنسي رَسْمَ وتصميمَ مخططاتِ هذه المعالِم الأَثرية، وكان يَكتُب اسمه في كلِّ لوحةٍ يقومُ بتخطيطها ورسمِها، ويجعلُه في مكانٍ خَفِيّ لاَ يهتدي إليه فُرسانُ السطو على حقوق وممتلكات أَصحابها ليُحْبِطَ بذالك محاولةَ من يَسْعى لِادِّعائِها لنفسه فينكشف أمرُه وينهتكَ سترُه ولو بعد حِين .

كذالك فقد أغَار على نتائجِ الدراسةِ التي قام بها الدكتور (رُون لوكوك) لجامع الملك المظفر، الذي كان يُدعى جامع ذِي عُدَيْنَة، ولمدرسةِ الأَشرفية

والمدرسةِ المَعْتَبِية في تَعِزَّ، ووضع لها مخططاتٍ مفصلةً تُبيِّنُ أَقْسامَها ووظائفها، وتحديد ملامح فن العمارةِ الإسلامية الرسولية، ووصفها وصفاً علمِياً، وأَرفق تلك المخططاتِ بصورٍ شمسية، وتولى الدكتورُ (رِكس سميث) كتابةَ الجانب التاريخي فصدر البحثُ عنهما معاً. وأغار كذالك على المخططاتِ والرسومِ البيانية التي وضعها (المستر جيمس كنوستاد) عضوُ بعثةِ (أونتاريو) الملكي في كندا، التي تقوم بوضع دراسةٍ شاملةٍ للآثار الإسلامية، ولاسيما في عصر الدولة الرسولية في مدينة زَبِيد ونواحيها.

ولا أدري كيف استطاع الدكتور النَّصر أن يستحوذَ على أعمال هؤلاء الباحثين الذين جاؤا من بلادٍ بعيدةٍ، وتجشموا الصِّعابَ، وتعرضوا أثناء قيامهم بالبحثِ والدراسةِ والرَّسْم والتصوير والمقارنة لقسوةِ الحياةِ تحت وهجِ الشمسِ وأشعتها اللَّافحة، وأحياناً للبرد القارس، حتى خرجوا بتلك الأبحاث. ولئن حصل في بعض ماكتبوا أخطاءٌ من الناحية التاريخية بعد أن اجتهدوا في تَحَرِّي الصواب فإنَّ لهم أجرَ الباحثِ المخلصِ لعمله. وإذا بالدكتور محمد سيف النصر يَدَّعي تلكَ الأعمال لنفسِه وينشرها باسمِه، وهو قابع خلف، مكتبه لم يتحرك من مكانه، ولم تغبر قدمه في ميادين البحث والدراسة ثانية واحدة. ومهما كانت الوسائلُ والأساليبُ التي استعملها حتى تمكنَ من الحصولِ عليها فقد كان عليه من باب الأدب والحرص على الأمانة أنْ يستأذنَ أصحابَها، وإذا لم يستأذن فلْيُشِر إليهم بكلمة ثناءٍ طيبة أو قولٍ معروف، وهذا أضعف الإيمان، ولكنه لم يفعل شيئاً من ذالك، مع أنه يجب عليه وهو مدرس في قسم التاريخ بجامعة صنعاء أن يكون قدوةً صالحةً لطلَّابه الذين يحاضرهم، وأن يلتزم بالأمانة العلمية قولاً وسلوكاً حينما يقومُ بتعريفهم بأساليب البحث العلمي، ويُبَصِّرُهُمْ بالطرق المشروعة للنقل والتوثيق ويُرَسِّخُ في مداركهم أن الأمانة العَلمية تحتمُ على كل باحثٍ عَزْوَ كلِّ فقْرةٍ إلى مَصْدَرِهَا الأصلي الذي نُقَلت منه، مهما كانت القِيمَةُ العلمية لذالك المصدر، فذالك أقربُ للثقةِ بالباحث وببحثِه، وأسرعُ للإطمئنان إلى صدقِه، لأَنَّ أقلَّ خطإٍ في سلوك الـمُدَرِّس سيجعلُ طلابَه في حلٍّ إذا ارتكبوا ماهو أسوأُ وأقبحُ على حد

قول أمير الشعراء أحمد شوقي رحمه الله :

وَإِذَا الْمُعَلِّمُ سَـاءَ لَحْظَ بَصِيْـرَةٍ جاءَتْ عَلَى يَدِه الْبَصَائِـرُ حُوْلَا

وإذا كان هناك ضرورةٌ ملحة للإشارة إلى المراجعِ الأولى لذالك المصدرِ الذي لم يَرَ الباحثُ الذي اعتمد عليه سواه فإنه يستطيعُ أنْ يذكرَها كمراجعَ لمصدرِه، وليست كمراجعَ لبحثِه.

أمّا إذا تجاهلَ الباحثُ هذه القواعَد الأساسيَّةَ للبحثِ والدراسةِ، ورمى بها عرضَ الحائِط متبعاً هَوَاه، ليوهمَ القُرَّاءَ أنه قد استقَى بَحْثَه من المراجعِ الأولى التي لم يرها. فهذا ليس من أخلاقِ العلماءِ الأثبات، ولا من صفاتهم الحميدة التي يجب أن يَتَحَلَّوْا بها على أقلِ الأحوال أمامَ طُلَّابِهم الذي يجعلونهم المثل الأعلى لهم، وكذالك ليست من أخلاقِ المتعلمين، بل هو ــ إنْ شئتَ قولَ الحق ــ الزَّيفُ والتدليسُ بعينه ولقد تذكَّرْت، وأنا أقرأُ مقالَ الدكتورِ النصر ما تنشره مجلة «العرب» من مقالات متتابعة مابين حينٍ وآخر بعنوان «الدكاترةُ والعبثُ بالتراث» ورد فيها ذكرُ أشخاصٍ بعينهم ممن يَحملون هذا اللقبَ العلمي، أساؤُا إلى ما تصدَّوْا له من دراساتٍ وأعمالٍ علمية، وعبثوا بالتراثِ حسبَ أهوائِهم وأمْزِجَتِهم وحرَّفوا وصَحَّفوا وبدَّلوا وغَيَّروا فتمنيْتُ لو أن صاحب المجلة اطلع على ما كتبه الدكتور محمد سيف النصر.

كذالك فقد خطر ببالي وأنا أفكر في عبثِ الدكتور النصر بما تصدَّى له من أعمالٍ كيف كان أسلافُ هذه الأمة التي رفع الله بالإسلامِ شَأْنَها ، وأعزَّ به مقامَها وكيانَها، وكيف كان علماؤُها الصادقون في أعمالهم يجتهدون في تحري فعلِ الصوابِ في أعمالهم كلِّها، فيُسنِدون مايَروونه من أحاديثَ، ومن أخبارٍ وروايات تاريخية إلى من أخذوها عنه من شيوخهم، وكيف كانوا يتأكدون من صدق الراوي وأمانته ونزاهته وصلاحه من سلوكه وشهادات الناس له، كما أنهم إذا صنفوا شيئاً فإنهم يذكرون بالخير والثناءِ من انتفعوا بعمله ممن سبقهم إلى مثلِ عملهم ويشيدون بأعماله، ولا يجحدون له عملاً مهما قلَّ. وأقربُ مثلٍ على ذالك هو

شمسُ الدين علي بن الحسن الخَزْرَجي المؤرخ اليماني المتوفى سنة ٨١٢ وهو عالم كبير ليس له مُؤَهِّلٌ سوى إجازاتِ شيوخهِ الذين أخذَ عنهم له بعد أن تأكدوا أنه أهلٌ لذالك، فقد سمت نفُس هذا العالمِ وأَبَتْ إلاَّ أن تَعتَرِفَ ــ وهو يؤلفُ كتابَه الشهير «طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان أهل اليمن» ــ بفضل المؤرخ الكبير محمد بن يَعقوب الجَنَدِي المتوفى لبضعٍ وثلاثين وسبع مئة سنة وفضل كتابه «السلوك في طبقات العلماء والملوك» على كتابه المذكور، فقال مُشِيداً بذالك: (وأعلم أيها الناظر ــ وفقنا الله وإيَّاك ــ أنَّ كتابَنا هذا ــ أي «طراز أعلام الزمن» ــ إنما هو مأخوذٌ في الغالب من كتابِ الفقيه الإمام الفاضلِ وحيد عصره، وفريد دهره، أبي عبدالله محمد بن يعقوب بن يوسف الجَنَدي، الملقب بهاء الدين صاحب التاريخ المعروف «السلوك» فإنه إمامُنا المشهور، وشيخُنا المذكور، وإنما تبعنا أَثَرَهُ وصَدَّقْنَا خَبَرَه، واغترفنا من فُضالته، وشَرِبْنَا بدلائِه، ولولاه ــ تأمل تواضع العلماء!! ــ ماخُضْنا هذا البحرَ العميق، ولا وجدنا إلى هذا المنزلِ من طريق، فرحم الله مثواه، وبلَّ بوابلِ الرحمةِ ثراه، مع مافيه من التسامح في العبارة، والتجوز في اللفظ). وقال فيه أيضاً في ترجمته له: وكتابه ــ أي «السلوك» ــ الذي جمعه في تاريخ فقهاءِ اليمن يدلُ على علمٍ واسعٍ، ومعرفةٍ بالرجال قديماً وحديثاً، ولم يستوعِبْ أحدٌ ممن قصدَ ذالك وتَصدَّى له كَاسْتِيْعَابِهِ. ولولا جُمعه وبحثُه واستقصاؤه ما تَصَدَّيْتُ لتصنيفِ كتابي هذا، ولا اهتديتُ ــ تأمل! ــ إلى شيءٍ من ذالك، ولكني هَذَّبْتُ ما جَمَعَهُ، ورتَّبْتُ ما وَضعَهُ، وذَيَّلْتُهُ بمن تَبِعَه، فهو الذي شجعني على ذالك، ودَلَّني على الطريق إلى ماهنالك؛ فهو في السِّلْم شيخي وإمامي، وفي الحرب ترسي وحُسَامي، بَرَّد الله مضجَعَه وأَنَّس مَصْرَعه).

فتأمل ــ أيها القاريء الكريم ــ هذا المثلَ السامي للعالمِ المخلصِ الأمين الصادق في قوله وفعله؛ فلقد كانت هذه الصفاتُ الحميدةُ، والفضائل الشريفة هي السمة الشائعة في أخلاق علماءِ المسلمين بالأمس، وقارن بينهم وبين من تَنَكَّب عن الطريق السَّوِيِّ فزلَّتْ به قدمُه، وضلَّ به علمه. مع أنه كان في استطاعةِ الخزرجي أن يتجاهل جهودَ الْـجَنْدِيِّ أو يكتفي بالقليل من الثناءِ عليه، ولن يَجِدَ من يَلومُه أو يَعتِبُ عليه لأنه لم يكن معاصراً له فبين وفاةِ الجَنَدي ووفاةِ الخَزْرَجي

قرابةُ ثمانين عاماً ، ولكن الأمانةَ عِبْءٌ ثقيلٌ على من يُقَدِّرُها حقَّ قدرِها فحملها وأَدَّاها كما يجب فكَبُرَ في أعينِ الناسِ وعَظُمَ لَدَيهم واستحق التقدير كلَّه في عصره وبعد عصره، إلى أن يرث الله الأرضَ ومن عليها.

هذا هو مجملُ المآخذِ على الدكتور النصرِ فيما يتعلقُ بمدلولِ عنوان مقاله (نَظْرَة عامة إلى المدارس اليمنية؛ تخطيطاتها وعناصِرها المعمارية).

أمّا المآخذ التي تتعلقُ بما كتبه عن بعضِ المدارس الإسلامية في اليمن من الناحية التاريخية فهي كثيرة، فهو قد أخذ ماكتبه عنها من كتابي «المدارس الإسلامية في اليمن» جملةً وتفصيلاً ، ولولا كتابي هذا لما عرف أن في اليمن مدارسَ، ولا عرفَ أسماءَها وأسماءَ من بناها، ولا عرف أيضاً أسماءَ مراجِع كتابي التي حشدها في هوامش مقاله تلبيساً وتدليساً وتخليطاً، ولا عرف أن هناك وقفيةً غَسَّانِيَّةً[1] وأنا على يقين أنه لن ينكر هذا لكن مقاله ــ والحق يقال ــ قد تفرد عن كتابي بما وقع فيه من أخطاءٍ تاريخية، وبما وقع فيه من أوهامٍ وأغلاط وتَدْلِيس وتزييف سنأتي على ذكرها قريباً إن شاء الله .

ولقد كان أهونُ على نفسي لو أنه أخذ كتابي كلَّه ، وأزال اسمي من صفحةِ العنوان، واستبدل اسمَه به فنسب الكتاب إلى نفسِه من أن يَعْمَدَ إليه ويعبث بما نَقَل عنه، ويُشَوِّهَ ماأخذَ منه سواءً أكان ذالك عن قصدٍ أم عن غير قصد. فقد ذكر مثلاً ــ في صفحة ١٠٠ ــ قولَه: (وقد أُنْشِئَتْ المدارسُ في اليمن مع مجي الأيوبيين إليها في عام (٥٦٩ ــ ١١٧٣م) حيث قام الملوكُ الأيُّوبيون بإنشائها. ثم قال في الصفحة نفسها: (وقد ورد في ثنايا (تأمل) المراجع التاريخية مايزيد عن ثلاثَ عَشْرَة مدرسةً في أنحاءِ اليمن قام على إنشائها ملوكُ الأيوبيين وأتباعهم؛ ومن هذه المدارس (المدرسة المعزّية) في زَبِيد، و(مدرسةُ المِيلَيْن) التي كانت تقعُ شرق الدار الناصري الكبير في زَبِيد، وقد بناها الملك المعز اسماعيل بن طُغْتُكِين بن أيوب عام ٥٩٤ ــ ١١٩٨).

فهل يتفضل الدكتورُ النصرُ فيذكر للقراءِ أسماءِ الملوكِ الأيوبيين ــ غيرَ الملكِ

الـمُعز اسماعيل بن طُغْتُكِين ــ الذين قاموا بإنشاء المدارسِ في اليمن ليستفيدوا من علمه الغزير ومعرفته الواسعة، وأستفيد أنا معهم ؟ ! فمبلغ علمي أنه لم يَبْنِ أحَدٌ من ملوكِ بني أيوب مدارسَ سوى الملك الـمُعِزّ وحدَه فقط. وهو أول من أسس المدارس في اليمن من بني أيوب ، كما نَصَّ على ذالك المؤرخُ الخزرجي في ترجمته للملك المعز، ولو أن الدكتور النصر سرّدَ لنا أسماءَ هذه المدارس التي تزيد على ثلاث عَشْرَةَ مدرسةً ، وذكر البانين لها من ملوك بني أيوب وبيَّن لقراء مقاله المراجعَ التاريخيةَ التي عثر على هذه الفوائدِ فيها أو في ثناياها على حد تعبيره، وأوضح ما يقصدُ بأنْحَاء اليمن، لأنَّ هذا اللفظَ يدلُ على أنَّ ملوكَ بني أيوب قد بنوا مدارسَ في كل ناحية من نواحي اليمن، لأَسْدَى إلى العلمِ وإلى التاريخ خدمةً عظيمة تذكر له بالتقدير والثناء والعِرفان بالجميل مدى الحياة.

أمّا قوله: (ومن هذه المدارس (المدرسة المُعِزيَّة) في زَبيد و(مدرسة المِيْلَين) التي كانت تقع شرقَ الدار الناصري الكبير، وقد بناهما الملك المعزُ إسماعيلُ بن طُغْتِكين بن أيُّوب سنة ٥٩٤) فهذا الكلامُ لم يَقُل به أحدٌ من المؤرخين، وإنَّما تفرد به الدكتور محمد سيف النصر مدرسُ التاريخ الإسلامي في جامعة صنعاء ، ولو أنه نظر بعين البصيرة وتَدَبَّر بعقلِ الباحث، وتأمل ماورد في كتابي لعرف أن (المدرسة المُعِزية) و(مدرسة المِيْلَيْن) هما اسمان لمدرسةٍ واحدةٍ ، ولتأكَّدَ لَهُ أنه يَخْبطُ خبط عَشْواء وأنه حاطبُ ليل. وهذا نصُ ماقلته: (مدرسةُ المِيْلَين في زَبيد، وكانت تقعُ شرقي الدار الناصري الكبير، ومكانها اليومَ أو قريبٌ منه مدرسةُ الإسكندرية ، بناها الملكُ المعزُ اسماعيلُ بن طُغْتَكِين بن أيوبِ سنة ٥٩٤ ، وكانت ــ أي مدرسة الميلين ــ تُسمى (المُعِزية) أو (مدرسة المُعِز) وهذا الوصفُ الذي أوردتُه لم أَقُلْهُ من عندي، ولا أتيتُ به من نَسْجِ الخيال، وإنما نقلتُه من المراجِع التي ذكرتُها في الهامش. وإذا كان عند الدكتور النصرِ مايؤيد دَعَوَاهُ العريضةَ بأن (المدرسةَ المعزية) و(مدرسة الميلين) مدرستان لامدرسة واحدة فليقدم برهانَه، وسأحضُر إلى كلية الآداب في جامعة صنعاء وأعتذر له علناً أمامَ أساتذة التاريخ ومدرسيه، وأمامَ عميدِ الكلية، وأمامَ طُلابِ قسمِ التاريخ في محفل عام.

وإلا . . . فسامحه الله !!

أورد الدكتور النصر فوائدَ عظيمةً في مقاله المذكور بتحديده لمواقعِ بعضِ المدارس والجهاتِ التي أقيمت فيها مثل قوله ــ في صفحة ١٠٠ ــ : (إن المدرسةَ الأتابكيةَ في المنطقةِ المعروفةِ الآن بِهُزَيْم في جنوبِ غرب مدينة تَعِز) ومثل قوله: (إن مدرسة المسانيفِ تقعُ شمالَ غرب ذِي جِبْلَة) وقوله: (إن المدرسةَ الرشيديةَ في ذي عُدينة، أحَدِ أحياء مدينة تَعِز) ومثل هذا قوله ــ في صفحة ١٠١ ــ: (إن اسد الدين محمد بن الحسن بن علي بن رسول بنى مدرستين إحداها في إبِّ ، والأخرى بقرية الخَبَالي من عُزْلَةِ وَرَاف من أعمال ذي جبْلَة) وكذالك قوله: (إن السلطان المؤيد أقام مدارسَ عدة منها المؤيدية في مغربة تَعزّ ، كما أقام مدرسةً في حي المحاريبِ في الطرف الشرقي لمدينة تعز عرفت بالمدرسةِ المظفرية باسم ابنهِ المظفرِ حَسَن). وذكر ــ في صفحة ١٠٢ ــ ما يلي: (إن العباسَ بن علي بن رسول أنشأ المدرسةَ العباسيَّة في تعز) وكذالك قوله: (إن الحرةَ مَرْيَم زوجَ الملكِ المظفرِ أنشأتْ مدرسةً أُخرى في ذي عُقَيبْ من عُزلة وَرَاف شمال غرب جِبلة) وقوله: (إن الحرةَ سَلَامةَ ابنةَ الملكِ المجاهد بنتْ مدرسةً بمغربة تَعِزّ عرفت بمدرسةِ سَلامة، كما أُطْلِقَ عليها اسمُ المدرسةِ المؤيدية).

فهل يتكرم الدكتور النصرُ بالإفادة كيف اكتشف هذه المعلوماتِ العظيمةَ ؟ وأين وَجدها؟ لأن المصادرَ التي ذكر أنه استخرجها منها لا تَذكرها إطلاقاً !! فكيف يُفَسِّرُ لنا هذا الأمرَ ؟ وإذَا أَصرَّ على أنه قد استقاها من تلك المراجع التي ذكرها في هوامشها فإني مستعد لحملها كلها من خزانة كتبي وأَضعها أمامه ليستخرج لنا منها تلك النصوص أو بعضها فإذا وجد فيها شيئاً مما ذكره فسأعتذر له علنا. مع أن تلك الفوائدَ مذكورةٌ ومذكورٌ ماهو أكثرُ منها في كتابي «المدارس الإسلامية في اليمن» وأحب أن أؤكد للدكتور النصر أن تحديدي لمواقعِ تلك المدارس لم يكن منقولاً من مراجعَ مكتوبةً، وإنما هو من مُحَصَّلَاتِ مُؤَلِّفِه الذي قام بزيارات متكررةٍ لمواقع تلك المدارسِ العامرةِ منها والخاربة فَعَايَنَ وصوَّر ما تمكَّن من تصويره، وحدَّد موقع كلِ مدرسةٍ من أشهر مدينة أو بلدة معروفةٍ مجاورةٍ لها.

كما أن مدرسة العباس بن علي بن رسول لم تكن في تعز كما ادعا الدكتور النصر. ومع هذا الخلط والخبط فإن هذا الدكتور لم يذكر كتابي المذكورَ ضمنَ المراجعِ التي ادعا أنه استخرج منها تلك الفوائد !!

ذكر الدكتور النصر ــ في صفحة ١٠٣ ــ أن السلطان عامرَ بن عبد الوهاب بنى مدرستَهُ (العامريةَ) في رَدَاع سنة ٨٩٤هـ/١٤٨٩م) وأن والدَه المنصورَ عبدَ الوهاب بن داود بنى مدرستَهُ المنصوريةَ في جُبن عام ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢ فهل يتكرمُ الدكتور النصر فيخبرنا من أين نقلَ تاريخَ بناءِ المنصورية والعامرية؟ وليس لهذين التاريخين ذكر في أي مرجعٍ إطلاقاً بينما هما موجودان في كتابي، وقد نقلتُ تاريخَ بناءِ العامرية من حامية نسخة خطيةٍ قديمةٍ من «قُرة العيون» للمؤرخ الدَّيبع، وهذه النسخة الفريدة موجودة في خزانة أخي القاضي محمد بن علي الأكوع، كما نقلت من هذه الحامية أيضاً النصَّ المكتوبَ في جدار العامرية بِحذافيره، ولعل كاتبَ هذا النصِ قد نقله من العامرية نفسها بعد بنائها قبل أن تُطْمَس وتُغَطَّى هذه الكتابة والزخارف والنقوش بطبقاتٍ سميكة من القُصّ (الجُصّ).

ولما حاولت البعثةُ الفرنسيةُ استخراجَ هذه الكتابةِ المزبورةِ على جدار العامرية بإزالة القُصّ حتى تتمكن من قرائتها استعانت بالنصِ الذي نقلتُه في كتابي «المدارس الإسلامية في اليمن» كما ذكرتُ آنفاً إلَّا أنَّ الباحثَة الفرنسيةَ (ماريا كرستين دَنْشُوت) أخبرتني أنها وجدت تاريخ الكتابة والعمارة سنة ٩١٠ وليس سنة ٨٩٤ ، وأنه ربما يكون تاريخ البناء . وأما تاريخُ بناءِ (المنصورية) في جُبَن سنة ٨٨٧ فإني أنا الذي اكتشفت أثناء قراءتي لما هو مكتوب في جدار هذه المدرسةِ نفسها حينما زرتُ جُبن منذ عشرَ سنواتٍ خلتْ ، وتبين لي خطأُ الناسِ حينما كانوا يعتقدون أنها المدرسة العامريةُ نسبة إلى السلطان عامر بن عبد الوهاب فلما قرأتُ ماهو مكتوبٌ في الجدار وجدتُ أنها من بناءِ والدِه المنصورِ عبد الوهاب بن داود فأطلقتُ عليها اسمَ المدرسةِ المنصورية، وأَخَذَتْ تشتهر بهذا الاسم، واستعمله الدكتور النصر أيضاً وإن كان قد سماها غلطاً ــ في صفحة ١٠٨ ــ المدرسة العامرية، وسماها مرة أخرى المنصورية إلَّا أنه قال: إنها لعامر بن عبد الوهاب

وهات من خلط وخبط !! ومع هذا فإنه لم يذكر مصدراً لما كتبه عن هاتين المدرستين المذكورتين، والمصدر الوحيد ــ كما قلت ــ هو كتابي.

ذكر الدكتور النصر ــ في صفحة ١٠٢ ــ أن العباسَ بن علي بن رسول (هكذا) أنشأ (المدرسة العباسيةَ في تعز)، وذكر في الهامش مصدرَ هذا الخبر: (النُّوَيْري ــ شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب ت ٨٣٣هـ/ صبح الأعشى في صناعة الإنشا ج ٥ ص ٣١) أرجو من كل ذي عقلٍ أن يتأملَ ويتدبَّر هذا الخبطَ وهنا الخلطَ وما شاء كلُّ ذي بصيرة وإدراكٍ أن يسمي ما وقع فيه مدرس التاريخ الإسلامي الدكتور محمد سيف النصر؛ فقد خلط بين شهاب الدين النويري المتوفي سنة ٧٣٣ وليس سنة ٨٣٣ كما نص عليه الدكتور النصر، وهو صاحب كتاب «نهاية الأرب في فنون الأدب» وليس صاحب كتابِ «صُبْحِ الأَعشى في صناعة الإنشا» أحمد بن علي القَلَقْشَنْدِي المتوفي سنة ٨٢١ مع أن بينَ وفاةِ النويري ووفاةِ القَلَقْشَنْدي قرابةَ مئةِ عام. والشيءُ المبكي والمضحكُ ــ وشرُّ الأُمورِ ما يضحك ــ أن النويري صاحب «نهاية الأَرب» والقلقشندي صاحب «صبحِ الأَعشى» مشهوران شهرةً كبيرةً في تاريخ الأدب العربي وفي العالم الإسلامي وعند المستعربين بسبب كتابَيْهِما المذكورين، وهما من مِصْرَ كِنَانةِ الله في أرضه مِصْر الأَزهر الشريف الجامعة الإسلامية التي انتفع بها المسلمون أكثر من ألف عام وهي أيضاً بلد الدكتور محمد سَيف النصر مدرس التاريخ الإسلامي الذي لم يُفَرِّقْ بين هاذَين العالمين، ولا بين مؤلفيهما ولا بين وفايتهما. ونتركُ للقاريءِ الكريمِ الحكم عليه. فإذَا كان يجهلُ ــ وهو مدرسُ التاريخِ الإسلامي ــ الفرقَ بين شهابِ الدين النُوَيْري صاحبِ نهايةِ الأَرب وبين القَلْقَشَنْدي صاحبِ صُبحِ الأعشى فكيف به وهو يتصدى للكتابةِ عن تاريخِ المدارسِ الإسلامية في اليمن، وهو موضوع شحيحُ المصادر لم يسبِق لأحدٍ أن تناوَلَه بالدراسة والتأليفِ قبل كتابي «المدارس الإسلامية في اليمن». ولا شكَّ أن النتيجةَ ستكونُ ظلماتٍ بعضِها فوقَ بعضٍ ، وأي ظلماتِ أحلكُ من الظلماتِ التي تخبَّط في دَيَاجِيرها الدكتورُ النصر سامحه الله .

ومع ما وقع فيه مدرسُ التاريخ الإسلامي الدكتور النصر من الخلط والخبط فإنه لا يوجد في «صُبح الأعشى» ولا في «نهاية الأرب» ذكر للعباس بن علي بن رسول بهذا اللفظ، كما لا يوجد فيهما، ولا في المراجع التي ألحقها الدكتور النصر بـ «صبح الأعشى» وهي «ثغر عدن» ٢/١٣٩ و«قرة العيون» ٢/٦٧، ٩٤ ذكر لهذه المدرسة التي زعم أنها في تَعِزَّ مطلقاً . والمصدر الوحيد الذي ذكرها هو «المدارسُ الإسلامية في اليمن» نقلاً عن مصدرٍ وحيد وفريد هو «الوقفيةُ الغسَّانية» كما ليس في المرجعين ذكرٌ لمكان هذه المدرسة بتاتاً.

ذكر الدكتور النصر ــ في صفحة ١٠٤ ــ عند ذكره للعناصر المكونة للمدارس اليمنية ــ: مدرسة الشيخ عبد الملك بن عبد الوهاب في رداع، مع أنه لا وجود لها في عصرنا. وذكر بعض التشابه بين بعض المدارس فقال: (نرى ذالك في المدرسة المعتبية، وكما كانت المدرسة الظاهرية في تعزَّ ، ونراه أيضاً في المدرسة العامرية في رَداع، والعامرية (وهي المنصورية وليست العامرية) في جُبَن، ومدرسة الشيخ عبد الملك بن عبد الوهاب في رداع) فتأمل أيها القارىء الكريم ــ أعانك الله وأمدك بالصبر ــ هذا النسيجَ الغريبَ من الكلام المتنافر، فالمدرسة الظاهرية في تعز قد خربتْ منذ نحو مئةِ سنة أو أكثر وبَيَّنتُ في كتابي سبَبَ خرابها، وأمَّا مدرسة الشيخ عبد الملك بن عبد الوهاب في رداع فقد هُدِمَتْ في أعقاب زوال دولة بني طاهر في المئة العاشرة للهجرة أو بعدها فلا وجود لها حتى تكون نمطاً يقاس بها أو تقاس بغيرها. ثم كرر ذكرها ــ في صفحة ١٠٨ ــ فقال: (وإلى هذا النموذج من التخطيط (لا ندري أي نموذج يقصد به الدكتور النصر) تنتمي أيضاً مدرستان: هما المدرسة الأسدية في إبّ ، والتي أنشأها الأمير أسد الدين محمد بن الأمير بدر الدين المتوفي عام (٦٧٧هـ ــ ١٢٧٨/١٢٧٩م) ومدرسة الشيخ عبد الملك بن عبدالوهاب المتوفي سنة (٨٥٠هـ ــ ١٤٤٦م) فكيف ربط الدكتور النصر بين المدرسة الأسدية وهي من بداية العصر الرسولي وبين مدرسة الشيخ عبد الملك بن عبد الوهاب وهي من آخر العهد الطاهري مع أن بين طراز المدارس في عهد بني رسول وطراز المدارس في عهد بني طاهر بَوْناً شاسعاً ومن هو في شَكٍّ مما قلتُ

فلينظر إلى ما بقي من المدارس الرسولية مثل الأشرفية والمعتبية في تعز وإلى ما بقي من المدارس الطاهرية وهي العامرية في رَدَاع والمنصورية في جُبن يَرَ الفرقَ جلياً واضحاً ، بل ربما يحكم بأنه لا توجد صلة مَّا بين العهدين في مدارسهما.

كذالك فإن الدكتور النصر غلط غلطاً فاحشاً في تاريخ وفاة الشيخ عبد الملك بن عبد الوهاب فذكر أنه سنة (٨٥٠هـ ــ ١٤٤٦م) والصحيح أنه توفي مقتولاً في أحد أبواب مدينة صَنْعاء سنة ٩٢٣ قبل مقتل أخيه السلطان عامر بن عبد الوهاب بيومين أو ثلاثة أيام فقط فأين سنة ٩٢٣ من سنة ٨٥٠ التي لا ندري من أين أتى الدكتور النصر بهذا التاريخ؟ مع أن الشيخ عبد الملك لم يكن قد ولد في هذه السنة سنة ٨٥٠.

تعرض الدكتور النصرُ ــ في صفحة ١١٦ ــ إلى ذكرِ المدرسةِ المنصورية العليا (شكل ٩) فقال: (من المدارس الصُغرى أنشأها السلطانُ المنصور عمرُ بن علي بن رسول حوالي منتصفِ القرنِ السابع هجري، القرن الثالث عشر ميلادي، وقد رمز الدكتور النصرُ للتاريخين بـ (ق٧هـ-١٣م) وهذا غيرُ صحيحٍ على الإطلاق ولو تأَمَّلَ وتَدَبَّر وفكَّر ، ثم فَكَّر وقدَّر لعرف أنه وقع في مَأْزَقٍ حَرِجٍ نتيجةَ عدم الفهمِ لما ينقل مما قرأه وما أشبهه بِكَيْسَان مُسْتَمْلِي أبي عبيدة ؛ فقد روى عنه أنه كان يكتُب غيرمَا يسمَع ، ويقرأ غيرَ ما يكتبُ ، ويفهم غيرَ ما يقرأ . فهذه المدرسةُ التي ذكر الدكتورُ النصر أنها المنصوريةُ العُليا للسلطانِ المنصور عمَر بنِ علي بن رسول هي المدرسةُ العلويةُ لعمر بن علي العلوي الحنفي، وليست المنصوريةَ العُليا، فالمدارسُ التي بناها الملك المنصور عُمر بن علي بن رسول قد خربتْ كُلُّها ولم يَبْقَ منها حجرٌ على حجر منذ وقتٍ طويل، ولا يمكن أن تكونَ المدرسةُ العَلوية رقم ٩ بأي حالٍ من الأحوال هي المدرسةَ المنصوريةَ لعمر بن علي بن رسول، فالمدارسُ المنصورية ربما تُشْبِهُ في الضَّخامة جامع الملك المظفر ابن الملك المنصور في تَعِزّ وتشبهَ أيضاً المدرسةَ الأسديةَ في إبّ ، وقد بُنيتَا في عصرٍ واحد ، وهو المئةُ السابعةُ ، بعدَ مقتلِ الملك المنصور عُمَر بن علي بن رسول في الجند.

ذكر الدكتورُ النصرُ ــ في صفحة ١٠٢ ــ أنَّ السلطانَ الناصر أحمد بن الأشرف اسماعيل (هو آخرُ سلاطين ملوك بني رسول) وهذا من أخطاء الدكتور النَصْرِ، بل هو دَليلٌ ساطعٌ على أنه لم يفهم تاريخ ملوك بني رسول إن كان قد قرأ شيئاً منه ولو كان على دراية به ومعرفة لعلم أن الظّاهر يحيي بن الأشرف، وهو صاحبُ المدرسةِ الظّاهرية في تَعِزّ التي تحدث عنها فيما مضى، وصوّبت ما وقع فيه من خطإٍ حولها. قد خَلَفَ أخاه الملكَ الناصرَ في الحكم ثم خَلَف من بعدِه ملوك صغارٌ من بني رسول.

نشر الدكتور النصرُ في صفحة ١٣٤ صورةً لجامعِ الملكِ المظفر وكتب تحته: (لوحةَ (١) المدرسة المظفرية الواجهة الشمالية تَعِز) وهذا وهمٌ كبير وقع فيه الدكتورُ (رِكْس سمِيث) فَظَنَّه الدكتورُ النصرُ نَصْراً للعلم فنسبه إليه، مع أنه لو تأملَ ما كتبته حولَ المدرسة المظفرية بِتَرَوٍّ وإمْعَانٍ وفَهْمٍ لعرفَ أنها كانت في مَغْرَبة تَعِزّ، وليست في مدينة تَعِزّ نفسها، وأنها قد خربتْ منذ عهدٍ طويل، فحُمِلَ من أنْقاضِها الحَجرُ المزبورُ عليه اسمُ المدرسة المظفرية، وثُبِّتَ في جدارِ الباب الغربي لجامع الملك المظفر في تعز، والذي كان يُعْرَفُ أيضاً بجامعِ ذِي عُدَيْنَة، حتى لايتعرضَ ذالك الحجرُ للكسر والضياعِ فظن الدكتورُ (سِمْيث) من قراءته لهذا النقشِ أنَّ هذا الجامعَ هو المدرسةُ المظفرية بعينها.

ومن الأخطاءِ التاريخية التي وقع فيها الدكتورُ النصرُ ما ذكره ــ في صفحة ٩٩ ــ حيث قال: (وتكونت في اليمن دُوَلٌ شيعية قوية (تأمل) استطاع بعضُها أن يسيطرَ على مناطقَ واسعةٍ كان أهمها وأكثرها قوة الدولةُ الصليحية التي دعت إلى المذهب الاسماعيلي، واستطاعت أن تُسَيْطِرَ على اليمنِ كلِّه سهلهِ وجبلهِ بَرِّه وبَحْرِه قرابةَ قرنٍ من الزمان (٤٣٩ ــ ٥٣٢هـ ــ ١٠٤٧ ــ ١١٣٨).

هذه هي عبارةُ الدكتور النصر التي ذكر أن مرجعه فيها كتاب «ظهور خلافةِ الفاطميين وسقوطها في مصر» للدكتور عبد الماجد عبد المنعم بِنَصِّها وفصِّها وأنا لم أطلع على هذا الكتاب حتى أَتَأَكدَ من صحة ما نقله عنه الدكتورُ النصرُ لأن في تلك العبارة تَجَاوُزاً للحقيقة، وبُعْداً عن الواقع، ولو أن الدكتور النصر رجع إلى

المصادرِ الأصلية التي اعتمد عليها الدكتورُ عبد الماجد عبد المنعم مثل كتاب «المفيد في تاريخ صنعاء وزَبيد» لعمارة اليمني لعرف أن المدةَ التي سيطرتْ فيها الدولةُ الصُلَيْحِيَّة على اليمن كله سهلهِ وجَلَبه بَرِّه وبَحْرِه لا تتجاوزُ أربعَ سنواتٍ فقط وهي السنواتُ الأخيرةُ من حكمِ الداعي علي بن محمد الصليحي وهذا الكتابُ موجودٌ في المكتبات، وموجودٌ أيضاً في المكتبات الخاصة والعامة؛ فقد قال عمارة اليمني: (ولم تخرج سنةُ خمسٍ وخمسين وما بقي عليه ــ أي على الداعي علي بن محمد الصُلَيْحِي ــ من اليمن سهلٌ ولا وَعْرٌ ولا بَرٌّ ولا بَحر إلا فَتَحه ، وذالك أَمْرٌ لم يُعْهَدْ مِثْلُهُ في جاهليةٍ ولا إسلام) فتأمل أيُها القاري الكريم كيف دِقَّةُ كلامِ العالمِ المؤرخِ عُمَارة اليمني، ثم قُتِلَ علي بن محمد الصليحي سنة ٤٥٩ فانتقضت جهاتٌ كثيرةٌ من اليمن على من خلف هذا الحاكم من بني الصليحي وهو ابنه أحمد بن علي الصليحي. وكان على الكاتب الحصيف الأمين أياً كان أن يكون تعبيره أدق كأن يقول حكمُ الدولةِ الصُلَيْحِيَّة على اليمن قرابةَ مئةِ عام) بدلاً من عبارة الدكتور التي تَدُلُ على أنَّ الدولةَ الصُلَيْحيَّة حكمت اليمَن كلَّه سهلَّه وجبلَه بَرَّه وبَحْره قرابةَ قرنٍ من الزمان، بينما هي أربعُ سنواتٍ فقط ، لكن الوجودَ الصُليحي ظل قائماً قرابة مئة عام ، ولكن لا يحكم من اليمن إلا بعضَه .

ذكر الدكتور النصرَ في صفحة ١٠١ أنَّ المظفرَ حسناً تُوفي في حياة والدِه الملك المؤَيَّدِ ، وأنه دُفِنَ في مدرسته المظفرية، والصحيح في ذالك أنه دُفِن في المدرسة المؤيَّدِيَّة مدرسةِ والده.

وذكرَ في صفحة ١٠٧ أن الملكَ المُؤَيد دُفِن في المدرسة المظفرية في حي المَحَارِيب. والصحيح في ذالك أنه دُفِنَ في مدرسته المؤيدية، كما بينتُ ذالك في كتابي «المدارس الإسلامية في اليمن».

هذا ما عَنَّ لي ذكْرُه تعقيباً على الدكتور محمد سيف النصر مدرس الآثار أو التاريخ الإسلامي في كلية الآداب في جامعة صنعاء ، ولو أردتُ الاستقصاءِ لما جاء في كتابه من أخطاءٍ تاريخية، وما فيه من عباراتٍ وألفاظ استعملها في غير موضعها، ومافيه من اضطراب في ذكر التواريخ لضاق المجال، ولزاد حجمُ

التّعقيبِ على الأصل المعقب عليه، ولكن حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق.

وأما بعد فإنه لما ظهر مقال الدكتور النصر المذكور في مجلة «الاكليل» وقرأته اتصلتُ (بكلية الأداب) أسأل عنه لأني أحببت أن أراه وبعد يومين أو ثلاثة أيام من ذالك الاتصال إذا برجلٍ يدخل إلى مكتبي فسلم ودنا مني ومدّ يده مصافحاً فقمت كعادتي هاشاً باشاً مرحباً بمن أقبل ، فعرفني باسمه، فإذا صاحبُنا الدكتور محمد سيف النصر فأخذتُ أعتُب على ما فَعل، وذكرتُ له بعضَ الأخطاء الجسيمة التي تضمنها مقالُه ، فأخرج من حقيبة يده مجلة «الاكليل» ليطلعني على ما كتبه من إشادة بكتابي في أول هامش من هوامش مقاله، فقلت له ما معناه: إنني وكتابي غيرُ محتاجَيْنِ لثناءِ الناس وأراد أن يسترسلَ في كلامه ليبرهن على أنه انتفع بكتابي، فقلت له: لقد سطوت على أبحاث العلماء والدارسين ونشرتها باسمك، فقال: لقد زرتك بعد وصولي إلى صنعاء قبل أربع سنوات، ورجوتك مساعدتي بصورٍ من نسخ تقارير بعثات الآثار لأنتفع بها في دراساتي، ولكنك رفضت إعطائي شيئاً من ذالك، وساعَتئِذٍ تَذَّكرته وتذكرتُ أيضاً أنني قلت له: إذهب بنفسك إلى أي مكان تريد زيارته، وعلينا تسهيلُ وصولك إلى ذالك المكان، واعمل مثل عمل هؤلاء الباحثين وجدَّ واجتهد، وأرِنَا نتائج أبْحاثك، فربما تنجحُ أكثرَ من هؤلاء الباحثين لأنَّ لسانَك العربي قادر على فهم سكان المناطق التي سترتادها أكثر مما يفهمهم المستعربون أما أن أعطيك نتائج أبحاث قومٍ جَدُّوا وكَدُّوا وتعبوا في سبيل المحصول عليها وأعطيكها بيُسرٍ وسُهولة فهذا أمر مستحيل ويظهر أنها لم ترق له هذه النصيحةُ المخلصة فخرج من عندي ولسانُ حاله يقول: سأحصل على ما أريد من أقربِ الطرق وأيسرها. وقبل أن ينصرف أراد أن يستوضح مني أكثرها عما أنكرت من مقاله؟ فقلت له: لا داعي للعتاب والنقاش، فقد سبق السيفُ العَذَلَ، وستقرأ رَدِّي على ما كتبت قريباً وكنت قد كتبت تعقيبي على مقاله وسلمته للأستاذ مظفر تقي وكيل وزارة الإعلام لقطاع الثقافة لنشره في مجلة «اليمن الجديد» التي تصدر شهرياً عن وزارة الإعلام حتى يُنْشَرَ قبل عودة الدكتور النصر إلى مصر لينتفع به. ←

أبو الطيب المتنبي شاعر المبالغة في الشعر العربي

١ ــ المبالغة قبل عصر المتنبي : الدارس المتأمل لمبالغات المتنبي يلاحظ أن المبالغة عند المتنبي لم تكن صفة خاصة به، بل انها بلغت على يديه حدها الأعلى في تطور متصاعد بدءاً من أبي نواس وتثنية بأبي تمام وأخيراً إلى أبي الطيب، الذي أصبح الشاعر الأوفر شعراً والأكثر إغراقاً ، فلماذا أصبح أبو الطيب المتنبي شاعر مبالغة وكيف استولت المبالغة على شعره ؟ لاشك أن الجواب على ذالك يمر عبر عرض للمبالغة مروراً بالعصور الأدبية ووقوفاً على اشعار أستاذي المتنبي فيها أبي نواس وأبي تمام .

ومن الحق أن نقرر أن المبالغة لم تكن وليدة العصر العباسي، ولا سمة لأبي الطيب، إنما كانت معروفة في العصور الثلاثة: الجاهلي ــ وصدر الإسلام ــ والأموي ، يقولها الشعراء ويتغنى بها المنشدون، دون أن يبدو استهجاناً صريحاً ، أو استنكاراً شديداً .

وقديماً نقد الأولون قول مُهلهل[1]:

← وبعد ظهور تعقيبي زارني أحد الأفاضل من الأساتذة المصريين من قسم الآثار وأبدى لي استياءه مما ارتكبه الدكتور النصر من أخطاءٍ ، وذكرني أن الدكتور يوسف عبدالله قد عاتب الدكتور النَصر وأنه هو أيضاً قد عاتبه.

صنعاء　　اسماعيل بن علي الأكوع

الهوامش:

(١) سعى الدكتور محمد سيف النصر عن طريق أحد طلابه للحصول على صورة لهذه الوقفية فصوَّرها له وقد بدأ الدكتور النصر يحققها مستعيناً بأحد الأساتذة في كلية الأداب من أبناء اليمن ليشرح له المصطلحات اليمانية والألفاظ الغريبة. نرجو له التوفيق والنجاح.

وَلَوْلَا الرِّيْحُ أَسْمَعَ مَنْ بِحَجْرٍ صَلِيْلُ ٱلْبَيْضِ تُقْرَعُ بِالذُّكُورِ

وقول الآخر[٢]:

أَلَا إِنَّمَا غَادَرْتِ يَا أُمَّ مالِكٍ صَدًى أَيْنَمَا تَذْهَب بِهِ الرِّيْحُ يَذْهَبِ

وقول عنترة[٣]:

وَأَنَا ٱلْمَنِيَّةُ فِي ٱلْمَواطَنِ كُلِّهَا وٱلْمَوْتُ مِنِّي سَابِقُ الأَجَالِ

وقول الأعشى[٤]:

لَوْ أَسْنَدَتْ مَيْتاً إِلَى نَحْرِهَا عَاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إِلَى قَابِرِ

ولم تكن المبالغة في العصر الجاهلي وحده، بل جاءت أيضاً في عصر صدر الإسلام، ولكنها كانت قليلة، ومن ذالك قول النَّمر بن تَوْلِبَ[٥]:

يَظَلُّ يَخْفِرُ إِنْ ضَرَبْتَ بِهِ بَعْدَ الذِّرَاعَيْنِ والسَّاقَيْنِ وٱلْهَادِي

وقول النابغة الجعديِّ[٦]:

بَلَغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وجُدُودُنَا وإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَالِكَ مَظْهَرَا

وقول تَميم بن مُقْبِل[٧]:

وَلَوْ كُحِلَتْ حَوَاجِبُ خَيْلِ قَيْسٍ بِكَلْبٍ بَعْدَ تَغْلِبَ مَا قَذِيْنَا

ووردت أيضاً في عصر بني أُمية ومن ذالك قول هُدْبَةَ بنِ خُشْرُمٍ :

بِإِجَّانَةٍ فَيْحَاءَ لَوْ خَرَّ بَازِلٌ مِنَ ٱلْبُخْتِ فِيهَا ظَلَّ لِلْجَنْبِ يَسْبَحُ

وقول ابن ميادة :

وَلَوْ أَنَّ قَيْساً قَيْسَ عَيْلَانَ أَقْسَمَتْ عَلَى الشَّمْسِ لَمْ تَطْلُعْ عَلَيْهَا حِجَابُها

وقول الطِّرِمَّاح :

وَلَوْ أَنَّ بُرْغُوثاً عَلَى ظَهْرِ نَمْلَةٍ يَكُرُّ عَلَى صَفَّيْ تَمِيْمٍ لَوَلَّتِ

وقول الفرزدق[٨]:

لَعَمْرُكَ مَا ٱلْأَرْزَاقُ حِينَ احْتِفَالُهَا بِأَكْثَرَ خَيْراً مِنْ خِوَانِ ٱلْغَذَافِرِ
وَلَوْ ضَافَهُ الدَّجَّالُ يَلْتَمِسُ ٱلْقِرَى وَحَلَّ عَلَى خَبَّازِهِ بِٱلْعَسَاكِرِ
بِعِدَّةِ يَاجُوجٍ وَمَاجُوجَ كُلِّهُمْ لأَشْبَعَهُمْ يَوْماً غِذاءُ ٱلْغَذَافِرِ

تلك المبالغات القليلة الفطرية أصبحتْ في العصر العباسي كثيرة، موغلة في الإغراق، ذالك أنَّ المبالغة منذ العصر العباسي استحالت ذوقاً أدبياً عاماً يستحسنه الشاعر، ويعجب به الناقد، ويطرب له الممدوح.

وقصة أبي تمام مع الفيلسوف الكنديِّ ، وإنكار الكندي الصدق في الكلام ، ودعوته إلى [عدم] مجانبة القصد مثل معروف في هذا المقام.

وهذه المبالغات القليلة الفطرية، نجدها أصبحت في العهد العباسي، كثيرة معقدة.

٢ ــ المبالغة من أبي نُوَاس إلى أبي تمام : يأتي أبو نُوَاسٍ أولاً في مضمار المبالغة والإغراق ، ولم يشتهر أحد قبل أبي نواس بكثرة المبالغات وبعدها عن الواقع، وهو بذالك يُعَدُّ من أوائل من مَهَّدُوا سبل المبالغة[٩] وعبدوا طرقها، حتى أتى بعده أبو تمام والمتنبي وابن هانيء .

وَعُنِيَ أَبُو نُوَاسٍ بإبراز الممدوحين بصورة الجلال والقداسة، وبالغ في ذالك حتى عَدَا مرحلة المبالغة إلى الكذب الصراح، والكفر البواح، وأتى بما يمجه الطبع، وينفر منه الذوق[١٠]، كقوله الهجين :

وَأَخَفْتَ أَهْلَ الشِّرْكِ حَتَّى أَنَّهُ لَتَخَافُكَ النُّطَفُ الَّتِي لَمْ تُخْلَقِ

وقوله[١١]:

تَنَازَعَ ٱلأَحْمَدَانِ الشِّبْهَ فَاشْتَبَهَا خُلْقاً وخَلْقاً كَمَا قُدَّ الشِّرَاكَانِ
اثْنَانِ لَا فَصْلَ لِلْمَعْقُولِ بَيْنَهُمَا مَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ وَٱلْعِدَّةُ اثْنَانِ

ومن المديح إلى الوصف بخاصة نعتُ الخمرة[١٢]:

اسْقِنِيْهَا سُلاَفَةً سَبَقَتْ خَلْقَ آدَمَا
فَهْيَ كَانَتْ وَلَمْ يَكُنْ مَا خَلاَ الأَرْضَ والسَّمَا

وقوله في وصف القدر:

يَعَضُّ بِحَيْزُومِ الْجَرَادَةِ صَدْرُهَا وَيُنْضِجُ مَا فِيْهَا بِعُودِ خِلاَلِ
وَتَغْلِي بِذِكْرِ النَّارِ مِنْ غَيْرِ قُرْبِهَا وَيُنْزِلُهَا عَفْواً بِغَيْرِ جعَالِ

غير خفيٍّ أَنَّ أبا نواس اتَّبَعَ المبالغة لإرضاء عواطف الخلفاء وخاصة الذين كانوا يتهالكون على المديح، ولا يرى بعضهم منكراً أَنْ يُمْدَحَ بما تُمدح به الأنبياء، فوجد أبو نُوَاسٍ من طاعة الخليفة ما دفعه إلى عصيان سلطان الفن الخالص والاستخفاف بدينه.

أَضِفْ إلى ذالك رقة الدين، وفساد العقيدة، وقد كان عصره عصراً كثرتْ فيه الزندقة والالحاد بالدين.

ولم يُعْنَ شاعر بالمبالغة بعد أبي نواس قدر عناية أبي تمام بها، فقد دخلت المبالغة شعر أبي تمام في كافة فنونه وأغراضه، من مديح إلى غزل، إلى رثاء، فهجاء، ووصف.

فمن المديح قوله(١٦):

سَأَحْمَدُ نَصْراً مَا حَيِيْتُ وَإِنَّنِي لأَعْلَمُ أَنْ قَدْ جَلَّ نَصْرٌ عَنِ الْحَمْدِ

وقولــه:

وَلَوْ كَانَتْ يَمِيْنُكَ أَلْفَ بَحْرٍ يَفِيضُ لِكُلِّ بَحْرٍ أَلْفُ نِيْلِ

وقولــه:

أَمْطَرْتَهُمْ عَزَمَاتٍ لَوْ رَمَيْتَ بِهَا يَوْمَ الْكَرِيْهَةِ رُكْنَ الدَّهْرِ لاَنْهَدَمَا

ومن غلوه في الرثاء قوله:

لَوْ كَانَ لِلْجَبَلِ الْمُعَظَّمِ رِيْشَةٌ مَا شَكَّ خَلْقٌ أَنَّهُ سَيَطِيْرُ

وَأَرَى نَكِيْراً صَدَّ عَنْكَ وَمُنْكَراً ظَنَّا بِأَنَّكَ مُنْكَرٌ ونَكِيرُ

ومن احالته في الغزل قوله :

كَوَائِنُ ٱلْحُبِّ قَبْلَ كَوْنِكَ فِي أَفْئِدَةِ ٱلْعَاشِقِيْنَ لَمْ تَكُنِ

وله في الهجاء :

أَفِيَّ تَنْظِمُ قَوْلَ الزُّوْرِ وٱلْفَنَدِ وَأَنْتَ أَنْزَرُ مِنْ (لَا شَيْءَ) فِي ٱلْعَدَدِ؟

وله في الشكوى[١٧]:

بِيَوْمٍ كَطُولِ الدَّهْرِ فِي عَرْضِ مِثْلِهِ وَوَجْدِيَ مِنْ هَذَا وهذاكَ أَطْوَلُ

وإذا تأملت مبالغات أبي تمام رأيت فيها ظاهرتين: أَنَّ الغرض من المبالغة فني، أدبي، وأَنَّ فيها خروجاً إلى المحال مما لا يمكن تصوره لا عقلا ولا عادة كقوله:

أَفِيَّ تَنْظِمُ قَوْلَ الزُّوْرِ وٱلْفَنَدِ وَأَنْتَ أَنْزَرُ مِنْ (لاشيءَ) فِي العَدَدِ ؟

وإن تلتمس أسباب هذه المبالغة عند أبي تمام تَبْدُ لك نزعةُ أَبِي تمام إلى التجديد، فقد كان رائد التجديد في الشعر، يحاول زعزعة عمود الشعر الذي تمسك به المحافظون .

وهو حين يجدد يذهب مَذْهَبَ أهل الفكرة والفلسفة في شعره، ويتطلب الألوان ويتصيد المعاني، فإذا لم يظفر بمعنى جيد حاول أن يأتي بصنعة لفظية، وكان البديع والغوص على أنواعه، ووشيه، من دثار هذا المذهب وشعاره، وكانت المبالغة أَهَمَّ أُسُسِهِ ، وهذا ما لاحظه الناقدون الأقدمون عليه فقالوا : إنه يريد البديع، فيخرج إلى المحال[١٨].

ولثقافة أبي تمام العريضة العميقة، واطلاعه على فكر أمم شتى كاليونان وفارس نَمَا عنده هذا الميل وساعَدَهُ على أن يذهب فيه كل مذهب.

٣ ــ مبالغة المتنبي من الكثرة إلى الاغراق : لم يبلغ شاعر من شعراء العرب ما بلغه المتنبي من الإفراط والغلو والمبالغة سواء في الكثرة أم في الإغراق والغلو ،

والبعد عن القصد[١٣]، وقد كان بعض الشعراء يقصر مبالغاته على المديح أو الفخر، لكن المتنبي عمم هذه المبالغة في جميع ألوان شعره، فأنت واجدها في المديح، كما تجدها في الغزل والهجاء حتى لتوشك أن تكون طابعاً مميزاً له ، وكثير من هذه المبالغات يعتبرها المتنبي نمطاً من التوشية يوشّي بها شعره بطرق ملتوية فيها التصنع والتكلف[١٤].

ومن مبالغاته في المديح السينية التي يقول فيها :

لَوْكَانَ ذُو الْقَرْنَيْنِ أَعْمَلَ رَأْيَهُ مَا انْشَقَّ حَتَّى جَازَ فِيه مُوسَى

وأكثر مبالغاته في المديح، وبعده يأتي الفخر، ومن غلوه فيه قوله:

أَيُّ مَحَلٍّ أرتقي ؟ أَيُّ عَظْيم أَتَّقِي ؟
وكُلُّ مَا قَدْ خَلَقَ اللّـ ـه وَمَا لَمْ يَخْلُقِ
مُحْتَقَرٌ في هِمَّتِي كَشَعْرَةٍ في مَفْرِقِي

والغزل أيضاً لم يخل من هذا اللون كقوله :

كَفَى بِجِسْمِي نُحُولاً أَنَّنِي رَجُلٌ لَوْلَا مُخَاطَبَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَرَنِي

ولأن أبا الطيب لا يجيد الغزل، فإنه يلجأ إلى المبالغة لتغطية ضحالة الشعور وكذب العواطف، وانظر لقوله:

ذِرَاعَاهَا عَدُوًّا دُمْلُجَيْهَا يَظُنُّ ضَجِيْعَهَا الزَّنْدَ الضَّجِيْعَا

فهل هذه صورة محبوب أم جاموس، وقوله[١٥]:

وَلَوْ جَلَمٌ أَلْقَيْتَ فِي شِقِّ رَأْسِهِ مِنَ السُّقْم مَا غُيِّرْتَ فِي خَطِّ كَاتِبِ

وفي الوصف قوله :

وضَاقَتِ الْأَرْضُ حَتَّى كَانَ هَارِبُهُمْ إِذَا رَآى غَيْرَ شَيْءٍ ظَنَّهُ رَجُلَا
فَبَعْدَهُ وإِلَى ذَا الْيَوْمِ لَوْ رَكَضَتْ بِالْخَيْلِ فِي لَهَوَاتِ الطِّفْلِ مَا سَعَلَا

وليس هذا مجال عرض لمبالغاته إنما هو الإشارة إلى شمولها كافة الأغراض.

٤ ــ روافد المبالغة في شعره : والمتنبي يستمد مبالغاته من مؤثرات وطوابع دينية، وأخرى اجتماعية، وثالثة ثقافية، وأثر هذه الروافد في شعره واضح للعيان فأنت واجد في شعره الرافد الديني ممثلاً بألفاظ المتصوفة، وألفاظ أخرى شيعية غالية[١٩].

وانظر المصطلحات والأساليب الصوفية ضمن المبالغة في قوله:

كَبُرَ ٱلعِيَان عَلَيَّ حتى أَنَّهُ صَارَ ٱليَقِينُ عَنِ ٱلعِيَانِ تَوَهُّمَا

وقوله :

وَبِهِ يُضَنُّ عَلَى ٱلبَرِيَّةِ لَا بِهَا وَعَلَيْهِ مِنهَا لَا عَلَيْهَا يُوْسَى

وقوله :

وَلَوْلَا أَنَّنِي فِي غَيْرِ نَوْمٍ لَكُنْتُ أَظُنُّنِي مِنِّي خَيَالَا

وقوله :

نَحْنُ مَنْ ضَايَقَ الزَّمانُ لَهُ فِيـ ـكَ وخَانَتْهُ قُرْبَكَ ٱلأَيَّامُ

يقول الصاحب بن عبَّادٍ في هذا البيت: لو وقع في عبارات الجُنيد والشبلي لتنازعته الصوفية دهراً بعيداً[٢٠].

ومثلما كان المتنبي شديدَ الولوع بألفاظ أهل التصوف، كان شديد التوقان إلى الاستخفاف بأمر الدين، وتناول الموضوعات المقدسة بأُسلوب فيه الهزْءُ وفيه رقةُ الدين[٢١]. كقوله :

إِنْ كَانَ مِثْلُكَ كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنٌ فَبَرِئْتُ حِيْنَئِذٍ مِنَ ٱلإِسْلَامِ

وقوله :

وأَكْبَرُ آيَاتِ التَّهَامِيِّ أَنَّهُ أَبُوكَ ، وإِحْدَى مَالَكُمْ مِنْ مَنَاقِبِ

وقولــه :

والنَّــاسُ كَــالْعَــابِــدِيْـنَ آلِهَــةً وعَــبْــدُهُ كَــالْمُــوحِّــدِ الله

وقوله :

وُنُصِفْي الَّذِي يُكْنَى أَبَا ٱلْحَسَنِ ٱلْهَوَى وَنُصْفِي الَّذِي يُسْمَى الإِلٰه وَلَايُكْنَى

وقولــه :

يَتَــرَشَّفْـنَ مِنْ فَـمِي رَشَـفَـاتٍ هُنَّ فِيـهِ أَحْـلَى مِنَ التَّــوْحِيْـدِ

وفساد الدين ــ كما يقول صاحب «اليتيمة» ــ ليس عيباً فنياً على الشعراء وليس سوء الاعتقاد سبباً لتأخر الشاعر، ولكن الإسلام له حقه من الإجلال والإحترام، بحيث لا يسوغ الإخلال به قولاً أو فعلاً[٢٢].

بَلْهَ إنَّ الخروج عن حدِّ الدين أفضى إلى مبالغات ممقوتة ينفر منها الذوق، وتمجها الأسماع، ويبرأ منها الفن، وتنكرها الطباع السليمة، والفطرة العربية.

وكما التجأ الشاعر إلى أهل التصوف يأخذ منهم أساليبهم وتعبيراتهم عرج على غلاة أهل التشيع ليقتبس من مناهجهم حتى ليحس القارئ أنَّ الشاعر حين يمدح أحياناً يمدح إمَاماً من أئمة الشيعة، أو نقيباً من نقبائهم، يذهب في الغلو فيه كل مذهب[٢٣].

والسينية أظهر مثل لتصوير منزع التشيع وأخذه مأخذهم وفيها يقول:

بَشَرٌ تَصَــوَّرَ غَــايَــةً فِي آيَــةٍ تَنْفِي الـظُّنُونَ وتُفْسِـدُ التَّقْدِيْسَـا
وبِـهِ يُضَـنُّ عـلى ٱلْبَـرِيَّـةِ لَابِهَـا وَعَلَيْـهِ مِنْهَـا لَاعَلَيْهَـا يُـوسَى

٥ ــ الأسباب الشخصية لإغراق المتنبي : كثرت مبالغات المتنبي ، وبلغت كل مذهب في البعد، وامتزجت في كل غرض من أغراض هذا الشعر، وكان لها أسباب دعتْ إلى هذا اللون الذي أُعْجِبَ به الشاعر، وسلك نهجه فيه غير مقتصد، ولا كاف عن بعض مكروهه.

وأول تلك الأسباب تقليد الشاعر لشعراء القرن الثالث، الذين كَلِفُوا بالبديع، وامعنوا في الغوص عليه، متفننين متجاوزين، وقد عُنُوا بالمبالغة خاصة[٢٤]، وكان من أظهرهم أبو تمام.

وأيضاً ما شاع عند بعض النقدة المتقدمين من الدعوة إلى المبالغة، وقد تبنَّى هذا التيار قدامةُ بن جعفر وغيره، ممن كانوا مناصرين للمبالغة مؤثرين للغلو على الاقتصاد في القول[٢٥].

ومنها ما يُرْمَى به المتنبي من قِرْمِطِيَّةٍ غالية[٢٦]، وهذا الزعم إنْ لم يَصْدُقْ على عَقِيدَتِه فقد تأثره في شعره، وشعره صورةٌ واضحة لِقِرْمِطِيَّةٍ تغَلْغَلتْ في الأعماق، وشيعية سرت فيه مسرى الدماء ، وإن يكن لم يعتنقها اعتناقاً فقد ارتشف من فلسفاتها رشفَاتٍ .

وسبب رابع، دراسة الشاعر لفلسفة أهل التصوف، وما في أساليبهم من غموض، وما في معانيهم من غلو[٢٧]، ولم يكن المتنبي صوفياً ، ولكنه كان يعرف الصوفية كما يعرفها أهل التصوف ، وما كأنه إلا قطب من أقطابهم.

هذه الأسباب خصوصية في المتنبي ذاته، وهي داخلة في الإطار الشخصي للحديث عن فنه وأدبه، ولكن أسباباً أخرى قد تكون أقرب إلى العموم، وهي أسباب تستمد وجودها من روح العصر والتركيبة الاجتماعية والنزعات الفكرية، والْأُطُرِ المعيشية، وسنتحدث عنها فيما يلي :

٦ ــ الأسباب العامة لشيوع المبالغة في عصر المتنبي : هناك أسباب عامة لشيوع المبالغة في شعر المتنبي بصفته نموذج الشاعر العباسي وممثلاً لعصره، بكل مافيه من بساطة وتعقيد، ونزعات، ونحل سياسية واجتماعية.

وأول ذالك الكذب العاطفي عند الشاعر الذي يفضي به إلى مسالك عُوج ، فالشاعر الصادق يقول ويوجز فيصب المحزَّ ، ولا يخطيء المفصل في أسلوب مقتصد ، وفكرة لا تكلف فيها.

أما حين يكذب الشاعر في عواطفه، فيمدح من لا يستحق إلا الذم، ويثني على من الصق به العيب، فشيء آخر ، إنَّ عاطفته لا تمده بروافد وخواطر يسكب فيها قوالبه، لأن ممدوحه ليس بذي خير كاثر، ولاصفات مثلى. بل جسد اشتمل على كثير من العيوب والموبقات، ولذلك فإن الشاعر لا يجد سنداً من الواقع يعضد دعواه، ويؤكد مذهبه، فيلجأ الشاعر إلى الخيال ليكمل الصورة، وإلى الكذب ليوضح الفكرة، فيقع في العيب، ويصل إلى مهلهل من الفكر، وركيك من المعنى، ذالك أنَّ البحث عن سبل التقرب من الحاكمين يُرْكِبُهُ مطيةَ الكذب المهيأة ، ومهرة النفاق المسرجة..

لذالك كثر الشعراء المنافقون الذين يتمسحون بأولئك الحاكمين ، ويرسمون لهم الصور الخيالية، وكلما ابتعد الممدوح عنها أكثر الشعراء وصفه بها ، حتى صار الشعراء موظفين كغيرهم، عينت لهم أوقاتٌ يدخلون فيها على الخلفاء وفرض لكل واحد عطاء ، يدفع إليه وافداً أو مادحاً[٢٨].

وكانت المنح والجوائز تنثال على الشعراء انثيالاً دون حساب أو تقدير، فكما أن الشعراء يعطون الحاكمين من المعاني والصفات ماهو فوق الواقع، وما لا يملكون الباسهم لبوسه، فكذالك نجد بعض الخلفاء أعطوا الشعراء ما هو فوق الحقوق وما يملكون وما لايملكون من أموال الشعوب[٢٩].

ولسنا بحاجة إلى أن نعلل ميل بعض الخلفاء والحاكمين إلى حض الشعراء ودعوتهم إلى المديح، فذالك يفضي بنا إلى الاسهاب، حسبنا أن نكرر أن الخلفاء دعوا إلى المديح والإطراء والتعظيم بكل الأساليب ، فأسروا بعطاياهم شعراء الحضر فنادموهم ودعوا شعراء البَدْوِ وأترفوهم، وبعثوا في طلب من لم يفد، فأجزلوا لهم العطايا حتى صنفوهم مراتب، ووضعوا لهم مرتبات سنوية، واختص كل وال كبير بطائفة من الشعراء يعطي فيقولون، لهذا كله أصبح الشاعر عاطلاً ، وعلى الرغم من ذالك فهو ذو قصور ودور وضياع، وأخيراً رأينا أن الخلفاء كانوا ــ إضافة إلى طربهم للمديح، واهتزازهم للثناء ــ يطلبون المبالغة، ويحضون عليها،

فما قيمة الكلام العادي المتداول المبتذل، إنهم يريدون معاني وصفات فوق المعقول ليرضوا غرورهم، وكبرياءهم ، وليخدعوا شعوبهم، وليقيموا لهم ذكراً حسناً في الناس[٣٠].

ولقد كان العصر العباسي عصر امتزاج مجتمعات، ومن ثم فهو عصر امتزاج ثقافات، وقد جاء العرب بالإسلام إلى أقوام شتى من سريان وفرس وكلدان وصابئة وأقباط ويونان وهنود، وكل أمة لها فلسفة وعقائد وثنية مشركة، فكان أن أَسْلمت أقوامٌ شتى منهم: من أسلم صادقاً وهم أكثر الناس، وبقيت فئة كافرة في السر والجهر، وخَفَتَ صوتُ الشك والإلحاد في العصر الأموي، لأن الدولة كانت عربية خالصة.

فلما جاء العصر العباسي وارتفع صوت الفرس واستطاعت العناصر الفاسدة أَنْ ترفع أبواقها، فكانت المجوسيةُ والراوندية اتباعُ أبي مسلم الخراساني ومن أبرزها حركة المقنع الذي نادى بتناسخ الأرواح، ودعى إلى هدم أركان الإسلام، ووجه المهدي له ضربة قاضية، فقتل كثيراً من أتباعه في المعارك، وأنشأ ديوان الزنادقة لمن خفي واستتر، وبذالك سكنت ريح عقيم طوال عهود المهدي والهادي والرشيد والأمين[٣١].

ومن أجل ذالك وجد بين الشعراء الاستهتار بقيم الدين، وشرائع الإسلام، فتحدث بعض الشعراء عن الدين مستخفين، وبشعائره مستهترين، ورأوا في أنبياء الله مثلاً يشبه بها الخلفاء ، وفي عظمة الله وصفاته وأسمائه ميداناً للاقتباس، فألبسوا ممدوحيهم من القداسة كل ملبس ونجد ذالك في شعر المتنبي.

وقد شاع شرب الخمر، وكثر صرعى الكؤوس حتى أن الشاعر الذي لا يشربها يضطر لوصفها ليجاري ذوق العصر، ويتصرف في أغراض الشعر، وكفى بذالك ذوقاً !!

هذا المجـون والفسوق دعيا إلى ازدراء كل مُثُلٍ ، والغض من كل فضيلة، والتباهي بكل رذيلة، حسب القاريء أن يقرأ «ديوان أبي نواس» أو «يتيمة الدهر»

ليعرف كم فسوق، وكم من استهتار بصلاة وهزء بصوم، وسخرية بعبادة.

تَمَدَّنَ المجتمع في عصر بني العباس، فاقتبس من أمم شتى أنظمة شتى، في الماكل والمشرب والملبس والمسكن، وسائر شؤون الحياة، وتدفقت الأموال فكثر النعيم وعم، وتغلغل الترف وشمل، لكن شموله وعمومه كانا مرتبطين في أحيان كثيرة بظل الحاكمين من كل جانب، وإن كانت فئات من الشعب يعيث فيها الجوع والفقر، وأصبح بعض الخلفاء والولاة والأمراء ينفرون من ذوق البدو الفطري، المبني على الصدق والقصد في المديح والوصف، فلا يريد الخليفة أن يمدح بأنه عظيم فحسب، بل يجب أن يفضل على الناس، ويقرن بالرسل، وذالك حسن الذوق ! وسلامة الفطرة !

لا نعجب إن رأينا عبد الملك بن مروان ينتقد عبيد الله بن قيس الرُّقَيَّاتِ في مديحه له :

يَـأْتَلِقُ التَّـاجُ فَـوْقَ مَفْـرِقِـهِ عَـلَى جَبِـيْنٍ كَـأَنَّـهُ الـذَّهَبُ

لأنه وصفه بالجمال، بينما وصف مصعب بن الزبير بالجلال إذ يقول:

إِنَّمَـا مُصْعَبٌ شِهَـابٌ مِنَ الله تَجَـلَّتْ عَـنْ وَجْـهِـهِ الـظَّلْمَاءُ

إن هذه الصورة من البحث عن الأفضل في المديح عادية جداً ، إذا قيست بصورة أبي تمام والمعتصم والكندي الفيلسوف، إنَّ الكندي يمثل الذوق المعقد المترف المتكبر حين يقول لأبي تمام : الأمير فوق من وصفت، مازدت على أن شبهته بأجلاف العرب!! حينما قال أبو تمام في المعتصم بيته الرائع :

إِقْدَامَ عَمْرٍو فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ فِي حِلْمِ أَحْنَفَ فِي ذَكَاءِ إِيَاسِ

تعقد الذوق، وانمسخت الفطرة في الناس، فالكندي لا يرضى للخليفة أن يشبه إذَنْ بشجعان العرب، أراد أن يقول بالرسل ؟

ولذالك جعل الشعراء الخليفة قَدَراً ينفع ويضر، وأَجلاً يقدم ويحجم، واسندوا إليه تصريف الزمان[٣٢].

ولقد اختلط العرب البسطاء بأمم لها وَلَعٌ بمظاهر العظمة والأُبَّهَةِ والإجْلال، وإحاطة أنفُسِهم بالمظاهر البراقة، فلقبوا ملوكهم بأعظم الألقاب ووصفوهم بأسمى الصفات، وأحاطوهم بالإجلال الذي ليس بعده زيادة لمستبد[٣٣] وفي وصفهم للأشياء، وتصويرهم للحقائق، وتحديدهم للمعاني شغف قويٌّ بالإغراق[٣٤].

وتأثَّر الأدباء بهذا المنزع إلى المبالغة، وارتسمت تلك الصور في قوافي شعرهم.

وكان تأثر الشعراء ناتجاً عن إحدى وسيلتين الأولى: شعراء ورثوا هذا الطبع وراثة الدم والعرق كبشار بن بُرْدٍ، وأبي نُوَاسٍ، والْعَكَوَّكِ، والصَّابِي وآخرون امتزج فيهم هذا الطبع بالمخالطة والمجالسة، في ذالك المجتمع المختلط، وبقراءة ما ترجم من آثار القوم، وباحتذاء من ورث طبائعهم وأمزجتهم وهؤلاء هم الشعراء الذي يَمُتُّون إلى العرب بصريح النسب وصميم الحسب كأبي تمام والمتنبي وابن هانيء.

وقد وُجِدَتْ مذاهبُ إسلامية متأثرة بهذا الامتزاج بالأمم الأخرى، وقد اقترن التشيع منذ كان بالغلو، وبالغ الإسماعيلية والقرامطة ونحوهم مبالغة اقتبسوها من أهل فارس ومن الهنود والنصارى واليهود[٣٥] ونحوهم ممن اتخذ التشيع الغالي ستاراً والمروق من الدين والزندقة دثاراً[٣٦].

وقاسى أهلُ التشيع كُلَّ بؤس الحياة من نكد وضراء، واضطهاد وتقتيل جملة وافراداً، لذالك تَكَوَّنَ لديهم رَدُّ فِعْلٍ لما شعروا به من واقع مرير، فعاشوا على أطياف خيال بعيد، من انتظار إمام غائب، وظهور إمام مختف، وأَغْرقوا في تعظيم علي رضي الله عنه، وغَلَوْا في سبِّ بعض صحابة النبي ﷺ ورضي عنهم.

وهذه الصورة لها ظل في الغلو واضح عند المتنبي وابن هانيء الأندلسي ودِيك الجن، ومنصور النميري، والحسين بن مُطير، ودِعْبِلٍ الخزاعي.

وبعد فإن هذه الأسباب العامة، من نقد للحياة، وترف، ومجون وزندقة، واغراق للاعطيات، وطباع أجنبية، وعلوم وثقافات جديدة هي روح العصر،

الذي وجد صداه في مذهب ابتدعه الشعراء ، وتشجيعه في مذهب ابتكره النقاد، وعلى رأسهم قدامة بن جعفر الذي صفق للمبالغة، ودعى الشعراء إليها، وآثرها على الاعتدال داعياً إلى اقتفاء نهج اليونان فيها ممثلاً بمذهب أرسطوطاليس ، ودعى إلى أن المبالغة هي مذهب أهل الفهم بالشعر، وإن أروع الشعر أكثره مبالغة[٣٧]، وغير خفي ان رَأْياً خطيراً كهذا له أثر على الأدب، واتجاهه إلى المبالغة.

٧ ــ **المتنبي وشعراء المبالغة** : لهذه الأسباب المذكورة آنفاً كانت المبالغة في العصور الثلاثة الأولِ قليلةً غير متكلفة، أما في عصر المتنبي فنجدها تختلف في أربعة أشياء :

أولها: أنَّ مبالغة الأوائل كانت طبعية دون تكلف وتعمد، لا يقصدها الشاعر، ولا يبحث عنها، بل تأتي بها القريحة، وتوردها البديهة.

الثاني: أنَّ مبالغة العصور الثلاثة قليلة ترى كالوشم في ظاهر اليد وتلتقط في الديوان الواحد بيت أو بويتات.

والثالث: أنَّ هذه المبالغة لم تتجه إلى المدح في أكثرها، ولم تُحِلَّهُ المحلَّ الأولَ فهي تأتي إليه كما تأتي إلى غيره من الفنون، على سواء فهي ليست وليدة النفاق، وعبادة المال وأهله، بل شطحات وسبحات تنفلت من لسان الشاعر لا تدل على ضعف في العاطفة، ولا ملق في التعبير.

ورابعها: أنَّهَا على قلتها أقربُ إلى الواقعية والقصد والاعتدال فلم يدخلها إلحاد أو شرك، أو استهتار بقداسة أو دين، أو غلو في مجون أو إحالة بعيدة لا تدرك إلا بالخيال.

وحين نحاول أن نميز بين المبالغات عند المتنبي وسابقيه من أبي نُوَاسٍ إلى أبي تمام، فسنجد أن أبا نواس أول من عبَّد طريقها وأكثر منها، ولو وجد قبل أبي نواس من يعبدها لمضى فيها دون توقف أو وازع، وكان من دوافعها لديه رقة في الدين، وفساد في العقيدة، وإيغال في النفاق دفعه إلى الإغراق في المديح، وإلباس

الخلفاء لباس الأنبياء ووصفهم بصفات الباري جَلَّ وعلا .

وكانت المبالغة عند أبي تمام تجديداً أدبياً ، وبحثاً عن البديع والصنعة، وتَصَيُّداً لكل جديد عويص، أملتها ثقافة عريضة، وعقل ثاقب.

وكانت المبالغة عند أبي الطيب إرضاءً لذوق أدبي حكمه أهل العلوم والنحو والفلسفة، وتَحَدِّياً أدبياً وعلمياً لهم، إضافة إلى رشحها من طبع غال، ومذهب غامض، وثقافة واسعة عميقة، وعقل عميق، ونفس معقدة جوالة في الطموح.

وإذا كان المتنبي فارس الشعر في الأدب العربي القديم على امتداده، ورمزاً من رموز البطولة الشخصية والأدبية فيه، فإنه على ذالك شاعر المبالغة في الشعر العربي كله على امتداد عصوره، وكثرة شعرائه ، وإن المبالغة تصل عنده إلى أبعد غاية وأرفع راية، ولابُدَّ من التذكير بأنه لم يأت شاعر بعده بلغ مبلغه، وقد كانت عيباً شائعاً في شعره تصيب بالكلف كثيراً من غرره وقلائده.

وإذا أردنا أن نمر على أشهر أسماء الشعراء الذين عنوا بالمبالغة من بعده فإن سَمِيَّهُ ابن هانيءٍ الأندلسي الذي كان من أكثر الشعراء إغراقاً ، وبعداً عن القصد وتجاوزاً .

وقد كانت مبالغاته نتيجةَ غلو ديني وشيعي، وإفراط ، وحسبك بمثل قوله(٣٨):

مَا شِئْتَ لاَ مَا شَاءَتِ ٱلْأَقْدَارُ فَاحْكُمْ فَأَنْتَ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ

وابن الفارض شاعر أهل التصوف، نَقَلَ المبالغة إلى الغزل، ومبالغاته تصدر عن عقيدة صوفية كقوله(٣٩):

خَفِيتُ ضَنىً حَتَّى خَفِيتُ عَنِ الضَّنَى وَعَنْ بُرْءِ أَسْقَامِي وَبَرْدِ أُوَامِي
وَلَمْ أَدْرِ مَنْ يَدْرِي مَكَانِي سِوَى الْهَوَى وكِتْمَان أَسْرَارِي وَرَعْيِ ذِمَامِي

وَقَدْ وُجِدَ في الشعر العباسي شعراءُ لهم إغراق وغلو، لكنهم لم يبلغوا درجة الفرسان الثلاثة أبي نواس وأبي تمام والمتنبي، منهم الحسين بن مطير الأسدي ، وله

في المدائح خاصة إغراق وغلو.

ومنهم أَبُو إسحاق الصابي، شاعر ناثرٌ، جنح إلى المبالغة كثيراً في شعره ونثره، ، وشجعه عليها الوارثة والثقافة.

ومنهم ابنُ حجاج، الشاعر الذي جمع إلى المجون إغراقاً وسُخْفَا ، فصار شعره ظلمات بعضها فوق بعض، ويدعوه إلى ذالك تظارف وتماجن ، وتَبَاهٍ بالفسوق وتفاخر.

ومن الشعراء سَلْمٌ ٱلخَاسِرُ ، الذي كانت له مبالغاتٌ في المديح كقوله[٤٠]:

لَقَدْ جَعَلَ الله فِي رَاحَتَيْكَ حَيَاةَ النُّفُوسِ وآجَالَهَا
وَجَدْنَاكَ فِي كُتُبِ الأَوَّلِينْ مُحْيِي النُّفُوسِ وقَتَّالَهَا

ومنهم ابنُ سَنَاءِ ٱلْمُلْك ، الذي بالغ في الفخر، وأغرق.

وهناك شاعران فحلان من شعراء العصر العباسي اشتهرا بالشعر وقيل: إنَّ لديهما مبالغة، وهما ابن الرومي وأبو ٱلعَلاَء .

أما ابن الرومي، فإنَّ ما يبدو له من مبالغة لا يُعَدُّ مبالغة بالمفهوم الفنيِّ لذلك ، ولكن أكثره داخل في أسلوب الهجاء الساخر كقوله:

يَا ثَقِيلاً عَلَى ٱلْقُلُوبِ خَفِيفاً فِي ٱلْمَوَازِيْنِ دُونَ وَزْنِ النَّقِيرِ
طِرْ سَخِيفاً أَوْقَعْ مَقِيْتاً فَطُوْراً كَسَفَاةٍ ، وَتَارَةً كَبَعُوضِ

وهذا الأسلوب فيما يبدُو لي ليس أُسلوبَ مبالغة، إنما هو أُسلوب هجاء سافر، يعتمد تصوير المتناقضات في الطبائع والعادات، ليخرج القارئُ والسامع بضحكة ساخرة، وطرفة نادرة، والمبالغة فيه مطلوبة، لأنه هجاء ، (كاريكاتوري).

أما أبو العلاء ، فرجل شغله الواقع عن الخيال، والزهد عن ملذات الحياة عند أعتاب المالكين، ولذالك قلَّ أَنْ تجد له مبالغة، ومن هذا القليل قوله[٤١]:

يُـذْيِبُ الـرُّعْبُ مِنْهُ كُلَّ عَضْبٍ فَلَوْلَا الْغمْـدُ يُمْسِكُـهُ لَسَـالَا

وما تحدث عنه طه حسين من مبالغات عند أبي العلاء في طور حداثته وشبابه، وكهولته[٤٢]، إنما هي مبالغة نسبية، إلى مراحل حياة الشاعر الأخرى، أمَّا أنه شاعر مبالغة يصول ويجول فيها فأَمْرٌ غير صحيح.

الرياض : د. عبدالله الحامد العلي الحامد

الحواشي :

١ ــ «الوساطة»: ٤٢٢. ٢ ــ الوساطة: ٤٢١.
٣ ــ الوساطة: ٤٢١. ٤ ــ الوساطة: ٤٢١.
٥ ــ الوساطة: ٤٢٢. الهادي: العنق. ٦ ــ الوساطة: ٤٢١. ٧ ــ الوساطة: ٤٢٣.
٨ ــ الوساطة: ٤٢٢. الغذافر: الأول اسم رجل والثاني وصف للجمل.
٩ ــ الفن ومذاهبه في الشعر العربي: ١٦٢، ١٦٣ والعصر العباسي الأول لشوقي ضيف: ٢٢٨.
١٠ ــ «حديث الأربعاء» ١/١٣٠، ١٣١، ١٣٢.
١١ ــ «الموضح»: ٢٦٩. ١٢ ــ «الموشح»: ٢٨٤.
١٣ ــ «الفن ومذاهبه في الشعر العربي»: ٣٢٣، ٣٢٤.
١٤ ــ انظر الصبح المنبي: ٣٣١، والفن ومذاهبه في الشعر العربي: ٣٢٤.
١٥ ــ أنظر اليتيمة: ١/١٨٠. ١٦ ــ الموازنة: ١/٢٠٧.
١٧ ــ انظر أبو تمام في سلسلة أعيان الشيعة: ١٩٠ ــ ١٩٨ والموازنة: ١/١٥٤ و١/٢٠٧ و١/١٩٦ ــ ١٩٧. والموشح: ٣٢١ و٣٢٤.
١٨ ــ الموازنة: ١/٢٢٩. ١٩ ــ يتيمة الدهر: ١/١٨٧، والصبح المنبي: ٣٨٢، ٣٨٥. والفن ومذاهبه في الشعر العربي: ٣٢٢.
٢٠ ــ اليتيمة: ١/١٨٧. ٢١ ــ مع المتنبي: ٢٧٨ و١٥٥ و١٣٠. والصبح المنبي: ٣٨١، ٣٨٣، واليتيمة: ١/١٨٤.
٢٢ ــ اليتيمة: ١/١٨٤. ٢٣ ــ الفن ومذاهبه في الشعر العربي: ٣٢٢، ٣٢٣ و«مع المتنبي»: ٧٧.
٢٤ ــ مع المتنبي: ٥١. ٢٥ ــ مع المتنبي: ٥١. والفن ومذاهبه في الشعر العربي ٣٢٣.
٢٦ ــ الفن ومذاهبه في الشعر العربي: ٣٢٢. ٢٧ ــ الفن ومذاهبه في الشعر العربي: ٣٢٢. ومع المتنبي: ٧٧.
٢٨ ــ تاريخ التمدن الإسلامي: ٢/٦٧٧.
٢٩ ــ انظر عصر المأمون: ١/١٨٥ وما بعدها.
٣٠ ــ انظر طبقات الشعراء لابن سلام: ١٧١، ١٧٢ والعصر العباسي الأول لشوقي: ضيف ١٩٤. الأدب في ظل بني بوية: ١٤٣، ١٤٥.
٣١ ــ انظر المهدي العباسي: ١٦٠ وما بعدها.
٣٢ ــ انظر المديح في سلسلة فنون الأدب العربي. ←

المعجم الجغرافي في المنطقة الشرقية

ـ ١٥ ـ

النّقيـــــــــر

اختلف المتقدمون في ضبط هذا الاسم ، فجاء في « معجم البلدان » بفتح النون وكسر القاف على صيغة التكبير ـ فعيل ـ بمعنى مفعول أي منقور ـ وأنه موضع بين هَجَر والبصرة ، ثم أورد قول ابن السِّكِّيت في شرح قول عُروة بن الورد :

ذَكَـرْتُ منـازلاً مِنْ أُمِّ وَهْبٍ مَحَلَّ الْـحَيِّ أَسْفَلَ ذِي النَّقِـيرِ

قال : ذو النقير: موضع وماء لبني القين من كلب ، وقيل : موضع نقير فيه الماء ـ كذا ورد في « المعجم » وما أرى عروةَ قصد موضعاً بعيداً عن بلاد قومه بني عبس ، وكانت في عالية نجد في جهات ماوان ، وحدود حِمَى ضَرِيَّةَ وحِمَى الرَّبَذَة ، فإذا كان لبني القين موضع يسمى النقير فهو غير الذي بين هجر والبحرين ، وغير الذي ذكر عروة بن الورد .

وقال البكري[1]: النَّقير : بفتح أوله ، وكسر ثانيه ، بعده ياء وراء مهملة : موضع بين الأحساء والبصرة .

---

٣٣ ـ الأدب في ظل بني بوية: ١٤٤ و٣٠٢.
٣٤ ـ تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول لأبي الخشب: ١٨٩، ١٩٠.
٣٥ ـ الأدب في ظل بني بوية: ١٧٠.
٣٦ ـ الأدب في ظل بني بوية: ١٧٠.
٣٧ ـ فن الشعر لأرسطو ـ ترجمة شكري عياد ـ ١٢٠، ١٣٩، ٢٦٧ ومع المتنبي لطه حسين: ٥١ ونقد الشعر لقدامة بن جعفر: ٥٢.
٣٨ ـ انظر «تاريخ آداب اللغة العربية» لجرجي زيدان: ٢/٢٧٧.
٣٩ ـ انظر «ابن الفارض سلطان العاشقين»: ٢٣.
٤٠ ـ طبقات الشعراء: ١٠٣.
٤١ ـ «تجديد ذكرى أبي العلاء»: ١٨٣.
٤٢ ـ تجديد ذكرى أبي العلاء: ١٨٦، ١٨٧، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥.

وقال ابن دُريد : النقير لبني القين وكلب ، وأنشد لعروة بن الورد ، ثم أورد بيته المتقدم .

وأضاف وقال العجاج :

دَافَعَ عَنِّي بِنُقَيْرِ مَوْتَتِي بَعْدَ اللَّتِيَّا واللُّتَيَّا واللَّتِي

وقد روي هذا : بنقير ، بضم أوله ، على لفظ التصغير .

ونَصُّ رَجَزِ العَجَّاج[٢] :

أَصْبَحَ قَومِي يَحْفِرُونَ حُفْرَتِي
يَدْعُونَ بِاسْمِي وتَنَاسَوْا كُنْيَتِي
فَسُرَّ ودَّادِي وسَاءَ شُمَّتِي
إِذْ ردَّهَا بَكَيْدِهِ فَارْتَدَّتِ
دافَع عَنِّي بِنُقَيْرٍ مَوْتَتِي

أي إن الله ردَّ شر تلك الليلة التي أوشك أن يموت فيها وهو في نقير . وورد الاسم مضبوطاً بالحركات بضم النون .

وإذا صح أن اسم الموضع أو الماء الذي بين هَجَر والبصرة نَقِير ــ بفتح النون ــ فإنه غير معروف الآن ، وإنَّما المعروفُ نُقَيْر ــ بالضم ــ وهو منهل فيه آبار قليلة الماء ، قديمة تقع شرق منهل النقيرة بنحو ثلاثة عشر كيلاً . ولا يداخلني شَكٌّ بِأنه الموضع الوارد في شعر الْعَجَّاج ــ كما تقدمت الإشارة إلى ذلك في الكلام على قريته قُصَيْبَة ، وعند ذكر بِعَال ــ وهذا الموضع ذو المنهل يقع في الطريق بين هَجَر والبصرة ، المارّ بوادي المياه ــ وادي الستار قديماً ــ لا الطريق الساحلي .

وقال الهمداني[٣] : وبئر النقير بناحية البحرين أيضاً على عَشْرِ قِيَمٍ

لاتْنَكش ، ويجتمع عليها كثير من وُرَّادِ العرب ، وربما سقى عليها عشرة الآف بعير ، فتضرب عنها جميعاً بِعَطَنٍ ، وهو حَسِيفٌ قَلَيْذَم . انتهى . ووصف الهمداني ينطبق على بئر النَّقِيرة[٤] أكثر من انطباقه على أحد آبار نقير ، فقد وصفها بأنها حَسِيف ، والبئر الحسيف والخسيف هي التي تُحْفر بالحجارة ، فلا ينقطع ماؤها كثرة ، والقَلَيْذَمُ البئر الغزيرة الماء ، وقد يقال : القليزم ــ بالزاي ــ من بحر القلزم .

وآبار نُقَيرٍ ضيقةُ الأفواه محفورة في أرض صلبة .

وكذا بئر النَّقِيرة .

ونقير ــ الموضع ــ من بلاد قبيلة العوازم ، وعلى مَنْهل نُقَير حدثتْ وقعة بينهم وبين مُطَيْرٍ والْـعُجْمان ومعهم غيرهم ذكرها صاحب كتاب « العجمان وزعيمهم راكان بن حثلين »فقال[٥]: بأن فيصلاً الدويش ــ بعد وقعة السَّبَلَةِ ــ بادر إلى نقض العهد ، وسار بمن أطاعه من قبيلةُ مُطَيْرٍ إلى الْـعُجْمان ، وانضم إليهم ابنُ مشهور في جماعته من عَنَزَة ، وعقدوا العزم على احتلال الأَحْساء ، وساروا متجهين لتنفيذ خطتهم ، وفي طريقهم قيل لهم بأنَّ أحياءً من قبيلة العوازم نازلون على ماءِ رِضَا ، فصبحوهم وهم غَارُّونَ فَهَبُّوا مدافعين ، وأنزل الله عليهم النصر ، فقتلوهم بالرصاص والسيوف والسكاكين وعَمَدِ البيوت والحجارة ، وقتلوا حملة الرايات ، وأخذوها ، وهزموهم شَرَّ هزيمة لا ينمحي عارُها ، وكانت هذه أكبر في نفوسهم من كل شيء ، لأنهم يرون أن العوازم لا يكافئونهم في الشرف والشجاعة والعدد والعدة ، وفقدوا بذلك اعتدادهم بأنفسهم ، ومكانتهم الرفيعة عند الناس ، وبعد مدة لا تزيد على شهرين أرادوا أن يستعيدوا شرفهم وحسن سمعتهم ، فجمعوا فلولهم ، وكانت العوازم تترقب غزوهم ، فاجتمعوا على ماء يُسَمَّى نُقَيْر ، فسار العجمان والدويش وابنُ مشهور إليهم في نُقَيْرٍ ، وأغاروا عليهم ، فهزمهم العوازم شر

هزيمة ، وقتلوا كثيراً من رجالهم فعادوا خائبين . انتهى . وكانت وقعة نُقَيْرٍ سنة ١٣٤٧ ــ بعد وقعة السَّبَلَةِ .

وممن قتل العوازم من شيوخ العجمان في وقعة نُقَير حِزَامُ بنُ حِثْلَيْنِ ، وقال ابن جافور شاعر العوازم في ذلك :

يَا (حْزَام) سَيِّر لـ (هابِسْ) عِنْدِكِ قْرَيِّب ... صَيِّفْ وقَيِّظْ وخَاوِ الشِّيْخ فِي دَارهْ[٦]
عـادَاتِنَا منْ قَـدِيْمٍ نَذْبَـحَ الـطَّيِّبْ ... وهذَا جَزَا اللِّي عَلَيْنَا يَنْـثِرَ الْـغَارَهْ

ويقع منهل نُقَيْرٍ شمالَ النُّعيرية بنحو أربعين كيلاً ، وأقرب الأعلام منه جبل الْـبِعَال الواقع جنوبه بنحو خمسة عشر كيلاً ، وهو في منطقة السُّودَة في جانبها الشمالي الغربي ، بمنطقة إمارة النُّعَيرية (بقرب خط الطول ١٨َ/٤٨° وخط العرض ٥٥َ/٢٧°) . وقد أُنْشِئَ على منهل النُّقير قرية سكانها من العوازم .

النَّقِيْـرَةُ

ــ بفتح النون وكسر القاف ، فعلية بمعنى مفعولة أي منقورة ــ :

هناك في الشمال من آبار النُّعَيْرِيَّةِ الارتوازية وعلى مسافة خمسين كِيْلاً جَوٌّ واسعٌ من الأرض ، فيه آبار قديمة ، ليست غزيرة الماء ، يطلق على واحدة منها تقع في الجنوب من ذلك الجوِّ ومن الآبار ــ اسم النَّقِيرة ، وقد تُسَمَّى مُشاش النقيرة لضعف مائها ، ومعروفٌ أنَّ المياه في البادية جميعها تأثَّرَتْ بما حُفِرَ من الآبار العميقة التي ركبت فوقها الآلات الحديثة لجذب الماء من أعماق الأرض .

هذه البئر الضعيفة الماء كانت ذات شُهْرةٍ عظيمة قديماً ، لوقوعها في طريق من أعظم الطرق الموصلة إلى شرق الجزيرة من الشمال كاظمة (الكويت) والعراق وما حولها من البلاد .

قال الأَزْهريُّ في كتاب «تهذيب اللغة»[٧]: النَّقِيرة ركية ماؤها رُوَاءٌ ، بين

ثاج وكاظمة ، انتهى .

ومثل هذا في كتاب «التكملة» للصاغاني[٨].

وقال الهمدانيُّ في «صفة جزيرة العرب»[٩]: النِّقَارُ: نُقَرٌ في الرمل، وكاظمة، ومُسَلَّحَةُ بئر كانت أُجاجا تَذْرِبُ البطون، وعذب ماؤها فصار فُرَاتاً، والنَّقِيرة، وبها البئر العِدُّ، التي ذكرناها، والسُّودَة. انتهى.

وقد أورد ياقوت في «معجم البلدان» نصَّ كلام الأزهري غير منسوب، وأضاف: وأظنها التي قبلها ــ يقصد النَّقير ــ وتقع النقيرة غرب رأس السفَّانية، وشرق الوَرِيعة، بقرب خط الطول ٤٨/١٢° وخط العرض ٢٧/٥٨°.

وهي من مناهل قبيلة العوازم، وعليها حدثَتْ وقعةٌ بينهم وبين مُطَيْرٍ والعُجْمان ومن معهم ــ أثناء الاختلاف الذي وقع في نجد بعد وقعة السبلة سنة ١٣٤٧ انتصرت فيها قبيلة العوازم، فهَزَمَتْ مُطَيراً ومن معهم، وقَتَلَتْ عدداً منهم، من مشاهيرهم هابِس بن عَشْوان شيخ الْعُبَيَّات من قبيلة مُطَير، كما قتلت من مشائخ العُجْمان حِزَام بن حِثْلَيْنِ، كما تقدم في الكلام على نُقَيْرٍ.

وقال ابن جافور شاعر العوازم في ذالك:

بـ (النَّقِيرة) ذَبَحْنَا طَيْر حَوْرَانِ ... اقْمَحِي يَالْبُوَيْضَا عُقْبَ رَاعِيها[١٠]
امْتَـلَا الجـوّ دَيْحَـاني وَبَـرْزَاني ... والْعبيَّـاتِ ذَبَّحْنَـا نَـدَاوِيْهـا[١١]
مـا قَعَدْ بـالنّقِيرة كُـوْدْ نِسْوَانِ ... ما لَقَتْ يَمِّ (قَرْيَه) من يُوَدِّيها[١٢]

يقصد بطير حوران هابس بن عشوان.

ولولا أن التاريخ يتطلب تدوين حوادثه كما جرتْ، لما أشرنا إلى تلك الوقعات التي تُؤَثِّر في النفوس، ولكن الله سبحانه وتعالى أعقبها بالأُلفة بين المسلمين، فأزال الإِحَنَ، وقَوَّى روابطَ الأُخُوَّةِ والمحبة بين جميع سكان هذه

البلاد، فأصبحوا إخوة متحابين، وقد نزع الله الغل والحقد من قلوبهم، والحمد لله رب العالمين.

ولقبيلة العوازم قرية حديثة أنشئت فوق منهل النَّقيرة فسُمِّيت النَّقيرة، وذلك في آخر القرن الماضي وقدر عدد سكانها ــ في كتاب «المسح» بنحو ست وثلاثين ومئتي نسمة.

النَّقِيَّـــــةُ

ــ من النقاء ــ قال في «معجم البلدان»:ــ بالفتح ثم الكسر وياء مشددة ــ: من قُرَى البحرين، لبني عامر من عبد القيس. وعدَّها الصاغاني في «التكملة»[١٣] من قرى البحرين أيضاً.

ويظهر أنها من القرى التي درست، وأنها تقع في الشمال من المنطقة في نواحي البيضاء والظهران حيث بلاد بني عامر الذين من عبد القيس.

النُّمَيْـــــرَةُ

ــ بضم النون، تصغير نَمِرَة وهي قطعة من القماش مخطَّطة ــ: نقل ياقوت في «معجم البلدان» عن أبي زِيَاد: النُّمَيْرَة هضبة بين نجد والبصرة، بعد الدَّهْنَاء. انتهى.

وكلمة (بَعْد) هنا موهمة، فإن كان هذا القول من أبي زياد وهو في بغداد فهي واقعة غرب الدهناء، وأكثر كلام أبي زياد يتعلق بتحديد المواضع الواقعة في عالية نجد، غرب الدهناء، وإن كان المراد بكلمة (بعد) للمتجه من نجد إلى البصرة، فهي شرق الدهناء.

وعدَّ البكريُّ النُّميرة من بلاد بني تَميم[١٤] وأورد شاهداً على ذالك قول وُجَيْهَةَ الضَّبِّيَّةِ:

فـإنِّي إِذَا هَبَّتْ شَمَالاً سَـأَلْتُهَا هَلِ ٱزدَادَ صَدَّاحُ النُّمَيْرَةِ مِنْ قُرْبِ

وقول الراعي:

لَهَـا بِحَقِيـلٍ فَـالنُّمَيْـرَةِ مَنْـزِلٌ تَرَى الوحْشَ عَوْذَاتٍ بِهِ وَمَتَالِيَا

وأضاف إلى هذا: فَدَلَّك أنَّ حقيلاً من ديار بني تميم. انتهى.

ولكن قول البكري أن النُّميرة من بلاد بني تميم، ثم الاستشهاد بقول الراعي وذكر حَقيل في مقام الاستشهاد ــ غير مستقيم، وأخشى أن تكون كلمة (تميم) تصحيف (نُمَير) إذ الراعي من بني نُمَير. وحَقيل من بلاد بني نُمَير في بلادهم، وورد في شعر الراعي:

وَأَفَضْنَ بَعْـدَ كُـظُومِهِنَّ بِجِـرَّةٍ مِنْ ذِي الأَبَارِقِ إِذْرَعَيْنَ حَقِيلاَ

وعَدَّهُ البكري في بلاد بني عامِر، وبنو نُمَيرٍ، منهم، فلم يبق سوى قول أبي زياد، وظاهره أن الموضع غرب الدهناء، أما تشوق الشاعرة إلى صدَّاح النُّميرة مما قد يستدل به على أن الموضع في بلاد بني ضبَّة.

فبلاد هاؤلاء متفرقة شرق الدهناء، وغربَها.

وأورد البكري لِدُرَيـدِ بن الصِّمَّة:

ظَوَاعِنُ عَنْ خُرْجِ النُّمَيْرَةِ غُدْوَةً دَوَافِعُ فِي ذَاكَ الْخَلِيطِ الْمُصَعِّدِ

ــ الخُرْج: الوادي الذي لا منفذ له ــ.

وأين دريْدُ وما شرق الدهناء من المواضع؟، وورد ذكر النُّميرة في شعر جرير ذكراً مجرداً من أية صفة توضح موقع المكان إذ قال[١٥]:

يَا نَظْرَةً لَكَ يَوْمَ هَاجَتْ عَبْرَةً مِنْ أُمِّ حَـزْرَةَ بـالنُّمَيْـرَةِ دَارُ

على اختلاف في نسخ الديوان بين اسم (النميرة) و(النحيزة) و(الوريعة).

النُّمَيْـــــطُ

ـ تصغير النَّمط وهو الطريقة ـ: قال في «معجم البلدان»: والنُّمَيط: رملةٌ معروفة بالدهناء. وقيل: بساتين من حَجْر، وقيل: موضع في بلاد بني تميم.

قال ذُو الرِّمة: ثم أورد الشاهد المتقدم في النُّبيط، وقال: ويُرويان معاً. انتهى، والتعاقب بين الباء والميم لهجة لاتزال باقية، فالرَّقم ـ الموضع ـ المعروف ـ يُسمَّى الآن الرقب، ولهذا أمثال كثيرة. وتقدم في الكلام على النُّبَيط أنه بقرب نَقَا مُشْرِفٍ، في الدهناء، على ما يفهم من كلام ذي الرِّمَّة، والدهناء من بلاد بني تميم.

أما القول بأنه بساتين من حَجْرٍ ـ وهي قاعدة اليمامة ـ فلعله موضع آخر، إذَا صح هذا القول.

النُّمَيْلَـــــةُ

ـ بنُون موحدة مضمومة وميم مفتوحة ثم ياء مثناة فلام مفتوحة ثم هاء ـ: موردٌ لقبيلة آل مُرَّة جنوب شرق يَبْرِيْنَ بنحو مئتي كيل، في الربع الخالي الشرقي الجنوبي.

والاسم يطلق على غير هذا الموضع مما ليس داخلاً في موضوع هذا الكتاب.

النَّـــوَاصِـــفُ

قال الأصمعيُّ: النواصفُ ما بين كل حَبْل وكُلِّ رَمْلٍ[١٦]، فهي على هذا الشَّقائق من الرمل، ولها معانٍ أُخرى، ذكرها علماء اللغة، واحدتها ناصفة.

وتقدم ـ في الكلام على الحسن ـ قولُ الشاعر:

تَـرَكْنَا بِـالنَّـوَاصِفِ مِنْ حُسَـيْنٍ نِسَـاءَ الْحَيِّ تَلْتَقِطُ الجُـمَـانَـا

والحُسَينُ الحبل العالي[١٧] من الرمل، على ما جاء عن الأزهري في شرح البيت، وإذَنْ فليست النواصف فيه اسمَ مَوْضع بل المراد الشقائق كما في قول الآخر:

ويـوم شَقَـائِقِ الْحَسَنَـيْنِ لاقَتْ بَنُـو شَيْبَـانَ آجـالاً قِصَـارَا

حيث قُتِل بسطامُ بن قيس سيدُ بني شيبان، قتلته بنو ضبَّة يوم نَقَا الحَسَنِ، من أنقية الدهناء ــ على ما تقدم في الكلام على الحسن.

وقد يُسْتعمل الوصف عَلَماً فقد أورد ياقوت في «المعجم»: النواصف موضع أظنه بِعُمَان، وأورد شاهدين من الشعر.

النَّـــــوَاعِـصُ

ــ الكلمة مشتقَّةٌ من النَّعَصِ وهو التَّمايُلُ ــ: وتقدم في رسم (نُبَاك) قولُ الأعشَى:

وَقَدْ مَلأَتْ بَكرٌ وَمَنْ لَفَّ لَفَّهَا نُباكاً فَأَحْوَاضَ الرَّجَا فَالنَّوَاعِصَا

وأورد ياقوت في «معجم البلدان»: النواعص موضع عن الأزهري ثم أورد البيت.

وقال الهمدانيُّ في «صفة جزيرة العرب»:[١٨] ومن ديار بكر خاصة نباض[١٩] وقوٌّ والرجا والنواعص والشَّيِّطان. انتهى والهمدانيُّ يعول على ما يرد في الشعر من أسماء المواضع.

وهذا الموضع مما لم أسمع له بذكر، مما يدل على دروسه.

نُوَيْسَـــــــةُ

جاء في كتاب «دليل الخليج» في الكلام على البياض (بيضاء بني جَذِيمة قديماً) ما نصه:[٢٠] توجد في جُعيمة (قعيمة)[٢١] نخيلٌ لبني هاجر، ويمكن أن يذكر هنا ثلاثة أمكنة أخرى فيها ماء تقع إلى الغرب من الحشوم[٢٢] (؟) وهي:

جفين: على بعد عشرة أميال في الجنوب الغربي من تلِّ القُرَين.

جرثامة: على بعد ثمانية أميال في الجنوب من تلِّ القُرَيْن.

نويسة: على بعد اثني عشر ميلاً جنوب تلِّ القُرَيْن.

وقد ورد تحديد موقع القرين في الكتاب المذكور[٢٣] بأنه على بعد نحو ٢٨ ميلاً غربي الآجام في واحة القطيف.

وأكرر القول بأن كثيراً من الأسماء الواردة في ذالك الكتاب لستُ على يقين من صحتها.

حمد الجاسر

الهوامش:

(١): «معجم مااستعجم» رسم النقير.

(٢) ديوانه تحقيق الدكتور عزة حسن، مع حذف بعض اشطار الرجز.

(٣) «صفة جزيرة العرب» ٣٠٩.

(٤) وقد أوضح هذا كما سيأتي في الكلام على النقيرة.

(٥) ٩٨.

(٦) سَيِّر: زُرْ ــ من الزيارة. هابس هو ابن عشوان، شيخ العبيات من مطير، وقد قتله العجمان في وقعة النقيرة ــ في نقير. خاوِ: رافِقْ من الأخوة.

(٧) ١٠١/٩ أورده صاحب «التاج» كلام الأزهري إلا كلمة (رواء) فجعل مكانها (كثيرة الماء) وزاد كلمة (معروفة).

(٨): ٢١٧/٣.

(٩): ٣١٧.

(١٠) البويضا: تصغير البيضاء، والمقصود اسم إبله التي يعتزي بها فيقول: خيَّال البويضا: اقمحي: ذلي.

ماتفق لفظه وافترق مسماه
من أسماء المواضع

للإمام محمد بن موسى الحازمي (٥٤٨/٥٨٤هـ)

ـ ٤٤ ـ

٢٢٥ ـ بَابُ جُوَاثَى وحَوَايَا[١]

أَمَّا ٱلْأَوَّلُ: ـ بِضَمِّ الجيم وبَعْدَ الثَّاءِ المثلَّثَةِ أَلِفٌ لَفْظِيٌّ ـ: قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى ٱلْبَحْرَيْنِ يَسْكُنُهَا عَبْدُ ٱلْقَيْسِ[٢].

وفِي ٱلْحَدِيثِ: أَنَّ أَوَّلَ جُمُعَةٍ جُمِّعَتْ فِي ٱلْإِسْلَامِ بَعْدَ ٱلْمَدِينَةِ لَجُمُعَةٌ جُمِّعَتْ بِجُوَاثَا[٣].

ويُقال: عَامُ الرِّدَّةِ ارْتَدَّتْ عَرَبُ ٱلْأَطْرَافِ كُلُّهَا سِوَى أَهْلِ جُوَاثَا[٤].

وأَمَّا الثَّانِي: ـ أَوَّلُهُ حَاءٌ مُهْمَلَةٌ مَفْتُوحَةٌ وَبَدَلُ الثَّاءِ يَاءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ: ـ بِنَاءٌ

---

(١١) ديحاني: من الدياحين فرع من مُطَير وكذا البرزان. النَّداوي: الصقر.

(١٢) كود: سوى. يَمّ قرية: إلى بلدة قرية. يوديها: يؤديها يوصلها. أي قتلنا الرجال ولم يبق سوى النساء اللواتي لم يَجِدْنَ من يوصلهن إلى بلدتهن قريةالمعروفة.

(١٣) : ٥٢٦/٦.

(١٤) «معجم ما استعجم» رسم النميرة.

(١٥) ديوانه: ٨٦٤.

(١٦) : «معجم ما استعجم» رسم ناصفة.

(١٧) تقدم ـ ص ٥٠٥ ـ الجبل العالي في النقل عن كتاب «التهذيب»: ٣١٦/٤ بالجيم ولعل الصواب (الحبل) بالحاء المهملة.

(١٨) : ٢٦٣.

(١٩) كذا والصواب (نباك).

(٢٠) : القسم الجغرافي ص ٤٠١ ـ الطبعة الثانية.

(٢١) تقع جعيمة (قعيمة) على بعد ثمانية أميال في الشمال الشرقي من صفوا مكان فيه ماء.

(٢٢) سيأتي (الهشوم).

(٢٣) ص: ٣٩٩.

مَعْمُولٌ بِالصَّخْرِ يُمْسِكُ ٱلْمَاءَ شِبْهُ ٱلْبِرْكَةِ ، وَهُوَ دُوْنَ الثَّعْلَبِيَّةِ[٥] .

٢٢٦ ـ بَابُ جِوَاءٍ وحَوًّا[٦]

أَمَّا ٱلْأَوَّلُ ـ بِكَسْرِ الجيم وتخفيف الواو وَٱلْمَدِّ ـ : وَادٍ فِي أَسَافِلِ عَدَنَةَ ، وفي شِعْرِ امْرِىء الْقَيْس :

كَأَنَّ مَكَاكِيَّ ٱلْجِوَاءِ غَدِيَّةً صُبِحْنَ سُلَافاً مِنْ رَحِيْقٍ مُفَلْفَلِ

قيل : أَرَادَ بِهِ ٱلْمَوْضِعَ ٱلْمَعْرُوفَ ، وقِيْلَ : ٱلْجِوَاءُ ٱلْبَطْنُ مِنَ ٱلْأَرْضِ ٱلْعَظِيمُ . وقِيلَ : جَمْعُ جَوٍّ[٧] .

وأَمَّا الثَّانِي : ـ أَوَّلُهُ حَاءٌ مُهْمَلَةٌ ، والواوُ مُشَدَّدَةٌ ـ : مَاءٌ مِنْ نَواحِي ٱلْيَمَامَةِ قِيلَ : هُوَ لِضَبَّةَ وعُكْلٍ ، وقِيلَ : ٱلْحَاءُ فِيْهِ مَكْسُورَةٌ[٨] .

٢٢٧ ـ بَابُ جَوْنَةَ وَجَوْبَةَ[٩]

أَمَّا ٱلْأَوَّلُ : ـ بِفَتْحِ الجِيْمِ وبَعْدَ ٱلْوَاوِ السَّاكِنَةِ نُونٌ ـ : قَرْيَةٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ يُقَالُ لَهُ ٱلْجَوْنَةُ ، وهي لِلْأَنْصَارِ[١٠] .

وَأَمَّا الثَّانِي : ـ بَعْدَ ٱلْوَاوِ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ وَٱلْبَاقِي نَحْوَ ٱلْأَوَّلِ : مَوْضِعٌ[١١] .

الحواشي :

(١) كما في كتاب نصر.

(٢) في كتاب نَصْرٍ : أمَّا بضم الجيم وبثاءٍ مثلّثة : بلدٌ بنجران، هو قَصَبَتُها، وفي الشعر : جُوَاث . انتهى وأرى كلمة (بنجران) تصحيف من الناسخ، إذ نصر أجلُّ من أن يَجْهَلَ الموضع.
وقال ياقوت : جُوَاثاءُ ـ بالضم وبين الألِفين ثاءٌ مثلثة، يُمَدُّ ويُقْصَرُ ـ : وهو عَلَمٌ مُرْتَجَلٌ، حِصْنٌ لعبد القيس بالبحرين، فتحه العَلاَءُ بنُ الحَضْرَمي في أيّام أبي بكرٍ الصِّدِّيق سنة ١٢ عنوة ـ ثم أورد أقوالاً أخرى منها نطقه بالهمزة ـ جُؤَاثا فيكون أصله من جَئِثَ بمعنى فَزِع، وتكلّف تعليل الاسم على هذا المعنى. وأورد خبراً طويلاً فيه أنَّ العلاَءَ فكَّ الحِصَارِ عن أهله وأنهم بَقُوا على إسلامهم فحاصرهم المرتدُّون، وعلى هذا فالقول بأنه فتح عَنْوةً ليس على ظاهره، فقد كان أهله من أول من أسلم ثم استقاموا على إسلامهم فلم يفتح عنوة ولكن فُكَّ عنه حِصَارُ المرتَدِّينَ. وكان سكانه من قبيلة عبد القيس من رَبيعة بن نزار. والموضع لايزال معروفاً باسمه بمنطقة الأحساء (البحرين قديماً) وقد بقي من آثار الحصن بعض أسس الأبنيّة كالمسجد، والعين، وقد أحيطت الآثار بجدار لصيانتها من التعدِّي عليها، والموقع ليس بعيداً عن مدينة المبرَّز، وأقرب القرى منه الكِلاَبيَّة ـ وانظر لتفصيل الحديث عن جُوَاثا ما ذكرته عنها في

«المعجم الجغرافي» ــ قسم المنطقة الشرقية (البحرين قديماً).

(٣) الحديث رواه أبو داود بهذا اللفظ، وأصله في «صحيح البخاري».

(٤) فَصَّلَ ابنُ جَرير خبر أهل جواثا ــ انظر «تاريخ الأمم والملوك» ج٣ ص ٣٠٤ طبعة دار المعارف بمصر.

(٥) قال نصرٌ: وَأَمَّا بِفَتْح الحاءِ المهملة وياءٍ تَحْتَهَا نقطتان: مِنْ دُونِ الثَّعْلَبِيَّة بِقُرْب أُوْدَ، بِنَاءٌ بِالصَّخْرِ يُمْسِكُ الماءَ كَهَيْئَةِ البِرْكَةِ في مَسِيلِ الأَرْض. انتهى. وأَوْرَدَ ياقُوتُ في «معجم البلدان» كلام نصر بهذا النَّصِّ: حَوَايَا مَوْضِعٌ مِنْ دُون الثَّعْلَبِيَّةِ، بِقُرْبِ أُوْدٍ، وهُو بِنَاءٌ... الخ ــ وقال عن الحوايا: إنها الأَمْعَاءُ والحوايا: ماءٌ من نواحي اليَمَامَةِ لِضَبَّةَ وعُكْل، ونقل عن الحازميِّ أَنَّ الحاءَ فيه مكسورةٌ، ولا أدري من أَيْنَ أَتَى بهذا. ولا شكَّ أَنَّ الماءَ الذي من نواحي اليمامة غير الموضع الذي بقرب الثَّعْلَبِية للتباعد بين الموضعين، ولاختلاف سكانها، فالثَّعْلَبِيَّةُ وماحولَها لبني أَسَدٍ، وأُود من بلاد بني تميم، وهو على مايفهم من كلام المتقدمين في نواحي التَّيْسِيَّة الواقعة جنوب الثَّعْلَبِيَّة التي لاتزال معروفة ــ تحدثت عنها في «المعجم الجغرافي» ــ قسم شمال المملكة ــ والقول بأنه دون الثعلبية لعله بالنسبة لمن كان في العراق، إذْ في الغالب مُؤَلِّفُو الكتب المتعلقة بتحديد المواضع ممن عاش في إحدى مدن ذالك الإقليم. ومارأَرى (حَوَايَا) إلاَّ من المصانع التي عُمِلَتْ على مقربة من طريق الحجِّ العراقي الكوفي لسقاية الحجاج حين تَقِلُّ مِيَاهُ المناهِل التي يَرِدُوْنَ، وأنه ليس بعيداً عن الثَّعْلَبِيَّةِ الواقعة على ذالك الطريق في ضفاف الدَّهْنَاءِ شمال عِرْقِ المظهور منها في الطرف الغربي من التَّيْسِيَّة، بقرب خط الطول: ١٥/٤٣° وخط العرض: ١٦/٢٨°.

(٦) عند نصر في (باب الحاء): بابُ حَوَّاءَ والْجَوَاءَ.

(٧) لَمْ يزِدْ نَصْرٌ على قول: بكسرِ الجيم وتخفيف الواو والْمَدِّ ــ: في دِيَارِ عَبْس أو أَسَدٍ، في أَسَافِل عَدَنَةَ وقال ياقوت في «معجم البلدان»: الجَوَاءُ ــ بالكسر والتَّخفيف ثم الْمَدِّ ــ: في أصل اللغة الواسع من الأَوْدِيَة، والجَوَاءُ الفُرْجَةُ التي بَيْنَ مَحَلِّ الْقَوْم في وسط البيوت، ثم أورد أقوالاً أربعة لأربعة مواضع متباينة وإنْ لم يُفَرِّقْ بينها:

١ ــ الجَوَاءُ موضع بالصَّمَّان.

٢ ــ الجَوَاءُ من قُرْقَرَى من نواحي الْيَمَامَة.

٣ ــ الجَواءُ وادٍ في ديار عَبْس أو أسدٍ في أسافل عَدَنَة ــ والقولُ لِنَصْرٍ.

٤ ــ الجَوَاءُ من مياه الضِّبَابِ في حِمَى ضَرِيَّة.

وأضاف: وكانتْ بالجَوَاءِ وَقْعَةٌ بين المسلمين وأهل الرِّدَّة مِنْ غَطَفَانَ وهَوَازِنَ، في أيَّامِ أبي بَكْرٍ، فقتلهم خالدُ بنُ الوليد شرَّ قَتْلةٍ. ولم يذكر أيَّ جِوَاءٍ هذا الذي حدثَتْ فيه، وهو الجواءُ الواقع في ديار عَبْسٍ في أَسْفَلِ عَدَنَةَ، وهو منطقة واسعة ليست وادياً بالمعنى المعروف، ولكنَّها منخفضة عمَّا حولها، وفيها أودية وآكام، وجبال ورياض، وقرى مسكونة قاعدتها تدعى (العيون) ومنطقة الجواء كانت ذات مياه جارية، وكانت قديماً من بلاد عبس، وهي إحدى مناطق بلاد القصيم، الواقعة في الشمال الغربي منه على نحو ٣٥ كيلاً من قاعدته مدينة بُرَيْدَة، وقد ألَّف الأستاذ صالح بن سليمان الوشمي كتاباً عن الْجَوَاء تحدث فيه عن أبرز معالمه.

وبيت امرىء القيس من معلقته المعروفة، وقد يكون أراد الجواء الواقع في بلاد القصيم إذ ذكر قبل البيت (أَبانَا) وهو في تلك الجهة، أو أنه أراد جَمْعَ جَوٍّ ــ بالمعنى اللغوي العام ــ

(٨) قال نَصْرٌ: حِوَّاءُ ــ بكسر الحاء وتَشْدِيد الْوَاوِ والْمَدِّ: مَاءٌ لِضَبَّةَ وعُكْل في جِهَةِ الْمَغْرِبِ مِنَ الْوَشْمِ، في نواحي اليمامة، وقيل: بِبَطْنِ السِّرِّ، قُرْبَ الشُّرَيْف، وهُوَ بَيْنَ اليمامةِ وضَرِيَّةَ، ويُقَالُ لِأَضَاخ: حِوَّاءُ الذَّهَاب انتهى. وكلام نَصْرٍ هذا وإنْ فُهِمَ منه تَعَدُّدُ الآراء واخْتِلَافُهَا إلاَّ أنه يكاد يَنْطَبِقُ على موضع واحدٍ واقع غَرْبَ الوشم ببطن السِّرِّ القريب من الشُّرَيْفِ بَيْنَ اليمامَة وضَرِيَّة حَيْثُ يَقَعُ أَضَاخ البلدة المعروفة الآن، ويَبْقَى الاختلاف في ضبط الاسم، وقد ورد في شعر عَوْف بن الخرع التيمي. مشدَّد الواو ــ في

مع القراء في أسئلتهم وتعليقاتهم :

تداخل أنساب القبائل

ـ ٢ ـ

العنينات من الجبلان في جهينة

بعث الأخ ماجد بن طاهر المطيري مقالاً مطولاً عن انتقال العنينات من عشيرة الجبلان من قبيلة مُطَير إلى وادي العِيص ودخولهم في قبيلة جُهينة ، وملخص ماذكر: أنَّ رجلاً يدعى عايد بن حمود العُنَيني من الجُبْلان من علوا أَصَابَ دما في قومه ، فجلا عنهم ، حتى أوى إلى شريف ينبع، إلا أنه حصل بينه وبين هذا الشريف ما سبَّب أن أمر الشريف بسجنه، ولكن رؤساء قبيلة جهينة وقد عرفوا العنيني وأُعجبوا بما يتحلَّى به من الصفات ، طلبوا من الشريف إخراجه من السجن، ففعل بعد أن اشترط أن يبتعد عن بلاده مع بادية جهينة، فكان ذالك

مقطوعة أوردها ياقوت شاهداً على هذا الماء ـ:

شَـرِبْـنَ بِـحَـوَّاءَ مِـنْ نـاجِـرٍ وسِـرْنَ ثَـلَاثـاً فَـأَبْـنَ ٱلجِـفَـارَا

والمسافة بين أضاخ (حوَّاء الذهاب) وبين الجفَار ـ التي تقدم القول بأنَّها مايعرف الآن باسم العُقَل ـ جمع عُقْلَةٍ ـ في نفود الثُّوَيْرَات ـ هذه المسافة قدَ تقطعها الخيل في ثلاث ليال. وقد يكون ماءُ الحوَّاء من المياه التي غارتْ ، ولكن ينبغي أن يكون في غربيِّ السَّرِّ بناحية الشُّرَيف المعروف الآن باسم الشرفة.

(٩) لم أر هذا الباب في كتاب نصر.

(١٠) أول من رأيته ذكر هذه البلدة هو عَرَّام بنُ الأصبغ السلمي في رسالته «أَسْمَاءُ جِبَالِ تِهَامَةَ وسُكَانِهَا» ـ ونَصُّ كلامه: (وبَيْنَ مكَّةَ والطَّائِفِ قريةٌ يقالُ لَهَا راسِب لِخَثْعَمَ ، والجَوْنَةُ قَرْيَةٌ للأنصار، والمَعْدِنُ مَعْدِنُ البُرْمِ). ثم جاء الحازميُّ فقال بقوله، وأتى ياقوت فَلَمْ يَزِدْ على: جَوْنَةُ ـ بالهاء ـ اسم قرية بين مكة والطائف، يقال لها ٱلجَوْنة ، وهي للأنصار. ورسالة عَرَّام لم تصل إلينا بطريق الرواية، ولافي أصل متقن الضبط، ولهذا وقع فيها كثير من الأخطاء ، ولم أر ـ فيما اطلعت عليه ممن تعرض لتاريخ الطائف من المتقدمين ـ من ذكر هذه القرية، وهذا ماحملني على ٱلمَيْلِ بِأَنَّ الاسم مصحف عن (ٱلحَوِيَّة) بالحاء المهملة بعدها واو مكسورة فياء مثناة تحتيَّة مفتوحة مشددة فهاء ـ وهي من أشهر القرى الواقعة بين مكة والطائف، وهي في منطقة الطائف.

(١١) قال ياقوت في «المعجم»: جُوْبَقُ ـ بضم أوله قال أبو سعد: موضع بِمَرْوَ ، يسمى بالفارسية (جوبة) وبنيسابور يُسَمُّونَ الخانَ الصغير الذي فيه بيوتٌ تكْتَرَى (جوبه) وبعد كلام طويل قال: جُوبه: هو الذي قبله، وإنَّما تُزَاد القاف فيه إذا نُسِبَ إليه. انتهى. ولم يذكر موضعاً عربياً باسم (جوبة) سوى جُوبَةِ صَبْيا قال: من قُرَى عَسِيْرٍ. والجُوَبَةُ ـ عند أهل نَجْدٍ في عصرنا ـ وَصْفٌ للمكان المتَّسع الواقع بين جبال أوآكام ، ولهذا ٱلوَصْفِ وَجْهٌ من اللُّغة .

واستقرَّ بوادي العيص، وصاهر فخذ ٱلْمَرَاوِيْن من جُهَينة، وشاركهم في غزواتهم، وكان على جانب من الشجاعة وأصالة الرأي، ثم انتشر عقب العنيني هذا وكثروا واستوطنوا قريتي الْعَيْنْ وٱلفَرْع في وادي العِيص، وأصبحوا من الأسر المتحضرة، ويرأسهم اليوم الشيخ سعد بن سالم بن نَزَّاح بن رحمة بن حمدان بن مسيلم بن سليمان بن عائد بن حمود، وعائد هذا هو صاحب القصة. وقبيلة جهينة تقدر لهذه الأسرة وفاءها وشجاعتها وحسن خلالها.

وهناك مساجلات من الشعر بين فرعين من قبيلة جُهينة تتضمن ثناءاً على أسرة العُنينات منها قول بشير السناني يرد على نهار القاضي رئيس فرع قُوفة من جُهينة:

هذا لك الجبْلَانْ صَعْبِينَ الأشوار حَتَّى انت قبلي عَقَّبُوا لك علالهْ
كم واحدٍ خَلَّوه في (قُوتْ) حَضَّارْ عَدَّوْه مِجْنِبْ (رَنّ) عَنْ رأس مَالِهْ

قُوت: وادٍ من روافد وادي العيص. رَنّ: موضع في نهاية وادي قوت.

ومعروف أن الجبلان من مطير يرجعون باصلهم إلى بني عمرو من تميم.

آل علويط من الوهبة

كتب الأخ محمد بن عليان بن علويط من النبهانية إلى المجلة يشير إلى أن أسرته آل علويط في قرية النبهانية من قرى الرس يرجعون بنسبهم إلى منيف بن عساكر بن رَيِّس الذي ينتهي نسبه إلى زاخر بن علوي بن وُهَيْب جد ٱلْوُهَبَةِ المنتسبين إلى بني تميم، وقد أرفق كتابه بورقة موقعة من إمام المسجد الجامع الشمالي بالنبهانية ناصر بن ابراهيم بن عماش بإثبات شهادة شاهدين على ماذكر، وبورقة أخرى مختومة بختم عثمان بن عبدالرحمن (أبا حسين) إمام المسجد الشمالي في بلد أُشَيْقر مؤرخة في ١٤٠٦/٢/١٠هـ بأن محمد بن عليان العلويط وبني أخيه سكان النبهانية طلبوا منه مايَعْرِفُ عن جَدٍّ بعض البسام الوهبة وهو مُنيف بن عساكر بن رَيِّس ينتهي نسبه إلى زَاخر بن عَلَوِي بن وُهَيب، جدّ ٱلْوُهَبَةِ على الاطلاق وينتهي نسبهم إلى تميم، قال: وبعد اطلاعي وقراءتي ورقة ملكهم المسمى الجرارية رأيت مذكوراً فيها: منيف بن عساكر. ليكون لدى من يراه معلوماً. ←

* **فضائل بيت المقدس** :

وصدر عن (معهد المخطوطات العربية) في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم كتاب «فضائل بيت المقدس في مخطوطات عربية قديمة» تأليف الدكتور محمود إبراهيم في الجامعة الأردنية، وهو دراسة تحليلية ونصوص مختارة محققة من مخطوطات لم تحقق ولم تنشر منها :ـ

١ ـ «فضائل بيت المقدس والخليل عليه الصلاة والسلام» للمشرّف بن المُرَجَّى بن ابراهيم المقدسي من أهل القرن الخامس الهجري، ويقع في ثنايا كتاب «فضائل بيت المقدس» من ص ٢٠٥ إلى ٢٤٦ .

بني رشيد وغطفان

كتب إلى «العرب» الأخ عبدالعزيز بن سعد العبدلي الغطفاني ـ كذا نسب نفسه ـ منكراً ماجاء في المجلة س ٢٠ ص ١٢٥ مما ذكر الأخ عطا الله بن ضيف الرشيدي، حيث أرجع أصل قبيلته إلى قبيلة غطفان. والأخ عبدالعزيز بن سعد لم يَرُق له هذا، فتحدث عن ابن خلدون والقلقشندي وانهما لم يذكرا شيئاً عن صلة بني رشيد بغطفان.

ولقائل أن يقول: ولم يَذْكُرَا أيضاً صلة بني عبدالله الموجودين الآن بِبَني عبدالله الغطفانيين القدماء ، والسبب أنَّ ٱلْعَالِمَيْنِ بَعِيدَانِ عن بلاد العرب، ولا يعرفان كل أنساب أهلها، وإنما ينقلان عن الكتب المؤلفة القديمة وعما عرفاه وشاهداه في البلاد التي عاشا فيها.

وبالإجمال: فالناس مأمونون على أنسابهم. ولا يقبل قول إنسان لا ينتسب إلى قبيلة في تلك القبيلة إذا كان فيه مساس أو نيل من أصلها، وصدق الله العظيم ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾.

٢ ــ «مفتاح المقاصد، ومصباح المراصد في زيارة بيت المقدس» لعبد الرحيم بن شيث القرشي من علماء القرن السابع، وهو في الكتاب المذكور من ص ٢٤٩ إلى ٢٧٠ .

٣ ــ كتاب فيه «فضائل بيت المقدس وفضل الصلاة فيها» (؟) لمحمد بن محمد بن حسين الكنجي من رجال التصوف في القرن السابع الهجري، من ص ٢٧١ إلى ٢٨٢ .

٤ ــ «فضائل الشام وفضائل مدنها وبيت المقدس وعسقلان وغزة والرملة وأريحا ونابلس وبيسان ودمشق وحمص»، لمؤلف مجهول، من ص ٢٨٣ إلى ٢٩٥ .

٥ ــ كتاب فيه «فضائل بيت القدس»، لابراهيم بن يحيى بن أبي الحافظ المكناسي، لعله من أهل القرن السابع الهجري، من ص ٢٩٥ إلى ٣١٣ .

٦ ــ «تحصيل الأُنس، لزائر المقدس»، لعبد الله بن هشام الأنصاري (٧٦١/٧٠٨) من ص ٣١٥ إلى ٣٢٩ .

٧ ــ «مثير الغرام، إلى زيارة القدس والشام»، لأحمد بن محمد بن سرور المقدسي (٧٦٥/٧١٤) من ص ٣٢٩ إلى ٤٢٠ .

٨ ــ «تسهيل المقاصد، لزوار المساجد» لأحمد بن العماد بن محمد الأقفهسي المصري من علماء القرن السابع، من ص ٤٢١ إلى ٤٣٢ .

٩ ــ «الروض المغرس في فضائل البيت المقدس»، لعبد الوهاب بن عمر بن الحسين الحسيني الشافعي من أهل القرن التاسع الهجري، من ص ٤٣٣ إلى ٤٦٠ .

١٠ ــ «إتحاف الأَخِصَّا، بفضل المسجد الأقصى» لعبد الرحمن السيوطي (٨٨٠/٨١٣) من ص ٤٦١ إلى ٤٨٨ .

١١ ــ «المستقصَى في فضائل المسجد الأقصى»، لمحمد بن محمد العلمي الحنفي، من أهل القرن العاشر الهجري، من ص ٤٨٩ إلى ٥٢١ .

وكل ما تقدم رسائل تناولها الدكتور محمود ابراهيم بالدراسة واختار منها مختارات تلائم منهجاً أوضحه واتبعه في اختيار تلك النصوص، إذ قال في المقدمة ـ ص ١٠ ـ عن تلك المؤلفات ـ : ولكن قراءة لمحتوياتها أقنعتني أن هذه المحتويات اشتملت على ماهو جدير بأن يبذل الجهد في تحقيقه، وماهو غير جدير بذالك، إمَّا لأنه خارج عن موضوعنا لعدم علاقته بمكانة القدس في الإسلام وارتباطه بفترة ماقبل العهد الإسلامي، أو لأنه يرتكز على أقوال وروايات أشبه بالأساطير والقصص الشعبية، وكثيراً ماكان الأمران يجتمعان. . . ولذا فإنَّ انتقاء نصوص معينة من هذه المخطوطات تنحصر في العهد الإسلامي دون غيره، وفي الإطار التاريخي وضمن ماهو متقبل معقول.

وقد صدر الكتاب بمقدمة ضافية فيها استعراض ماورد عن القدس من مؤلفات أو دراسات عربية وغير عربية، ثم قسم الكتاب إلى فصول ثلاثة :ـ

أولها: عن كتب فضائل البلدان قبل القرن الخامس الهجري.

والثاني: عن مخطوطات فضائل القدس منذ القرن الخامس الهجري، وحلل فيه الدراسات المتعلقة به مما سبق نشره.

والثالث: فيه وصف المخطوطات التي اختارها للتحقيق ثم تناول تلك المخطوطات بالتحليل. والواقع أن هذا الكتاب يُعَدُّ من أهم الدراسات الشاملة في موضوعه، وقد جاء في ٦٣٢ صفحة بفهارسه المفصلة وطباعته حسنة في الكويت سنة ١٤٠٦ (١٩٨٥م) بدون ذكر المطبعة.

*** معلمة التراث الأردني :**

وصدر الجزء الخامس من هذا الكتاب الذي قام بتأليفه الباحث المحقق الأستاذ روكس بن زائد العزيزي، وهو آخر أجزاءِ الكتاب، وجُلُّ ما يحويه ـ مع غزارة مافيه من مختلف المباحث ـ عرضٌ لغوي مرتب على الحروف يرتكز أكثر مايرتكز على شرح كثيرمن المفردات اللغوية الفصيحة وباللهجة الأردنية، وفيه ذكر بعض العشائر الأردنية مع محاولة ربط أنسابها الحديثة بالقديمة مما كتبه مهتمون بعلم النسب عن عشائرهم ومما يسترعي النظر في هذا الجزء مقال طريف للأب

انستناس الكرملي عن (الكوفية والعقال) سبق نشره في مجلة «المقتطف»، وما أكثر المباحث الطريفة فيه.

ولاشك أن المعنيَّ بمواصلة الاطلاع على مؤلفات الأستاذ العزيزي الذي دأب على البحث والتنقيب والدراسة والتأليف في خدمة الثقافة العربية مايقرب من نصف قرن من الزمان يدركه الاشفاق عليه مما يبذله من جُهْدٍ شاقٍّ على كبر سنه، فلا يزال يتجدد نشاطاً فيفيض به من علمه وأدبه ما يُعْجِبُ ويفيد ويملأ النفس تقديراً له وإعجاباً بعمله.

وقد قامت سلطة السياحة في المملكة الأردنية بطبع هذا الجزء من «معلمة التراث» الذي جاء في ٧٣٦ صفحة تتخللها الصور ومشجرات النسب وصدر عن مطابع الإيمان في عَمَّان سنة ١٤٠٦ (١٩٨٦م). ــ انظر «العرب» س ١٩ ص ٨٦٤ ــ.

*** غوامض الصحـاح :**

ولمعهد المخطوطات العربية في ميدان النشر جُهْدٌ مشكور تجلَّى بارزاً في العديد من منشوراته التي كان من بينها كتاب «غوامض الصحاح» لخليل بن أيبك الصفدي ــ صلاح الدين (٦٩٦/٧٦٤) وهو كتاب في اللغة أبرز مؤلفه الغاية من تأليفه في المقدمة حيث قال ــ ص ٦١ ــ عن كتاب الصحاح : (ولكن فيه ألفاظ يتعذر كشفها على مثلي). ثم بين أن السبب جهل أصول الكلمة وماطرأ عليها من الزوائد، وذكر أنه في كتابه هذا وضع مقدمة في التصريف لمعرفة الحروف الزوائد التي تدخل على أصول الكلمة وحروف الإبدال وحروف الحذف. ثم أورد بعد ذالك الكلمات مرتبة على حروف المعجم دون النظر إلى تصريفها، وقد قام بتحقيق هذا الكتاب الأستاذ عبد الإله نبهان، وصدره بمقدمة ضافية في ترجمة المؤلف، وفي الحديث عن كتابه هذا، وفي وصف المخطوطة التي اتخذها أصلاً للنشر، جاء هذا في نحو ٥٥ صفحة ثم اتبع الكتاب بفهارس مفصلة فوقع في ٣٠٤ والطباعة لابأس بها بدون ذكر اسم المطبعة سوى كلمة (الكويت) وتاريخ الطبع ١٤٠٦ (١٩٨٥م).

*** أدباء من الخليج العربي :**

الأستاذ عبدالله أحمد الشباط من أنشط أدباء المنطقة الشرقية في مجال النشر، فقد سبق أن أصدر جريدة «الخليج العربي» سنة (١٣٧٥ ــ ١٣٨١) في الدمام وأنشأ حديثاً داراً للنشر (الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع) في الخُبر، وكان من بواكير منشوراتها كتاب «أدباء من الخليج العربي» للأستاذ عبدالله، عرض فيه تراجم مشاهير هذا الجزء الحبيب من وطننا ونماذج من نثرهم وشعرهم، اعتماداً على المؤلفات والصحف التي عُنيت بهذا الجانب الثقافي وعلى ما للأستاذ عبدالله من صلة وثيقة ببعضهم، ولهذا يعتبر كتابه من المراجع المفيدة في موضوعه .

وقد جاء في ٣٥٨ صفحة، وصدر عن مطابع الفرزدق التجارية في الرياض سنة ١٤٠٦ (١٩٨٦م) بطباعة حسنة.

*** قبائل العرب في القرنين السابع والثامن في «مسالك الأبصار» :**

كانت مجلة «العرب» ــ س ١٦ ص ٢٧٤، ٦٠٨، ٧٧٠، ٩٢٤، ــ قد نشرت ماجاء في كتاب «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» عن القبائل العربية دون ذكر قبائل البربر التي أورد ابن فضل الله أقوالاً مختلفة عن أصلها، كما فصل بطونها ومنازلها. ثم قامت المستشرقة دوروتيا كراڤولسكي بنشر ذالك القسم كاملاً بعد تحقيقه وتقديمه بدراسة وافية، إذْ قد عنيت عناية فائقة بكتاب «المسالك» يدل على هذا ماأبرزته بتحقيق هذا القسم من الكتاب الذي قام المركز الإسلامي للبحوث في بيروت بنشره في طباعة حسنة جاءت في ٢٣٩ صفحة.

ومع أن الأصل الذي وصل إلينا من الكتاب ليس على درجة متقنة من حيث الضبط والاتقان وخاصة في الأسماء حيث يرد كثير منها بدون اعجام فتستعجم قراءته ، ومع ذالك فقد بذلت المحققة جهداً تجلى في كل صفحة من صفحات الكتاب محاولة ابرازه بصورة صحيحة.

وقد صدرت طبعته الأولى سنة ١٤٠٦ (١٩٨٥م).